طَــوْقُ النَّجَــاهْ

تأليف
أبــو أحمـد
كمـال أحمـد عبـد السـلام

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمـة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، اللهم صلِّ وسلم وبارك عليه.

{يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١} [النساء: ١].

{يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢} [آل عمران: ١٠٢].

{يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا } [الأحزاب: ٧٠ - ٧١].

أما بعد..

فإن ابن آدم ينظر إلى الدنيا وكأنها دار مقام وبقاء، وليست دار زوال وفناء، وكأنه مخلدٌ فيها خلودًا أبديًا فيحرصُ على الظلم والتعدي على الآخرين، ويحرصُ على الجور وأخذ حق الضعفاء والمستضعفين، فلو علم علمًا يقينيًا أنه ليس مخلدًا فيها، وأنه مهما طال عمره فهو إلى زوال، ما ظلم وما تعدى على غيره، لأن نشوة النفس وظلمها لنفسها جعلته ينس حقيقة الموت وأنه مدركه لا محالة كما جاء في قوله تعالى: { أَيۡنَمَا تَكُونُواْ يُدۡرِككُّمُ ٱلۡمَوۡتُ وَلَوۡ كُنتُمۡ فِي بُرُوجٖ مُّشَيَّدَةٖ} [النساء: ٧٨].

{قُلْ لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ ٱلْمَوْتِ} [الأحزاب: ١٦].

فمهما فَرَّ ابن آدم من الموت فهو ملاقيه، لأن الفرار لا يؤخرُ آجالاً، ولا يُطَوِّلُ أعمارًا، كما جاء في قوله تعالى:{قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْ} [الجمعة: ٨]، إذن فعشق المرء للدنيا يعميه عن عيوبها ليجعله متمسكًا بتلابيبها وأزيالها وبريق زخارفها الزائلة، ليصبح هلاكه على يد معشوقته التي أوقعته في حبائلها الدائبة التي تهوي به بعد معترك الحياة ونشوتها إلى السقوط في الهاوية عند أول درجة من درجات سُلَّمِ المحاسبة من الله تعالى، لأن ميزان ابن آدم يتزُن عند المفاضلة بين العاجلة والآجلة، كما جاء في قوله تعالى:{مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْءَاخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾ كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَلَلْءَاخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَٰتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴿٢١﴾} [الإسراء: ١٨ - ٢١].

أي: من كان هَمَّهُ وَسَعْيُهُ لهذه الدنيا العاجلة الفانية لا يريد إلاَّها ولا يبتغي سِوَاهَا، فَيُعَجِّلُ الله له فيها ما يشاء لمن يريد ليبسطها له، أَوْ يُقَتِّرُهَا عليه، فيصبح هلاكه لمن طلب ذلك على يديها، أما من أراد الآخرة وعمل لها، ولزم نفسه على طاعة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم وعمل لما يرضي ربه، فأولئك أصبحت أعمالهم مشكورة من الله تعالى فأصبح جزاءهم من جنس أعمالهم، لذلك لا يعرف المرء الغبن الحق إلا عند انقضاء أجله، فقد جاء في الحديث

الذي أخرجه البخاري وابن ماجة من حديث ابنِ عباسٍ رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:(**نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ: الصِّحَّةُ، وَالْفَرَاغُ**) [1].

أي: هاتان النعمتان مجبولٌ عليهما كثيرًا من الناس في صحة البدن وفراغ الخاطر، ولا يعرف قدر هاتين النعمتين الكثير من الناس إلا ما رحم ربي، لأنه عندما تضيع الأعمار وتصبح إلى زوال، فلا فائدة فيما حَصَّلَهُ من الدنيا إلا عمله الصالح، لذا فلا يدرك المرء الغبن حقًا إلا عند انقضاء الآجال كما قال تعالى:{يَوۡمَ يَجۡمَعُكُمۡ لِيَوۡمِ ٱلۡجَمۡعِۖ ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلتَّغَابُنِۗ} [التغابن: ٩]، فقد جاء في الطبراني الكبير والبيهقي في شعب الإيمان من حديث معاذ رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:(**لَيْسَ يَتَحَسَّرُ أَهْلُ الْجَنَّةِ إِلا عَلَى سَاعَةٍ مَرَّتْ بِهِمْ لا يَذْكُرُونَ الله عز وجل فِيهَا**) [2].

فَسَلِ اللهَ عبد اللهِ دَوْمًا قبل يوم التغابن، واعتصم به قبل اعتصامك بالدنيا، فمن اعتصم بالدنيا، فكأنه اعتصم بالسراب الخادع، أو العاصفة الغير آمنة التي تهب على غير توقع لتخلع قلب المرء فجأةً، فإذا لم يتحصن بوعيهِ الدينيّ أردته إلى حيث يكره، فإذا أردت أن تعتصم فاعتصم بالله وبكتابه وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم كما جاء في قوله تعالى: {وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ} [آل عمران: ١٠٣].

([1]) أخرجه البخاري: (6412)، وابن ماجه (4170).
([2]) السلسلة الصحيحة برقم: (2197)، وصحيح الجامع برقم: (5446).

سَلِ الوَاحَةَ الْخَضْرَاءَ وَالمـاءَ :: وَهــذِى الصّـحَارِى وَالجِبَـالَ
جَارِيَـــــــــا : الرَّوَاســـــــــيَا
سَلِ الرَّوْضَ مُزْدَانًـا. سَلِ الزَّهْرَ :: سَـلِ اللَّيْـلَ وَالإِصْـبَاحَ وَالطَّيْـرَ
وَالنَّـــــــــدَا : شَـــــــــادِيَا
وَسَـلْ هَـذِهِ الأَنْسَـامَ وَالأَرْضَ :: وَسَلْ كُلَّ شَيْءٍ تَسْمَع التَّوْحِيدَ لِلَّهِ
وَالسَّــــــــمَا : سَـــــــــارِيَا
فَلَــوْ جَــنَّ هَـذَا اللَّيْـلُ وَامْتَـدَّ :: فَمَنْ غَيْرُ رَبِّى يُرْجِعُ الصُّبْحَ
سَـــــــــرْمَدَا : ثَانِيَـــــــــا؟

فمن غير ربي يرجع الأمن والأمان في مِصْرَ ثانيا. بعد أن بات لنا واضحًا أن القصاص لا يُؤْتَى بأحكامِ الشريعِة، بل أصبح القصاص يأتي بحكم شريعة الغاب، لأن ما شهدناه في محافظة الشرقية وما قام به بعض الناس في موقف السيارات بالمحافظة، حيث قاموا بقتل من شَكُّوا أنهم بلطجية، ثم ربطوا أقدامهم بالحبال، وقاموا بتعليقهم كالذبائح أرجلهم لأعلى ووجوههم لأسفل، ثم أضرموا النار في أجسامهم بعد أن ألقوا عليها المواد الحارقة، وما سمعناه وشاهدناه من الصور على شاشات الموبايلات في إحدى قرى محافظة كفر الشيخ والتابعة لمركز الحامول بذبح جزار لثلاثة شباب اتهمهم باختطاف ابنته وهتك عرضها وقطع لسانها وَسَمْلِ أعينها حتى تصبح عاجزة عن الكلام وعدم الإفصاح عنهم والاعتراف عليهم، أما فَقْأِ أعينها، فكأنهم يظنون أنهم لا ينكشف سِرَّهُمْ ولا ينفضحُ أَمَرهُمْ، حتى إذا وُجِّهُوا بالمجنية عليها استحالة أن تفصح عنهم وتكشف سترهم لأنها أصبحت لا ترى، وعلم الأب أن ابنته ذهبت مع السائق الفلانيُّ فقام باستدراجه حتى أخذه وأوقفه أمام بيته، ثم هدده حتى اعترف بجريمته هو وثلاثة شبان على طريقته وباتفاق مع والد الجانية قام باستدراج الثلاثة حتى جيء بهم إلى مكان مسرح الجريمة وهو أمام بيت والد المجنية عليها وعندما وصلوا الجناة قام الوالد الغاضب بتكتيفهم وربطهم بالحبال وذبحهم كالمواشي على أعين ومسمع الكثيرين من الناس.

إذن نقول في هذه الحالة: على المرء أن لاَ يَلُومَنَّ إلا نفسهُ، كما جاء في صحيح مسلم من حديث أبي ذَرٍّ رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:(**يَا عِبَادِي إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أُحْصِيهَا لَكُمْ ثُمَّ أُوَفِّيكُمْ إِيَّاهَا، فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا فَلْيَحْمَدِ اللهَ، وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ فَلا يَلُومَنَّ إِلا نَفْسَهُ**) [1].

* * *

الْمَدْخَلُ
(طَوْقُ النَّجَاةِ)

تذكر عبد الله أن طَوْقَ النجاةِ يُقْذَفُ لمن أشرف على الغرق أو الهلاك في بحرٍ متلاطم الأمواج ليُسْحَبَ إلى شاطئ النجاةِ رُوَيْدًا رُوَيْدًا حتى يُصْبِحَ آمنًا بعد خوف، قال تعالى:{**وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ**} [قريش: ٤].

فالأمن نعمة من نعم الله لا يشعر بنعيمها إلا من بات ليلهُ ترتعد فرائصه، فقد أخرج البخاري في الأدب المفرد وغيره من حديث عبد الله بن محصن الخطمي رضى الله عنه أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :(**مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ آمِنًا فِي سِرْبِهِ، مُعَافًى فِي بَدَنِهِ، عِنْدَهُ قُوتُ يَوْمِهِ، فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا بِحَذَافِيرِهَا**)[2].

* * *

([1]) مسلم: (2577).

([2]) أخرجه البخاري في الأدب المفرد (112/1، ورقم 300) والترمذي (574/4، ورقم 2346) وابن ماجة (1387/2، ورقم 4141)، وأخرجه القضاعي (320/1، ورقم 540) والبيهقي في شعب الإيمان (294/7، ورقم 10362)، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب برقم: 826.

طَوْقُ النَّجَاةِ

نِدَاْء:

يـا أمـة الإسـلام إذا أردت السـلامة والنجـاة عليك أن تتبعـي سـبيل هـدى محمـد صلـى الله عليه وسلم.

يا مصر الحبيبة العزيزة، يا قرة العين، يا فلذة الأكباد، وحب الأجداد.

يـا حِبَّ القلـوب وعشـق كـل مُحِـبٍّ ومحبـوب إذا أردت السـلامة فـاتبعي سـبيل هدى محمد صلى الله عليه وسلم الذي أعلمنا طريق السلامة والنجاة منذ أكثـر مـن أربعة عشر قرنًا من الزمان، فرسم لنا طريـق النجـاة وأوضـح معالمـه، فكشـف لنـا الداء ووصف لنا الدواء الذي فيه الشفاء، فدعا لعبد الله بن عباس فقال:**(اللَّهُـمَّ فَقِّـهُ فِي الـدِّينِ، وَعَلِّمْـهُ التَّأْوِيـلِ)** فقد جـاء فـي الحديث الصحيح من حديث ابن عبـاس رضـى الله عنـه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قـال:**(مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْـهُ فِي الدِّينِ)** (1).

أي: من لم يتفقه في الدين ويتعلم أصول الفقه ومـا يتصـل بهـا مـن فـروعٍ حُـرِمَ الخير كُلَّـهُ، لأن مـا نحـن فيـه الآن هـو عـدم تفقهنـا فـي الـدين، والمخـرج مـن هـذا المنزلـق والْـهُوَّةُ السَّـاحِقَةُ الماَحِقَـةُ هـو الحفـاظ علـى محـارم الله وأن نبـدأ بتعلـيم الشباب والفتية الصغار وتلقينهم من العلم مـا ينفعهم فـي دينهم ودنيـاهم وأخـراهم، كما جاء في الحديث الصحيح من حديث ابن عباسٍ رضـى الله عنـه أنـه قـال: كنـت خلف النبي صلى الله عليه وسلم يومًا فقال: يا غـلام:**(إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِـمَاتٍ: احْفَـظْ اللهَ يَحْفَظْكَ احْفَظْ اللهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ الله وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِالله،**

---

(1) متفق عليه في البخاري (71، 3116)، ومسلم (1037).

وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ لَكَ، وَلَوِ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الْأَقْلَامُ وَجَفَّتِ الصُّحُفُ) [1].

فحفظ الله للعبد أن يُؤَمِّنَهُ من كل خوفٍ يُرهبه في الدنيا ولا يأمن جانبه، أما حفظ الله في الآخرة أن يؤمنه يوم الفزع الأكبر كما جاء في سياقه تعالى:{إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا ۖ وَهُمْ فِى مَا ٱشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٢﴾ لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ ٱلَّذِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿١٠٣﴾} [الأنبياء: ١٠١ - ١٠٣].

أي: إن الذين جُبِلُوا على الخصال الحسنة والصفات الحميدة وتطبيق شرع الله وحفظ محارمه هم في السعادة والتوفيق آمنون، لأن الله وقاهم عذاب السعير لأنهم لا يسمعون صوتها، ولا يسمعون صوت من يكتوي بلهيبها لأنهم بعيدون عنها وعَمَّا يُفزعهم منها، لأنهم أصبحوا في غرفات الجنان آمنون، فتستقبلهم الملائكة مطمئنين مهنئين في الدنيا مبشرين بحسن المثوبة والجزاء وعظيم الأجر في الآخرة، كما جاء في قوله تعالى:{مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ} [النمل: ٨٩].

أي: من عمل لما بعد الموت أو أكثر بالإحسان حسناته فجزاؤه من جنس عمله ليؤمنه الله من الفزع الهائل يوم القيامة ولا يعتريه أصوات الخائفين المفزعين في ذلك اليوم.

أما قوله صلى الله عليه وسلم :**(احفظ الله تجده أمامك).**

([1]) صحيح رواه أحمد في الفتح الرباني (1/126/12) والترمذي (4/76/2635) والحاكم في المستدرك (541، 3/541).

أي: تَجِدْهُ معك أينما كنت يحفظك بمعيته، ويؤيدك بنصره، وَيُمَكِّنُ لَك في الأرض بأنه يسدد خطاك في كل عملٍ تَعْمَلْهُ، وفي كل قَوْلٍ تدعو إليه.

أما قوله صلى الله عليه وسلم :(**إذا سألت فاسأل الله**)، فالله يريد من العبد أن لا يسأل غيره، لذا وجب على المرء المسلم أن لا يمد يده بالسؤال إلا لله، لأنه هُوَ المعينُ وَهُوَ النَّصِيرُ، وهو القادر على دفع الأذى والضُّرِّ عن ابن آدم، واستبدالهما بالخير الجزيل بإذنه تعالى، لذا وجب على ابن آدم أن لا يستنجد إلا به، ولا يسألنَّ إلاَّ هُو كما قال النبي صلى الله عليه وسلم :(**مَنْ لَمْ يَسْأَلِ اللهَ يَغْضَبُ عَلَيْهِ**) [1].

قال تعالى:{يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾} [فاطر: ١٥].

فكيف تتركون من عنده كنوز السماوات والأرض وتلجأون إلى من لا يقدرُ على دَفْعِ الضُّرِّ عن نفسه.

لاَ تَسْأَلَنَّ بَنِي آدَمَ حَاجَةً ... وَسَلِ الَّذِي أَبْوَابُهُ لا تُحْجَبُ
اللهُ يَغْضَبُ إِنْ تَرَكْتَ سُؤَالَهُ ... وَبَنِي آدَمَ حِينَ يُسْأَلُ يَغْضَبُ

وقوله صلى الله عليه وسلم :(**وإذا استعنت فاستعن بالله**).

فمن غيره يقدر على الاستعانة به إلا هو، فهو القادر على أن يلوذَ الَمرْءُ به، وهو القادر على إعانة الضعيف واللجوء إليه، وهو القادر على دَفْعِ الضُّرِّ وقضاء الحاجات، فهل من المعقول أن أترك من لاَ تُرَدُّ عنده الحاجات وأسأل من يحتاج إلى نسمة هواء أو شربة ماء.

([1]) حديث حسن: سنن الترمذي (5/126/3433)، وسنن الترمذي (5/52/3299)، وسنن أبي داود (4/352/1469).

أما قوله صلى الله عليه وسلم :**(واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف).**

لذا وجب على ابن آدم أن يعلم علمًا يقينيًّا أنه لا نافع إلا الله، ولا ضَارَّ إلا الله، أي ما كُتِبَ في علم الله لا تبديل لكلماته ولكن أكثر الناس لا يفقهون، فليفعل المرءُ كُلَّ ما في وسعه من عملٍ صالحٍ لإرضاءِ ربِّهِ قَدْرَ ما يُسْتَطاعُ وليترك النتائج لِمُسَبِّبِ الأسباب لأنه هو وحدهُ القادرُ على جلب النفع، وهو وحده كاشفُ الضُّرِّ والْبَلْوَى عن الْمَحْرُومين، فحفظ محارم الله هي السعادة الأبدية والنعيم السَّرْمَدِيِّ، أما التجرؤ على محارم الله فهو الضلال البَيِّنُ والْخُسْرَانُ الْمُبِينُ، لذا وجب علينا أن نتقي محارم الله، ولا نفكر في يوم من الأيام أن ننظر باستهانةٍ إلى تلك المحارم لأن الله يُمْهِلُ وَلاَ يُهْمِلُ، فهذه خويلة بنت ثعلبة قد حدث بينها وبين زوجها وابن عمها مُشَادَّةً فحلف عليها وقال: أَنْتِ عَلَيَّ كَظَهْرِ أُمِّي، أي: تُصْبِحينِ في حُرْمَةَ الرُّكُوبِ، مِثْلَ أُمِّي، وعندما جاء من عمله ودخل البيت وأرادها فأبت وقالت والله لا تعلوني حتى يحكم رسول الله بيني وبينك.

فقد جاء في مسند الإمام أحمد عن يوسف بن عبد الله بن سلام عن خويلة بنت ثعلبة أنها قالت: فِيَّ والله! وفي أوس بن الصامت أنزل الله صدر سورة المجادلة قالت: كنت عنده، وكان شيخًا كبيرًا، قد ساءَ خلقهُ وضجر، فدخل عَلَيَّ يَوْمًا فراجعته بشيءٍ، فغضب فقال: أنت عليَّ كظهر أمي، قالت: ثم خرج فجلس في نادي قومه ساعة ثم دخل عَلَيَّ، فإذا هو يريدني على نفسي. قالت: قلت: والذي نفسي خويلة بيده! لا تخلص إِلَيَّ وقد قلت ما قلت حتى ورسوله فينا بحكم، قالت: فواثبني، فامتنعت منه، فغلبته بما تغلب المرأة الشيخ الضعيف، فألقيتهُ عَنيِّ، قالت: ثم خرجت إلى بعض جاراتي،

فاستعرتُ منها ثيابها، ثم خرجت حتى جئت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فجلست بين يديه فذكرت له ما لقيت منه، وجعلت أشكو إليه ما ألقى من سوء خلقه، قالت: فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:(**يَا خُوَيْلَةُ، ابْنُ عَمِّكِ شَيْخٌ كَبِيرٌ، فَاتَّقِي اللهَ فِيهِ**)، قالت: فوالله ما برحت حتى نزل فِيَّ القرآن، فَتَغَشَّى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كان يَتَغَشَّاهُ، ثم سُرِّيَ عَنْهُ، فقال لي:(**يَا خُوَيْلَةُ، قَدْ أَنْزَلَ اللهُ فِيكِ وَفِي صَاحِبِكِ**)، ثم قرأ عَلَيَّ:{قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَآئِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمْۖ إِنْ أُمَّهَٰتُهُمْ إِلَّا ٱلَّٰٓـِٔي وَلَدْنَهُمْۚ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ ٱلْقَوْلِ وَزُورًاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُواْ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّاۚ ذَٰلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِۦۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٣﴾ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّاۖ فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًاۚ ذَٰلِكَ لِتُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۚ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِۗ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤﴾} [المجادلة: ١ - ٤].

قالت: فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم :(**مُرِيهِ، فَلْيُعْتِقْ رَقَبَةً**).

قالت: فقلت: يا رسول الله، ما عنده ما يعتق! قال:(**فَلْيَصُمْ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ**) قالت: قلت: والله إنه لشيخ كبير، ما به من صيام، قال:(**فَلْيُطْعِمْ سِتِّينَ مِسْكِينًا وَسْقًا مِنْ تَمْرٍ**) قالت: فقلت: والله يا رسول الله ما ذاك عنده. قالت: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :(**فَإِنَّا سَنُعِينُهُ بِفَرْقٍ مِنْ تَمْرٍ**)،

قالت: فقلت: يا رسول الله، وأنا سأعينه بفرق آخر. قال:(**قَدْ أَصَبْتِ وَأَحْسَنْتِ، فَاذْهَبِي، فَتَصَدَّقِي عَنْهُ، ثُمَّ اسْتَوْصِي بِابْنِ عَمِّكِ خَيْرًا**) قالت: ففعلتُ [1].

وجاء في مسند الإمام أحمد، والترمذي، والبيهقي في شعب الإيمان من حديث أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:(**اتَّقِ الْـمَحَارِمَ تَكُنْ أَعْبَدَ النَّاسِ**) [2].

وَرُوِيَ عن قتادة أنه قال: خرج عمر من المسجد ومعه الجارود العبدي، فإذا بامرأة برزت على ظهر الطريق، فَسَلَّمَ عليها عمر، فردت عليه السلام، وقالت: هيهات يا عمر: عهدتك وأنت تسمى عُمَيْرًا في سوق عكاظ ترعى الضأن بعصاك، فلم تذهب الأيام حتى سُمِّيت عُمَرَ، ثم لم تذهب الأيام حتى سُمِّيتَ أمير المؤمنين، فاتق الله في الرَّعِيَّةِ، واعلم أنه مَنْ خاف الوعيد قَرُبَ عليه البعيد، وَمَنْ خاف الموت خَشِيَ عليه الْفَوْت، فقال الجارود: قد أكثرتِ أيها المرأةِ على أمير المؤمنين، فقال عُمَرُ: دَعْهَا، أَمَا تَعْرِفُهَا! فهذه خولة بنت حكيم امرأة عبادة بن الصامت التي سمع الله قولها من فوق سبع سماوات، فعمر والله أَحَقُّ أن يَسْمَعَ لَهَا [3] أ.هـ.

وهذا مما يجعلنا نقف وقفة تأمل وَرَوِيَّةٍ قبل الإقدام والتجرؤ على محارم الله تعالى، الاستحياء منه عند اللقاء،

([1]) أخرجه أبو داود (4122)، وأحمد (26774)، وابن أبي عاصم في (الآحاد والمثاني) (3258)، وابن سعد في (الطبقات) (547/3)، وابن الجارود في (المنتقى) (746)، وابن أبي حاتم في (العلل) (1308)، والبزار (1334 - موارد)، وابن جريد الطبري (4/28)، وابن حبان (4279)، والطبراني في (الكبير) (616) و (633)، والبيهقي (15653) و(15686)، والمزى في (تهذيب الكمال) (313/28) من حديث خولة بنت ثعلبة.

([2]) حديث حسن. السلسلة الصحيحة برقم: (930) وصحيح الجامع برقم: (100).

([3]) الاستعياب في معرفة الأصحاب، لابن عبد البر برقم: (3344).

والنظرُ بإمعانٍ وسؤال النفس قبل القدوم على هذا الفعل كيف ألتقي به؟ وكيف أجيبه عند السؤال؟

وكيف ألقاه وأنا منغمس في تلك الذنوب؟

وكيف ألقاه وهو يباعد وجهه عني من أثر ما اقترفت من تصرفٍ بهيميٍّ؟ ألا حانت الفرصة أن نتساءل متى نستحيي من الله حق الحياء؟

فقد جاء في الحديث الذي رواه الإمام أحمد والترمذي وغيرهما عن حديث ابن مسعود رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قَالَ ذَاتَ يَوْمٍ لأَصْحَابِهِ: (اسْتَحْيُوا مِنَ اللهِ حَقَّ الْحَيَاءِ)، قَالُوا: إِنَّا نَسْتَحِيى يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ:(لَيْسَ ذَاكَ وَلَكِنَّ الِاسْتِحْيَاءَ مِنَ الله حَقَّ الْحَيَاءِ أَنْ تَحْفَظَ الرَّأْسَ وَمَا وَعَى، وَتَحْفَظَ الْبَطْنَ وَمَا حَوَى، وَلْيَذكرِ الْمَوْتَ وَالْبِلَى، وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ تَرَكَ زِينَةَ الدُّنْيَا، فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَقَدِ اسْتَحْيَا مِنَ اللهِ حَقَّ الْحَيَاءِ) [1].

معنى قوله صلى الله عليه وسلم :**(استحيوا من الله حق الحياء).**

أي: يستحي العبد من ربه عند الدخول في المعاصي ليقف عند حدود ربه فيتمسك بالحلال الطيب ويجتنب الباطل الخبيث، أما قوله صلى الله عليه وسلم : **(فليحفظ الرأس وما وعى)**، فالرأس يوجد بها أربعة حواس وهما:

1- حَاسَّةُ الشَّمِّ.

2- حَاسَّةُ السَّمْعِ.

([1]) رواه الإمام أحمد (387/1)، والترمذي رقم (2588)، والحاكم (323/4)، وصححه، ووافقه الذهبي، وحسنه الألباني في (صحيح الترمذي) (299/2).

3- حَاسَّةُ الْبَصَرِ.

4- حَاسَّةُ التَّذَوُّقِ.

* * *

حَاسَةُ الشَّمِّ

أوجدها الله في الأنف ليشم بها المسلم عبير الدنيا ورياحين الله الطيب من رائحة الزهور وعطرها الفواح، ويستنشق الهواء العليل ونسماته الرقيقة الرقراقة، وخاصة بعد صلاة الفجر، ومن اعتاد ذلك أَحَسَّ به، وأحسَّ باتساع صدره وراحة فؤاده فقد ذكر الأطباء أن طبقة الأوزون عند صلاة الفجر تكون نقية كالأرضِ البكرِ ليس فيها شوائب، فيتكون الهواء في تلك اللحظات من ذرتي أكسجين وذرة واحدة هيدروجين، ليس كبقية اليوم، فإن بقية اليوم يتكون الهواء من ذرتي هيدروجين، وذرة أكسجين، والمفاد من ذلك أن نطوع هذه الحاسة في طاعة الله وإرضاء مرضاته، لا في عصيانه والفضول في إطلاق العنان لهذه الحاسة في شم طيب النساء الذي يدل على أماكن وجودهن في العمل أو الشارع، أو أي مكان أينما ساروا، فعند شم الرجال لهذا الطيب تدور أعينه على مكان تلك الرائحة أينما سار، إلا ما رحم ربي، ثم يأتي أحد المتنطعين فيقول: (يا عم هو إحنا فايقين لمثل هذه الأقوال وهذه المهاطرات) فنقول: فَلِمَ حَرَّمَ صلى الله عليه وسلم على النساء وضع الطيب عند النزول في الشوارع لقضاء حاجتهن، كما جاء في مسند الإمام أحمد، والنسائي، والحاكم في المستدرك من حديث أبي موسى

أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:(أَيُّمَا امْرَأَةٍ اسْتَعْطَرَتْ ثُمَّ خَرَجَتْ، فَمَرَّتْ عَلَى قَوْمٍ لِيَجِدُوا رِيحَهَا فَهِيَ زَانِيَةٌ، وَكُلُّ عَيْنٍ زَانِيَةٌ) [1].

وجاء في مسنده أيضًا، وصحيح مسلم، والسنن لأبي داود والنسائي من حديث أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:(أَيُّمَا امْرَأَةٍ أَصَابَتْ بَخُورًا، فَلَا تَشْهَدْ مَعَنَا الْعِشَاءَ الآخِرَةَ)[2].

وجاء في سنن ابن ماجة من حديث أبي هريرة رضى الله عنه أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :(أَيُّمَا امْرَأَةٍ تَطَيَّبَتْ، ثُمَّ خَرَجَتْ إِلَى الْمَسْجِدِ، لَمْ تُقْبَلْ لَهَا صَلَاةٌ حَتَّى تَغْتَسِلَ)[3].

أما أن تضع المرأة الطيب في بيت الزوجية، فأباح لها الإسلام ذلك وحرص عليه، وأباح لها أن تتزين لزوجها قدر المستطاع حتى تملأ عينه ولا ينظر لغيرها.

* * *

حَاسَّةُ السَّمْعِ

فقد قيد الإسلام لهذه الحاسة أشياء، وأباح لها أشياء، أمَّا مَا قَيَّدَهُ الإسلام لها: فهو عدم إطلاق العنان لها حتى لا تحدث في المجتمع شروخ لا يسلم منها أبدًا كالذي يتنصت على غيره فيسمع الكلمة الواحدة فيكبرها لتصبح جملةً، ثم تكبر الجملة لتصبح قصة تجرُّ وراءها خراب البيوت عند الرجال والنساء،

([1]) المشكاة برقم (1065)، وإيمان أبي عبيد برقم (110/46)، وحسنه الشيخ الألباني في صحيح الجامع برقم: (2701).
([2]) المشكاة برقم (1061)، وصحيح الجامع برقم: (2702).
([3]) السلسلة الصحيحة برقم (1281)، وصحيح الجامع برقم: (2703).

فألزم الإسلام الإنسان بالتعامل مع هذه الحاسة بأدب جَمٍّ رفيع، وَحَرَّمَ التَّغَوُّلَ فيها، لأن المجتمع الذي يتصف بهذه الصفات لا يسلم أبدًا ويصبح مصيره السقوط والهلاك بأسرع ما يمكن، قال تعالى:{وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾} [الإسراء: ٣٦].

وقد جاء في مسند الإمام أحمد وغيره من حديث أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:(**الْأُذُنَانِ زِنَاهُمَا الِاسْتِمَاعُ، وَاللِّسَانُ زِنَاهُ الْكَلَامُ، وَالْيَدُ زِنَاهَا الْبَطْشُ، وَالرِّجْلُ زِنَاهَا الْخُطَا، وَالْقَلْبُ يَهْوَى وَيَتَمَنَّى وَيُصَدِّقُ ذَلِكَ الْفَرْجُ وَيُكَذِّبُهُ**) [1].

فقد كان بعض الشباب في القرى في الستينات قبل وصول الكهرباء لريفنا المعاصر يَتَحَسَّسُونَ الْخُطَا في الظلام الدَّامِسِ الذي كان يُخَيِّمُ على تلك القرى بعد صلاة العشاء فيدورون في الشوارع يتنصتون على الشبابيك ليستمعوا بعض أصوات النساء مع أزواجهم أثناء الخلوة الجنسية، ثم يُصْبِحُوا ليشيعوا ذلك بين أقرانهم وذويهم، قال الحق - جلا وعل -:{مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾} [ق: ١٨].

قال عَلِيُّ بن أبي طلحة عن ابن عباس رضى الله عنه قال: يكتب كل ما تكلم به من خيرٍ، أو شرٍّ، حتى أنه ليكتب قوله أكلت شربت جئت رأيت، حتى إذا كان يوم الخميس عرض قوله وعمله، أقر منه ما كان من خير أو شرٍّ وألقى سائره.

([1]) مختصر مسلم برقم: (1850)، والسنة برقم: (193)، والمستدرك للحاكم برقم (3)، وصحيح الجامع برقم: (4476).

احْفَـظْ لِسَـانَك أَنْ تَقُولَ فَتُبْتَلـى :: إِنّ البَلاَءَ مُوَكّلٌ بِالمَنطِقِ[1] أ. هـ

وجاء في مسند الإمام أحمد والسنن من حديث معاوية بن حيدة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:(وَيْلٌ لِلَّذِي يُحَدِّثُ فَيَكْذِبُ لِيُضْحِكَ بِهِ الْقَوْمَ وَيْلٌ لَـهُ وَيْـلٌ لَـهُ)[2].

لذا فنقول لمن يتصف بهذه الصفة الذميمة: إن الله قد حفظك بعدم كَشْفِ سِركَ أمام الناس، ولو أراد الله أن يكشف سرك لَسَلَّط الله عليك (الخفراء)، المسئولين عن القرية آنذاك وأصبحت فضيحتك يتكلم عنها القاصي والداني، وتصبح ممبوذًا بين الناس، ثم يقام عليك حَدَّ التجسُّسِ، أو التحسُّسِ بعد الذهاب لمركز الشرطة، ثم الذهاب للنيابة لانتظار الحكم في ذلك الشأن، وهناك من بعض الموظفين الذين يستخدمون هذه الحاسة لتسليطها على الزملاء لاستماع كل ما يقال وما يحاك عن مدير المؤسسة، أو مدير المدرسة، أو مدير مجمع من المجمعات، فيدور بين هؤلاء الموظفين حتى يسمع كل ما يحلو له، ثم يقوم بنقل كل ما سمع عن مديره المهزوز نفسيًا والذي هَيَّأَ له المناخ والظروف لتفشي هذه الظاهرة الخبيثة التي تنفخ سُمَّهَا في المجتمع، لتدور بين الناس دون أن يُحِسُّوا بها، أو يسمعوا لها صوتًا، وقد نهى الله عن التجسس فقال تعالى:{وَلَا تَجَسَّسُواْ} [الحجرات: ١٢].

فقد جاء في محاسن التأويل للقاسميِّ أنه قال: ولما كان من ثمرات سوء الظن التجسس، فإن القلب لا يقنع بالظن، ويطلب التحقيق فيشتغل بالتجسس، وذكر سبحانه النهي عنه إثر سوء الظن لذلك،

([1]) تفسير القرآن العظيم لابن كثير: (224/4).
([2]) المشكاة برقم (4838)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع برقم: (7136).

قال تعالى:{وَلَا تَجَسَّسُواْ} [الحجرات: ١٢].

قال ابن جرير: أي: لا يتبع بعضكم عورة بعض، ولا يبحث عن سرائره، يبتغي بذلك الظهور على عيوبه [1].

قال الغزالي: ومعنى التجسس أن لا يترك عباد الله تحت ستر الله، فيتوصل إلى الاطلاع، وهتك الستر، حتى ينكشف له ما لو كان مستورًا عنه، كان أسلم لقلبه ودينه، ولما خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم رفع صوته حتى أسمع العواتق في خدورهن، فقال:(**يَا مَعْشَرَ مَنْ آمَنَ بِلِسَانِهِ وَلَمْ يُخْلِصِ الإِيمَانَ إِلَى قَلْبِهِ " لا تَتَّبِعُوا عَوْرَاتَ الْمُسْلِمِينَ، فَإِنَّ مَنْ تَتَّبَعَ عَوْرَاتَ الْمُسْلِمِينَ تَتَّبَعَ اللهُ عَوْرَتَهُ، حَتَّى يفَضَحَهُ ، وَلَوْ فِي جَوْفِ بَيْتِهِ "**) [2].

وجاء في الحديث المتفق عليه من حديث أبي هريرة رضى الله عنه أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :(**لا تَجَسَّسُوا، وَلا تَحَسَّسُوا، وَلا تَبَاغَضُوا، وَلا تَدَابَرُوا، وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوَانًا**) [3].

([1]) جامع البيان: (135/26).

([2]) أخرجه عبد الرزاق في (جامع معمر) (20251)، وابن عدي في (الكامل) (51/6)، والطبراني في (الكبير) (11444)، وفي الأوسط (3778) من حديث ابن عباس بلفظه هنا، وأورده الهيثمي في (مجمع الزوائد) (24616)، وأورده أيضًا برقم (94/8)، وقال: رواه الطبراني ورجاله ثقات، وأخرجه البيهقي في (شعب الإيمان) (11196)، من حديث البراء بن عازب، وأخرجه الترمذي (2032)، من حديث ابن عمر.

([3]) أخرجه البخاري (5717)، (6345)، ومسلم (2563)، ومالك (1616)، وأحمد (7845)، (8485)، والربيع في (مسنده) (698)، والبيهقي في (الكبرى) (11239)، و(13813)، (17400)، وفي (شعب الإيمان) (6703) من حديث أبي هريرة رضى الله عنه.

وروى أبو داود أن ابن مسعود رضى الله عنه أتى برجل، فقيل له: هذا فلان، تقطر لحيته خَمْرًا! فقال: إنا نُهِينَا عن التجسس، ولكن إن يظهر لنا شيء نأخذ به [1].

وروى أبو داود عن معاوية قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: **(إِنَّكَ إِنِ اتَّبَعْتَ عَوْرَاتِ النَّاسِ أَفْسَدْتَهُمْ أَوْ كِدْتَ أَنْ تُفْسِدَهُمْ)** فقال أبو الدرداء رضى الله عنه: كلمةٌ سمعها معاويةُ من رسول الله، نَفَعَهُ اللهُ بِهَا [2].

وروى الإمام أحمد عن دُجَيْنٍ، كاتب عقبة، قال: قلت لعقبة: إنا لنا جِيرَانًا يشربون الخمر، وأنا داع لهم الشُّرَطَ فيأخذونهم! قال: لا تفعل، ولكن عظهم وتهددهم! قال: ففعل فلم ينتهوا، وإني داع لهم الشُّرَط لتأخذهم! فقال له عقبة: ويحك! لا تفعل، فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: **(مَنْ سَتَرَ عَوْرَةَ مُؤْمِنٍ، فَكَأَنَّمَا اسْتَحْيَا مَوْءُودَةً مِنْ قَبْرِهَا)** [3].

([1]) أخرجه أبو داود (4890)، والترمذي في (العلل) (663)، وعبد الرزاق (9741)، وابن أبي شيبة (327/5) وابن عبد البر في (التمهيد) (22/18) من حديث ابن مسعود.

([2]) أخرجه أبو دواد (4888)، وابن حبان (1495 - موارد)، والطبراني في (الكبير) (890)، وفي مسند الشاميين، (473)، والبيهقي في (الكبرى) (17401)، وفي شعب الإيمان (9659) من حديث معاوية.

([3]) أخرجه أحمد (17433)، والقضاعي في (مسند الشهاب) (7490)، وابن حبان (517)، و(1493 - موارد)، والبيهقي في (الكبرى) (17387)، وفي شعب الإيمان (9651) و(9653) من حديث عقبة بن عامر.

وروى أبو داود عن أبي أمامة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:(**إِنَّ الْأَمِيرَ إِذَا ابْتَغَى الرِّيبَةَ فِي النَّاسِ أَفْسَدَهُمْ**) [1].

قال الأوزاعي: ويدخل في التجسس استماع قوم وهم له كارهون [2] أ.هـ.

أما الاستماع الطيب والمباح، أي: الذي أباحه الإسلام وحرص على اتباعه هو الاستماع لكتاب الله تعالى، والاستماع في ذلك الشأن قد يأخذ أجر من قرأ إذا دخل في معية الله وَأُحِسَّ بما يسمع، فله أجر ما سمع كأجر من قرأ، فقد جاء في التاريخ للبخاري وسنن الترمذي، والحاكم عن ابن مسعود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:(**مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ اللهِّ فَلَهُ بِهِ حَسَنَةٌ، وَالْـحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا، لَا أَقُولُ (آلم) حَرْفٌ، وَلَكِنْ أَلِفٌ حَرْفٌ وَلَامٌ حَرْفٌ وَمِيمٌ حَرْفٌ**) [3].

والاستماع المباح أيضًا هو الاستماع لمجالس العلم والجلوس تحت أقدامهم والاستفادة بعلمهم، فمن فعل ذلك أخذ أجر مجالس الذكر، فقد جاء في سنن الترمذي من حديث أبي هريرة رضى الله عنه أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :(**مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللهُ لَهُ طَرِيقًا إِلَى الْـجَنَّةِ**) [4].

* * *

([1]) أخرجه أبو داود (4889)، وأحمد (23866)، وابن أبي عاصم في (السنة) (1072)، وفي (الآحاد والمثاني) (2832) و(2834) والطبراني في (الكبير) (302) و(651) و(7515)، والحاكم (8137)، والبيهقي (17402)، من حديث أبي أمامة الباهلي.

([2]) محاسن التأويل للقاسمي: (437/8 - 439).

([3]) شرح الطحاوية برقم: (158)، والمشكاة برقم: (2137)، وصحيح الجامع برقم: (6469 - 2202).

([4]) صحيح الجامع برقم: (6298).

حَاسَّةُ الْبَصَرِ

وهي المسئولة عن النظر في الكون والتأمل في عجائبه والإمعان في قدرة القادر ونظامه البديع الذي يخلع القلوب من مكانها ويملأها خشية وإجلالاً وكلما أمعنت النظر وازددت بحثًا في الإعجاز العلمي عن ذلك، فالنظر نعمة من الله إذا استخدمه المرء في طاعة الله، ويُصبح نقمةً إذا استُخدم في معصية الله.

ولذا حذر الله سبحانه وتعالى المؤمنين والمؤمنات من فضول النظر، وأمر بغض البصر، وَحَذَّرَ مَغَبَّةَ الوقوع فيه كما جاء في قوله تعالى: {قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا۟ فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾} [النور: ٣٠].

أي: مقتضى إيمانكم الغض عما حرم الله تعالى النظر إليه، والغض والحفظ أطهر للنفس وأتقى للدين، لأن الله عليم بأفعالهم وأحوالهم، وكيف يجيلون أبصارهم، وكيف يصنعون بسائر حواسهم وجوارحهم، فعليهم إذا عرفوا ذلك أن يكونوا منه على تقوى وحذر في كل حركة وسكون، وسر تقديم غض الأبصار على حفظ الفروج، هو أن النظر بريد الزنا ورائدا الفجور.

وَكُنْتُ إِذَا أَرْسَلْتَ طَرْفَكَ رَائِدًا ... لِقَلْبِكَ يَوْمًا أَتْعَبَتْكَ الْمَنَاظِرُ

ولأن البلوى فيه أشد وأكثر، ولا يكاد يقدر على الاحتراس منه، فبودر إلى منعه، ولأنه يتقدم الفجور في الواقع، فجعل النظم على وفقه [1] أ.هـ.

ولأن النظر سهم مسموم من سهام إبليس، فمن داوم النظر وأمعن فيه، واستمتع بلحظاته، دامت حسراته.

(1) محاسن التأويل للقاسمي: (386/7 - 387).

كُلُّ الْحَوَادِثِ مُبْدَاهَا مِنَ النَّظَرِ :: وَمُعْظَمُ النَارِ مِنْ مُسْتَصْغَرِ الشَّرَرِ

ثم أمر الله تعالى النساء بما أمر به الرجال فقال:{وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ } [النور: ٣١].

فالنساء مأمورات أيضًا بغض الأبصار، ولا يحل للمرأة أن تنظر من الأجنبي إلى ما تحت سرته إلى ركبته، وإن اشتهت غضت بصرها رأسًا، ولا تنظر من المرأة إلا مثل ذلك، وغض بصرها من الأجانب أصلاً أولى بها وأحسن.

ومنه حديث ابن أم مكتوم عن أم سلمة رضى الله عنها قال: كنت عند النبي صلى الله عليه وسلم وعنده ميمونة، فأقبل ابن أم مكتومٍ، وذلك بعد أن أُمِرْنَا بالحجابِ فدخل علينا، فقال:(احْتَجِبَا)، فقلنا يا رسول الله! أليس أعمى لا يُبْصِرُنَا! قال:(أَفَعَمْيَاوَانِ أَنْتُمَا أَلَسْتُمَا تُبْصِرَانِهِ) [1] أ.هـ.

ومن موجبات الجنة غض البصر وحفظ الفرج، فقد جاء في مسند الإمام أحمد، وصحيح ابن حبان من حديث عُبَادَةَ بن الصَّامِتِ رضى الله عنه أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :(اضْمَنُوا لِي سِتًّا مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَضْمَنْ لَكُمْ الْجَنَّةَ: اصْدُقُوا إِذَا حَدَّثْتُمْ، وَأَوْفُوا إِذَا وَعَدْتُمْ، وَأَدُّوا إِذَا اؤْتُمِنْتُمْ، وَاحْفَظُوا فُرُوجَكُمْ، وَغُضُّوا أَبْصَارَكُمْ، وَكُفُّوا أَيْدِيَكُمْ) [2].

([1]) المصدر السابق: (390/7)، والحديث أخرجه أبو داود (4112)، والترمذي (2778)، والنسائي في (الكبرى) (9241)، وأحمد (25997)، وأبو يعلى (5922)، وابن حبان (5575)، والبيهقي (13812) من حديث أم سلمة، وقال الترمذي حديث حسن صحيح.

([2]) صحيح ابن حبان برقم: (19/197/82)، والحاكم في المستدرك برقم: (4/359)، ومسند الإمام أحمد برقم: (19/197/82)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع برقم: (1018).

ولذلك فقد جعل الله سبحانه وتعالى حفظ الفرج سببًا من أسباب الفلاح والنجاح والنجاة في الدنيا والآخرة، فقال تعالى: {وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِفُرُوجِهِمۡ حَٰفِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ فَإِنَّهُمۡ غَيۡرُ مَلُومِينَ ۝٦ فَمَنِ ٱبۡتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡعَادُونَ ۝٧ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِأَمَٰنَٰتِهِمۡ وَعَهۡدِهِمۡ رَٰعُونَ ۝٨ وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمۡ يُحَافِظُونَ ۝٩ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡوَٰرِثُونَ ۝١٠ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلۡفِرۡدَوۡسَ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ} [المؤمنون: ٥ - ١١].

* * *

حَاسَّةُ التَّذَوُّقِ فَتَتَمَثَّلُ فِي اللِّسَانِ

واللسان هو أصغر عضوٍ في جسد الإنسان، وبالرغم من صغر حجمه، فإن جُرْمَهُ كبير وخطره عظيم، إذا لم يحسن صاحبه التعامل معه وإلزامه بالصمت عند الحاجة إلى ذلك، لأن في الصمت النجاة، كما جاء في سياق حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:(مَنْ صَمَتَ نَجَا) (1).

لأن في الصمت البلاغة، والناظر إلى عمل ابن آدم وما أورده المهالك في الدنيا وكثرة كُرْهِ الناس له في التَّقَوُّلِ عليهم بِغَيْر حَقٍّ، كالكذب والغيبة والنميمة، والتطاول عليهم بألفاظ بذيئةٍ تجرح المشاعر، فتؤذي الأعراض وتصيب الشرف في مقتل، لذا تجد غالبية الناس تخاف بطش لسانه،

---

(1) رواه الدارمي في كتاب الرقاق، في باب الصمت (299/2) عن عبد الله بن عمرو ابن العاص رضى الله عنه، ورواه الترمذي في (38) كتاب صفة القيامة (50) باب (الحديث 2501) عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنه.

ولذلك حَذَّرَ رسول الله صلى الله عليه وسلم من بطش الله لهم يوم القيامة وأن الله آخذ بهم لأنهم أشر الناس منزلة عند الله يوم القيامة، فقد جاء في الحديث المتفق عليه من حديث عروة بن الزبير عن عائشة أنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :(**إِنَّ مِنْ شَرِّ النَّاسِ مَنْزِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ، مَنْ تَرَكَهُ النَّاسُ، أَوْ وَدَعَهُ النَّاسَ، اتِّقَاءَ فُحْشِهِ**) [1].

ثم الأدهى والأمر من ذلك تجرؤ هؤلاء على قول الزور الذي يبعد الحق عن صاحبه ليبيت ليله مكلومًا محزونًا تائه شريد يتخبط في درجات الحزن العميق، بلا مستنجد أو مغيثٍ، أو معينٍ ولا حول ولا قوة إلا بالله، فما أكثر النفوس التي ذهبت أرواحها هباءً من جَرَّاءِ ذلك، لأن ذلك من الظلم ألبَيِّنِ الذي حَرَّمَهُ اللهُ على نفسه قبل تحريمه على البشر، فقد جاء في الحديث القدسي الذي رواه مسلم من حديث أبي ذرٍّ رضى الله عنه أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :(**إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا فَلا تَظَالَمُوا**) [2].

لاَ تَظْلِمَنَّ إِذَا مَا كُنْتَ مُقْتَدِرًا ∴ فَإِنَّ الظُّلْمَ عُقْبَاهُ إِلَى النَّدَمِ
تَنَامُ عَيْنُكَ وَالْمَظْلُومُ مُنْتَبَهٌ ∴ يَدْعُو عَلَيْكَ وَعَيْنُ اللَّهِ لَمْ تَنَمِ

ومما يجعل اللسان يظلم صاحبه شهادة الزور والذي يعلم ناطقها أنه كاذبٌ مائةً في المائةِ ولذلك جعله رسول الله صلى الله عليه وسلم من أكبر الكبائر لأنه يغير وجه الحقيقة، فيرفع الباطل

([1]) أخرجه البخاري (125/4 - 126، 142)، ومسلم (21/8)، وأبو داود (4791)، والترمذي (360/1)، وأحمد (3816)، وأخرجه ابن وهب في (الجامع) (69 - 70)، وأحمد (15816)، والبخاري في الأدب المفرد (338)، وسنده على شرط مسلم، وأورده الألباني في السلسلة الصحيحة برقم: (1049)، وسياق الحديث قالت عائشة: استأذن رجل على رسول الله وأنا عنده، فقال: بئس ابن العشيرة، أو أخو العشيرة، ثم أذن له، فألان له القول، فلما خرج، قلت يا رسول الله له ما قلت، ثم ألنت له؟ فقال: فذكر الحديث.

([2]) مسلم (2577).

ويخفق الحق، أي: يزيله، فقد جاء في الحديث المتفق عليه من حديث عبد الرحمن بن أبي بكرة عن أبيه قال: كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال:(**أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكَبَائِرِ ثَلَاثًا؟ قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ ، قَالَ: الْإِشْرَاكُ بِاللهِ، وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ، وَجَلَسَ وَكَانَ مُتَّكِئًا، فَقَالَ: أَلَا وَقَوْلُ الزُّورِ " ، قَالَ: فَمَا زَالَ يُكَرِّرُهَا حَتَّى قُلْنَا لَيْتَهُ سَكَتَ**) [1].

فقول الزور، أو شهادة الزور تعدل الشرك بالله، فعن خُرَيْم بن فاتك الأسَدِيِّ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صَلَّى صلاة الصبح، فلما انصرف قام قائمًا، فقال:(**عُدِلَتْ شَهَادَةُ الزُّورِ بِالشِّرْكِ بِاللهِ**) [2]. قالها ثلاث مرات، ثم تلا قوله تعالى:{وَٱجۡتَنِبُواْ قَوۡلَ ٱلزُّورِ } [الحج: ٣٠].

لذا وجب علينا الامتناع عن قول الزور، لأنه يمحو البركة ليس في النفس فقط، ولكن محوها في العقب أي: في الأولاد وما يعقبهم من قلة البركة، وعدم طاعتهم لآبائهم، بل وعقوقهم، والأخطر من ذلك أن هذا اليمين يغمس صاحبه في نار جهنم، لا يخرج منها إلا إذا وَفَّى صاحب الحق حقه، فمن أين له أن يوفي حق المظلوم في يومٍ أصبح الحساب فيه بلا عمل، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :(**الْيَمِينُ الْغَمُوسُ تَفَرُ الدِّيَارَ بَلاَ قِعَ**). وفي رواية أخرى:(**الْيَمِينُ الْفَاجِرَةُ تَدَعُ الدِّيَارَ بَلاَ قِعَ**) [3].

([1]) البخاري (2511)، ومسلم (143 - 87).

([2]) سنن ابن ماجة حديث رقم: (2372/2)، تعليق الشيخ: محمد فؤاد عبد الباقي.

([3]) رواه البيهقي برقم (350/10)، وصححه الألباني، وأخرجاه الترمذي، والحاكم من طريق يحي بن أيوب القافقي في (تخريج الفضائل) برقم: (783).

ومعنى: تَفَرُ الديار بلا قع، أو تدعُ الديار بلا قع، أي: تركوا البيوت، أو الديار دمارًا خرابًا صَفْصَفًا، لا ترى فيها عِوَجًا ولا أمتى، يصاب صاحبها بأسقامٍ وأمراضٍ في بدنه يصعب علاجها كأورام سرطانية في الكبد، أو الطحال، أو الرئة، أو إحراق في بيته، أو فقد أحد أولاده وفلذة كبده، ليجعله يتجرع العلقم من فَرْطِ الندم، وفي تلك اللحظة فلا مُجِيرَ وَلاَ مُسْتَجِيَر إلا علاَّمَ الغيوب الذي عنده كل الحلول لكل صعب عسير، فَالْمَرْءُ عَلى ما ينطق به لسانه، ويصدق به كيانه، لأن شاهد الزور تعرفه الناس من سواد وجهه وانكساره وذلة نفسه في حياته الدنيا، أما عند احتضاره فيعرفهُ الْمُغَسِّلُ من سُوءِ مُنْقَلَبِهْ.

لذا وجب على المرء المسلم أن يملك لسانه حتى يجنبه شَرَّ نفسه، فلا يتكلم إلا بما هو صالح لنفسه ولمجتمعه، ولا يترك للسانه العنان أن يخوض في الباطل فيقذف المحصنات الغافلات فيتعرض لهتك عرضهن، لأن من يدخل في ذلك الباب، فكأنما دخل في هُوَّةٍ خطيرةٍ تحرق أبدانه ليصبح أثرًا بعد عين، أي: لا يصبح لوجوده أثرًا حتى في حياته من سواد وجهه ورائحة نتن لسانه، لأن ذلك من الموبقات والكبائر، لذا أعدَّ الله مرتكبي ذلك من الفاسقين، كما جاء في قول تعالى:{ وَٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ثُمَّ لَمۡ يَأۡتُواْ بِأَرۡبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجۡلِدُوهُمۡ ثَمَٰنِينَ جَلۡدَةٗ وَلَا تَقۡبَلُواْ لَهُمۡ شَهَٰدَةً أَبَدٗاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴿٤﴾} [النور: ٤].

ولقد أنكر الله تعالى على الذين يتلقون الشائعات بأفواههم ويرددونها دون وَعْيٍ ولا تفكيرٍ، فقال تعالى:{إِذۡ تَلَقَّوۡنَهُۥ} [النور: ١٥]، أي: حديث الإفك{إِذۡ تَلَقَّوۡنَهُۥ بِأَلۡسِنَتِكُمۡ وَتَقُولُونَ بِأَفۡوَاهِكُم مَّا لَيۡسَ لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞ وَتَحۡسَبُونَهُۥ هَيِّنٗا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٞ ﴿١٥﴾} [النور: ١٥].

ثم أرشد الله المسلمين إلى ما يجب عليهم إذا سمعوا مثل هذا الكذب، فقال:{لَّوۡلَآ إِذۡ سَمِعۡتُمُوهُ ظَنَّ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمۡ خَيۡرٗا وَقَالُواْ هَٰذَآ إِفۡكٞ مُّبِينٞ ﴿١٢﴾}

وقال سبحانه: {وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾} [النور: ١٦].

فعَلَّمَ الله المؤمنين إذا سمعوا أحدًا يخوض في عِرْضِ مؤمنٍ أو مؤمنةٍ أن يردُّوا عليه كلامه، وألا يخوضوا معه فيه، وإلا كانوا معه في الإثم سواء.

إن الإسلام يجب أن يقيم للمسلمين مجتمعًا شريفًا عفيفًا، طاهرًا نقيًا، تختفي منه الرذيلة، وتنتشر فيه الفضيلة، ولن يتم ذلك إلا بصيانة الأعراض عن الألسنة التي تطاول عليها، بزجر أهلها عن هذا التطاول بإقامة الحد عليهم ورد شهادتهم، وحين يتعلم المسلمون الستر على من ابتلى بسوء، وإمساك ألسنتهم عن ذكر عورات الناس، يُحجم أهل السوء عَمَّا أرادوا، إذ يغلب على ظنهم أنه ليس في المجتمع من يجيبهم إلى طلبهم، وأما حين تنطلق الألسنة في انتهاك أعراض المسلمين، والخوض في زلاَّتهم، فإن ذلك يُشجع أهل الرَّيب على ما يريدون، حيث يُقَوِّي هذا الخوض في نفوسهم ظنَّ القدرة على الوصول إلى ما يريدون فـ(**يَا مَعْشَرَ مَنْ آمَنَ بِلِسَانِهِ وَلَمْ يَدْخُلِ الْإِيمَانُ قَلْبَهُ ، لَا تَغْتَابُوا الْمُسْلِمِينَ ، وَلَا تَتَّبِعُوا عَوْرَاتِهِمْ، فَإِنَّهُ مَنِ تَتَبَّعَ عَوْرَةَ أَخِيهِ الْـمُسْلِمِ ، تَتَبَّع اللهُ عَوْرَتَهُ ، وَمَنْ تَتَبَّعَ اللهُ عَوْرَتَهُ يَفْضَحْهُ وَلَوْ فِي جَوْفِ رَحْلِهِ**) [1].

فيا معشر المسلمين لا تصدقوا كل ما تسمعون، بل لا تسمعوا كل ناعقٍ وفاسقٍ، وادفعوا عن عورات المسلمين، واحموا أعراضهم،

([1]) حديث صحيح: رواه الإمام أحمد في مسنده، وأبي داود في سننه عن أبي برزة الأسلمي، وجاء في المشكاة برقم: (5044)، وصحيح الجامع برقم: (7984 - 3078).

فـ(مَنْ حَمَى مُؤْمِنًا مِنْ مُنَافِقٍ ، بَعَثَ اللهُ مَلَكًا يَحْمِي لَحْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ نَارِ جَهَنَّمَ، وَمَنْ رَمَى مُسْلِمًا بِشَيْءٍ يُرِيدُ شَيْنَهُ حَبَسَهُ اللهُ عَلَى جِسْرِ جَهَنَّمَ حَتَّى يَخْرُجَ مِمَّا قَالَ) [1] أ.هـ.

فمن المهانة للمرء المسلم أن لا يملك زمام لسانه حتى دفعه الفضول وَجَرَّهُ الخوض في الباطل أن يكشف عِرْضَ نفسه على كل من هَبَّ وَدَبَّ ولا يستر عورة نفسه، وعورة بيته، فيخوض فيما ليس له الحق في الخوض فيه.

فقد روى مسلم من حديث أبي هريرة رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:(كَفَى بِالْمَرْءِ إِثْمًا أَنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ) [2].

وروى أيضًا من حديث أبي سعيد الخدري رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:(إِنَّ مِنْ أَعْظَمِ الْأَمَانَةِ، عَنْدَ اللهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الرَّجُلُ يُفْضِي إِلَى امْرَأَتِهِ وَتُفْضِي إِلَيْهِ، ثُمَّ يَنْشُرُ سِرَّهَا) [3].

فلحظات النجوى بين الرجل وزوجته أي: الدخول إلى الخلوة والانبساط في الكلام بأجمل العبارات وألطفها، لها حرمة الأمانة، والعلاقات الزوجية لها قداستها، وهي سِرٌّ بين الزوجين يجب أن يُصَان عن القريب والبعيد، ويجب أن يُوضع له خَطٌّ أَحْمَرٌ لا تتعدَّاه الأسرارُ، ولا يخرج من حجرة الزوجية، فإن من المجانة أن يحدث الرجل أو تثرثر المرأة بما يدور بينها وبين زوجها، فتلك وقاحة يبرأ منها أدب

([1]) الوصايا المنبرية للشيخ/ عبد العظيم بدوي، ص: 72-73، والحديث جاء في صحيح سنن أبي داود برقم: (4083)، وسنن أبي داود (عون المعبود) برقم: (13/224/4859).

([2]) رواه مسلم في المقدمة (3) باب النهي عن الحديث بكل ما سمع (الحديث 5/5) من طريق خبيب بن عبد الرحمن عن حفص بن عاصم عن أبي هريرة رضى الله عنه ومن طرق أخرى عدة.

([3]) رواه مسلم (1437)، وأبو داود (4870)، وأحمد (112528) وكلهم عن أبي سعيد الخدري رضى الله عنه.

الإسلام وتنفر منها آذان أصحاب العقول السَّوِيَّةِ السلمية، فعن أسماء بنت يزيد رضى الله عنها أنها كانت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم والرجال قعود عنده فقال:(لَعَلَّ رَجُلًا يَقُولُ مَا يَفْعَلُ بِأَهْلِهِ، وَلَعَلَّ امْرَأَةً تُخْبِرُ بِمَا فَعَلَتْ مَعَ زَوْجِهَا، فَأَرَمَّ الْقَوْمُ، فَقُلْتُ: إِي وَاللهِ يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّهُنَّ لَيَقُلْنَ، وَإِنَّهُمْ لَيَفْعَلُونَ، قَالَ: فَلَا تَفْعَلُوا، فَإِنَّمَا ذَلِكَ مِثْلُ الشَّيْطَانِ، لَقِيَ شَيْطَانَةً فِي طَرِيقٍ، فَغَشِيَهَا وَالنَّاسُ يَنْظُرُونَ) [1].

ومعنى أرم القوم: أي أمسكوا عن الكلام في خجل وحياء، فلا يجوز للزوج أو الزوجة التحدث بأسرار الجماع، وَلاَ أَيَّ سِرٍّ يُخْدِشُ جِدَارَ الزوجية، لأن هذا يدل على سقوط المروءة وعدم الحياء، فقد روى مسلم من حديث أبا سعيد الخدري أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إِنَّ مِنْ أَشَرِّ النَّاسِ، عَنْدَ اللهِ مَنْزِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ الرَّجُلَ يُفْضِي إِلَى امْرَأَتِهِ وَتُفْضِي إِلَيْهِ، ثُمَّ يَنْشُرُ سِرَّهَا) [2].

يوضح هذا الحديث تحريم إفشاء الرجل ما يجري بينه وبين امرأته من أمور الاستمتاع، ووصف تفاصيل الجماع، فإن لم تكن فيه فائدة ولا إليه حاجة فمكروه لأنه خلاف المروءة، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ).

وإن كان إليه حاجة أو ترتب عليه فائدة بأن ينكر عليه إعراضه عنها أو تَدَّعِي عليه العجز عن الجماع، أو نحو ذلك، فلا كراهة في ذكره

([1]) حسن لغيره: رواه أحمد وضعفه الشيخ الألباني في ضعيف الترغيب والترهيب (2022) لكن ذُكِرَ في آداب الزفاف (71) وأن له شواهد من حديث أبي هريرة عن أبي شيبة، وأبي داود والبيهقي، وابن السني، وشواهد أخرى، لذا قال: (فالحديث بهذه الشواهد صحيح أو حسن على الأقل).

([2]) مسلم: (1437-123).

كما قال صلى الله عليه وسلم :(**إني لأفعله أنا وهذه**)، وقال لأبي طلحة:(**أَعْرَّسْتُمُ اللَّيْلَةَ ؟**) وقال لجابر:(**الْكَيْسَ الْكَيْسَ**) [1] أهـ.

قال الشيخ محمد حسان: أن من أجمل ما قرأت في هذا الباب؟ أَنَّ رَجُلاً من العقلاء الصالحين الأمناء أراد أن يُطِّلقَ امرأته لخلافٍ حدث بينهما؛ فذهب إليه بعض الناس، وقالوا: لماذا تريد أن تطلقها؟ ما الذي يريبك منها؟ فَرَدَّ هذا الرجل الأمين، وقال: العاقل لا يهتك سِتْرَ امرأته**!** وَقَدَّرَ اللهُ - جل وعلا - فطلقها، فذهبوا إليه - بعدما طلقها - وقالوا: لقد طلقتها فلماذا طلقتها؟ قال: ما لي ولامرأة غيري**!** أَيُّ أمانةٍ هذه؟**!** هؤلاء هم الأمناءُ حَقًّا [2] أهـ.

لذا وجب على المرء أن يملك لسانه ويلجمه بلجامٍ من التقوى، ولا ينسى في أي وقت من الأوقات أَنْ يُوقِعَهُ هذا اللسان في الحرج والاعتذار كما تقول الحكمة: (إِيَّاكَ وَمَا يُعْتَذَرُ مِنْهُ) كما جاء في مسند الإمام أحمد، وسنن ابن ماجة عن أبي أيوب رضى الله عنه أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :(**إِذَا قُمْتَ فِي صَلَاتِكَ، فَصَلِّ صَلَاةَ مُوَدِّعٍ، وَلَا تَكَلَّمْ بِكَلَامٍ تَعْتَذِرُ مِنْهُ، وَأَجْمِعِ الْإِيَاسِ عَمَّا فِي أَيْدِي النَّاسِ**) [3].

فاحرص عبد الله أن تكون مالكًا للسانك، لأنك لو ملكته فأنت سالمٌ غَانِمٌ، وإذا تركته فأنت هَالِكٌ خَاسِرٌ، لأنه هو العضو الوحيدُ الذي يُبْدِي عيوب صاحبه.

وَزِنِ الكَلَامَ إِذَا نَطَقْتَ فَإِنَّمَا ... يُبْدِي عُيُوبَ ذَوِى العُقُولِ الْمَنْطِقُ

---

(1) صحيح مسلم بشرح النووي: (234/5).
(2) أحداث النهاية - الشيخ/ محمد حسان، ص185.
(3) السلسلة الصحيحة برقم (401)، وصحيح الجامع برقم: (742).

وأحسن ما قيل أيضًا في ذلك الشأن:

إذا شِئْتَ أنْ تَحْيَا سَلِيمًا مِنَ الأَذَى :: وَحَظُّكَ مَوْفُورٌ وَعِرْضُكَ صَيِّنُ
لِسَانُكَ لاَ تَذْكُرْ بِهِ عَوْرَةَ امْرِىءٍ :: فَكُلُّكَ عَوْرَاتٌ وَلِلنَّاسِ أَلْسُنُ

فالعاقل حَقًّا هو الذي يزن كلامه بميزانٍ من ذهب، لأنه يُعَبِّرُ عن ميزان المرء الحقيقيُّ عند الناس، فإذا صادفك رجلٌ قد ظهر عليه الوقارُ، أي: وقار الملبس والمنظر، وترك ذلك أثرًا في داخلك بإحساس المصادقة، أو المصاهرة، والتمسك به على أنه: (هَامَهُ وَقَامَهْ)، ثم يسقط من نظرك فجأةً عند أول حركة من حركات لسانه عندما تكلم بكلام صغيرٍ لم يَرْقَ إلى هذه القامةُ وهذه الهامةُ، فأصبح كالطفل الصغير الذي يعبث بلسانه فيطلق الصَّفِيرَ، أو الغناءَ في جِلْسَةٍ تَتَّسِمُ بِالْوَقَارِ، فتقول في نفسك كما تقول الْعَامَّةُ: (والله إنك لرجل هايف) لذا وجب على كل عاقلٍ لبيب رشيدٍ أن يَزِنَ ألفاظهُ، ويضبطَ كلماتهُ قبل أن ينطق بها، لأن الكلمة الواحدة ترفع شأن بلاد، والكلمة الواحدة تدمر شأن بلاد، والكلمة الواحدة ترفع رجالاً، فتجعلهم هَامَاتٌ وَقَامَاتٌ، والكلمة الواحدةُ تَذِلُّ رجالاً وتجعلهم في صفوف السجناء ومحل شَكٍّ واتهاماتٍ، فقد روى أن أبا حنيفة رحمه الله كان يلقي على تلامذته درس فقه، وكان مَادًّا رِجْلَيْهِ، فدخل المسجد رجل حسن الهيئة فارع الطول، وأتى حلقة أبي حنيفة ليستمع، فضم أبو حنيفة رجليه احترامًا للقادم، أي: احترامًا لهذا الرجل، وظل يلقي درسه، حتى وصل إلى قوله: وقت المغرب يبدأ من غروب الشمس إلى غياب الشفق الأحمر من السماء، فقال هذا الرجل: يا شيخ**!** أرأيت إن لم تغرب الشمس؟**!** فقال أبو حنيفة: الآن آن لأبي حنيفة أن يَمُدَّ رجليه، فلو ظل ساكتًا، أو صامتًا، لظل أبو حنيفة على احترامه وتقديره لهذا الرجل،

لكنه عندما تكلم وقال ما قال علم قدره، فعند ذلك قال مقولته وأعطاه من التوقير على قدر ما خرج من لسانه لا على قدر هيبته وحسن هيئته، لذا أصبحت الحكمة بليغة في ذلك الشأن حيث قالت: (إذا كان الكلام من فضة فالسكوت من ذهب) لأن سبيل نجاة المرء امتلاك لسانه، كما جاء في الحديث الصحيح من حديث عقبة بن عامر رضى الله عنه أنه قال: لقيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فَابْتَدَأْتُهُ فَأَخَذْتُ بِيَدِهِ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللـهِ مَا نَجَاةُ الْـمُسْلِمِ؟ قَالَ:(**يَا عُقْبَةُ أَمْلِكَ عَلَيْكَ لِسَانَكَ**) [1].

قال محمد بن المنكدر: (إِذَا وَجَدَ الرَّجُلِ وَهَنًا فِي بَدَنِهِ، وَقَسْوَةً فِي قَلْبِهِ، وَ إِدْبَارًا فِي رِزْقِهِ، فَلْيَعْلَمَ عِلْمَ الْيَقِينِ أَنَّهُ قَدْ خَاضَ فِي عِرْضِ أَخِيهِ)، ولذلك عندما ذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم ليعود طفلاً مريضًا قد أشرف على الموت فقالت أمه: أَنَّ لَهُ الجنَّةَ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :(**وَمَا أَدْرَاكِ أَنَّهُ قَدْ خَاضَ فِي عِرْضِ أَخِيهِ**).

* * *

التَّخْوِيفُ مِنَ الْغَيْبَةِ

من عكف على الغيبة واستحلها لنفسه واستلذ بما يطلقه لسانه ليجرح الصالح والطالح ويتفوَّهَ بما ليس له من علم، وبما له به عِلْمِ مَنْ أَمْرِ مَنْ يغتابه ويتناول عِرْضَهُ فَيُمَزِّقْهُ تَمْزِيقًا، وجب عليه أن يُقلعَ عن ذلك الأمر على الفور وليعلم أن كل ما يُخرجه من فاهه في ذلك الشأن هو من الكبائر،

([1]) السلسلة الصحيحة برقم: (890، 891)، وأحمد (الفتح الرباني) برقم: (19/184/35).

لما رواه أبو داود من حديث أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:(**إِنَّ مِنْ أَكْبَرِ الْكَبَائِرِ اسْتِطَالَةُ الرَّجُلِ فِي عِرْضِ رَجُلٍ مُسْلِمٍ بِغَيْرِ حَقٍّ ، وَمِنَ الْكَبَائِرِ السَّبَّتَانِ بِالسَّبَّةِ**) [1].

فالدخول في عِرْضِ المسلم أعظم على المرء وأخطر من أكل الربا، فقد روى الطبراني في (الأوسط) عن البراء بن عازب - رضى الله عنه - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:(**الرِّبَا اثْنَانِ وَسَبْعُونَ بَابًا، أَدْنَاهَا مِثْلُ إِتْيَانِ الرَّجُلِ أُمَّهُ، وَأَرْبَى الرِّبَا اسْتِطَالَةُ الرَّجُلِ فِي عِرْضِ أَخِيهِ**) [2].

وروى البزار من حديث أبي هريرة رضى الله عنه أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :(**مِنْ أَرْبَى الرِّباَ اسْتِطَالَةُ الْمَرْءِ فِي عِرْضِ أَخِيهِ**) [3].

ثم نَفَّرَ اللهُ مِنْ أَمْرِ الغيبة، وَصَوَّرَ من يغتاب أخيه في أبشع صُورَةٍ، كالكلب الذي يأكل لحم أخيه مَيْتًا حيث جاء في قوله تعالى: {يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغۡتَب بَّعۡضُكُم بَعۡضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمۡ أَن يَأۡكُلَ لَحۡمَ أَخِيهِ مَيۡتٗا فَكَرِهۡتُمُوهُۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٞ رَّحِيمٞ ١٢} [الحجرات: ١٢].

فعن عمرو بن العاص رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مَرَّ عَلَى بَغْلٍ مَيِّتٍ فَقَالَ لِبَعْضِ أَصْحَابِه:(**لأَنْ يَأْكُلَ الرَّجُلُ مِنْ هَذَا حَتَّى يَمْلأَ بَطْنَهُ ، خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ رَجُلٍ مُسْلمٍ**) [4].

([1]) صحيح لغيره: رواه أبو داود وصححه الألباني في (صحيح الترغيب) برقم: (2832).

([2]) صحيح: رواه الطبراني في (الأوسط) وقال الألباني في (صحيح الترغيب) صحيح لغيره برقم: (2830).

([3]) صحيح لغيره: رواه البزار، وصححه الألباني في صحيح الترغيب،، برقم: (2832).

([4]) رواه أبو الشيخ ابن حبان وغيره موقوفًا، وصححه الألباني برقم: (2838).

وروى أبي بكر بن أبي شيبة والطبراني من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال: **كُنَّا عِنْدَ النَّبِي صلى الله عليه وسلم فَقَامَ رَجُلٌ، فَوَقَعَ فِيهِ رَجُلٌ مِنْ بَعْدِهِ، فَقَالِ النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم :(تَخَلَّلْ)، فَقَالَ: وَمَا أَتَخَلَّلُ؟ مَا أَكَلْتَ لَحْمًا! قَالَ:(إِنَّكَ أَكَلْتَ لَحْمَ أَخِيكَ)** [1].

وبالرغم من التحذير من هذا الفعل الشنيع إلا أن ابن آدم يحلوا له الخوض في ذلك المقام، لأن شيطان الإنس يَجُرُّ صاحبه إلى التَّحَلُّقِ في حلقات الغيبة والنميمة، ليدخل في عرض أخيه، فيخوض في الباطل بلا حياءٍ، أو خجل مِمَّا لا تخفيِ عليه خَافَيِةٌ في الأرض ولا في السماء، وبدلاً من أين يتحلقون في حِلقِ مجالسِ العلِم والذكِر تَحَلَّقُوا في مجالس اللهو والعبث وقذف المحصنات، ولا تسلم المجالس من ذلك حتى مجالس الرؤساء والوزراء والتربية والتعليم والمحاكم ومجالس المدينة وغيرها من الوظائف حتى النوادي والمقاهي يجعلون هذا الأمر فاكهة المجالس والمنتديات وسبب ذلك كله شيطان الإنس الذي جَنَّدَهُ شيطان الجن، كما جاء في قوله تعالى:{إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُواْ كَانُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾ وَإِذَا مَرُّواْ بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمُ ٱنقَلَبُواْ فَكِهِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوٓاْ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ ﴿٣٢﴾ وَمَآ أُرْسِلُواْ عَلَيْهِمْ حَٰفِظِينَ ﴿٣٣﴾ فَٱلْيَوْمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنَ ٱلْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴿٣٤﴾ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٣٥﴾ هَلْ ثُوِّبَ ٱلْكُفَّارُ مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾} [المطففين: ٢٩ - ٣٦].

فهذا نذير من الله، فمن أقلع عن ذلك فقد فاز ونجا، ومن ظَلَّ على حاله، فقد أَغْوَتْهُ شياطين الإنس والجن، وأمهله الله إلى يوم الْحَسْرَةِ حتى ينفذ فيه أمرهُ كما جاء في قوله تعالى:{وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ ٱلْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ} [مريم: ٣٩]،

([1]) صحيح لغيره: حديث غريب، رواه أبي بكر بن أبي شيبة والطبراني، واللفظ له، ورواته رواه الصحيح، وصححه الألباني في (صحيح الترغيب) برقم: (2837).

{ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْأَزِفَةِ إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ كَٰظِمِينَ ۚ مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴿١٨﴾ } [غافر: ١٨].

قال مالك ابن دينار: (إِنَّ شَيْطَانَ الإِنْسِ أَشَدُّ عَلَيَّ مِنْ شَيْطَانِ الجِنِّ، لأَنَّ شَيْطَانَ الجِنِّ إِذَا ذَكَرْتُ اللهَ ذَهَبَ عَنِّي، أَمَّا شَيْطانُ الإِنْسِ فَيَجِيؤُنِي لِيَجُرُّونِي إِلَى الْمَعَاصِي عَيَانًا)، وما السبيل إلى ذلك؟ والمخرج من هذا المنزلق الخطير؟

* * *

وَكَيْفَ يَتَخَلَّصُ الْمَرْءُ مِنَ الْغَيْبَةِ؟

بِخَمْسَةِ أُمُورٍ:

1- **أن تعلم:** أن الغيبة من الأمور التي تعرضك لسخط الله وغضبه، وأن تستحضر ما ذكر من الأخبار في ذَمِّ الغيبة.

2- **أن تعلم:** أنك بذلك تنتقل حسناتك إلى من اغتبته حتى تصل إلى درجة الإفلاس، وذلك في يوم تكون أحوج إلى الحسنة الواحدة التي تنجو بها من النار، وتدخل بها الجنة.

3- **هل تُحِبُّ أن يغتابك أحد، ويستهزئ بك في المجالس؟** بالطبع: لا، فعامل الناس بما تُحب أن يعاملوك به.

4- **أن تُطهر قلبك من الأسباب الباعثة على الغيبة كالحقد**، والحسد، وحب المدح، وغير ذلك من أمراض القلوب.

5- **إذا حَدَّثَتْكَ نفسك بذكر عَيْبٍ في مسلم**، فَفَتِّشْ في نفسك، فإنك وَاجِدٌ ذلك أو أشد، فإن لم تجد، فإن الانشغال بعيوب الناس من أعظم العيوب.

قال الحسن البصري – رحمه الله –: يا ابن آدم، إنك لن تصيب حقيقة الإيمان حتى لا تعيب الناس بعيب هو فيك، وحتى تبدأ بإصلاح ذلك العيب من نفسك، فإذا فعلت ذلك، كان شغلك في خاصَّةِ نفسك، وأحب العباد إلى الله من كان هكذا [1] أهـ.

إذن وجب على ابن آدم إذا جلس مجلس الغيبة أن يَذُبَّ عن عرض أخيه، وَإلاَّ أصبح مُشَارِكًا في الغيبة، وليعلم أَنَّ مَنْ رَدَّ عن عرض أخيه، رَدَّ الله عن وجهه النار يوم القيامة، وأعتقه من نار حَرُّهَا شديدٌ، وعذابها مؤُجِعٌ أَلِيمٌ، وَمَقَامِعُهَا من حديد، كما روى الإمام أحمد من حديث أسماء بنت يزيد رضى الله عنها أنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :(**مَنْ ذَبَّ عَنْ عِرْضِ أَخِيهِ بِظَهْرِ بِالْغَيْبَةِ، كَانَ حَقًّا عَلَى اللهِ أَنْ يُعْتِقَهُ مِنَ النَّارِ**) [2].

وروى الترمذي من حديث أبي الدرداء رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:(**مَنْ رَدَّ عَنْ عِرْضِ أَخِيهِ، رَدَّ اللهُ عَنْ وَجْهِهِ النَّارَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**) [3].

أما قوله صلى الله عليه وسلم :(**وليحفظ البطن وما حوى**).

أي: تحفظ كل ما يدخل في جوفك حتى يستقر في معدتك من شبهة الحرام، لأن (كل لحم نبت من سحت فالنار أولى به) والسُّحْتُ هو: أكل الحرام، والمعنى: أن كل قطعة لحمٍ نبتت في جسدك، وكبرت ونمت من الحرام وأصبحت عضلات

---

(1) المبتكرات في الخطب والمحاضرات، الشيخ/ وحيد عبد السلام بالي ص: 241.

(2) صحيح لغيره: رواه الإمام أحمد بإسناد حسن وصححه الألباني في (صحيح الترغيب)، برقم: (2847).

(3) صحيح لغيره: رواه الترمذي، وقال: حسن صحيح، وصححه الشيخ الألباني برقم: (1931)، وأحمد برقم: (26995).

تجري فيها الدماء فهي حرام وأنت مسئولٌ ومحاسبٌ عنها يوم القيامة، وليس الأمر عند ذلك الْحَدِّ فقط، بل أنت مسئولٌ أَيْضًا عن النطفة التي خرجت منك إلى زوجتك وصارت بعد ذلك طِفْلاً، أنت مسئول عنها أيضًا، لتصبح مسئولاً بين يَدَيْ مَوْلاَكَ يسألك الله عنها يوم القيامة، ويسألك ولدك أيضًا عنها وأنت موقوفٌ عند السؤال في اليوم الذي يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه لكل امرءٍ منهم يومئذ شأن يغنيه.

أَذْكُرُ يَوْمًا وكنت أستقل القطار عائدًا من المدينة إلى قريتي، وكان ذلك في أوائل السبعينات حيث كنت في المرحلة الإعدادية آنذاك، وقد ركب بجواري رَجَلٌ يظهر عليه أنه مَوُظَّفٌ حُكُومِيٌّ وظهرت على هيئته علامة ٱلأُبَهَّةِ في ثيابهِ: البنطلون الشيك، والقميص الشيك، والحذاء اللامع، وبعد أن اطمأن جالسًا تكلم بصوتٍ مسموعٍ، وكأنه يريد أن يقول لي شيئًا، فقال ما رأيك في بطنٍ قد اعتادت على الحرام؟ فقلت وأنا أتلعثم الكلمات: أنها لا تَشْبَعُ أَبَدًا فقال الرجل وكأنهُ قد سمع عِبَارَةَ إِنْقَاذٍ، وأشار إلى نفسه وقال: أنا، فقلت: ولم تقول عن نفسك هكذا؟ قال: لأنني أريد أن أتخلص مما أنا فيه، ولا أقدر، وكلما جلست إلى نفسي وحاولت أن أمتنع عن ذلك، جَرَّتْنِي نَفْسِيَ ٱلأَمَّارَةُ بِالسَّوءِ إلى ما أنا فيه، حتى أصبحت بطني هي الأخرى تجرني إلى ذلك، ثم أقسم لك: أن زوجتي كانت تُجَهِّزُ للغداء دجاجتين، دجاجة لها وللأولاد، ودجاجةٌ آكُلُهَا وَحْدِي، وإذا انتقص منها شَيْئًا أُحُسُّ بأحشائِي تَدْفَعُنِي دَفْعًا، لأتزود من الطعام ما بقي، فقلت له: هذا مَرَضٌ وعليك بالعلاج، قال: هذا ليس مَرَضٌ عُضْوِيٌّ، ولكنهُ مَرَضُ السَّرِقةِ. قلت: وكيف؟ قال أنا أعمل في مخازن الزراعة، وهذا المخزن يتبع جمعية زراعية، ويوجد بالمخزن مواد سائلة لرش المحصولات الزراعية،

كالقطن والأرز وغيرهما من المحصولات الزراعية، ثم أذهب إلى المخزن لَيْلاً وآخذ المبيد الخاص برش تلك المحصولات وأضعه في (جركل كبير) ثم أضع مكانه (الكيروسين) وأقوم ببيعه في السوق السوداء وأصرف على نفسي وأولادي، وكنت أتمنى في تلك الآونة أن يطول الحوار، وتطول المسافة، لكن القطار وصل إلى محطة البلدة التي كنت أقطن فيها، ونزلت من القطار، وأنا ساعتها لاَ أَعِيَ مَا يُقَالُ في تلك الآونة إلا قليلاً، ولكنني عندما قرأتُ وَعَيْتُ ما قاله هذا الرجل، علمتُ حَقًّا أَنَّ بركةَ النفس والجسد والولد، وَالمطْعَمُ الطيبُ، يثمر الثمر الطيب بكسب اليد الحلال، ولا يبارك الله فيه، إلا بالكسب الطيب الحلال الممزوج بالعرق والتي تُحِسُّهُ النَّفْسُ الطيبةُ عندما تتساقط حَبَّاتُهُ الممزوجة بالراحة والسعادة والهناء على الخدود والوجنات [1] أهـ.

قال الحق - جل وعلا:{وَلَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ} [البقرة: ١٨٨].

{يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ} [النساء: ٢٩].

أي: أن الله تبارك وتعالى حَرَّمَ أكل أموال الناس بما لا تُبِحْهُ الشريعة، أي: بِغَيْرِ وَجْهٍ شَرْعِيّ، كالرشوة والغصب والسرقة والرَّشْوَةِ قد لعنها رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال في الحديث الذي أخرجه الترمذي من حديث أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:(لَعَنَ اللهُ الرَّاشِي وْالْمُرْتَشِي وَالرَّائِشْ)، وفي رواية أخرى:(لَعَنَ اللهُ الرَّاشِي وَالْمُرْتَشِي فِي الْحُكْمِ)[2].

([1]) أ. هـ هذه ليست قصة تروى ولكنها حقيقة حدثت، وكنت طرفًا في الحوار مع صاحبها.

([2]) الحديث رواه الإمام أحمد في مسنده، والترمذي، والحاكم عن أبي هريرة رضي الله عنه، وجاء في الروض النضير برقم (554/1)، وغاية المرام (457)، والإرواء (2621)، وجاء في صحيح الجامع برقم: (5093).

والرائش: هو الواسطة الذي يمشي بينهما، وأما الراشي وهو الذي أعطى لم يسلك له العمل المطلوب مثل الهدية، وأما المرتشي هو الذي اغتصب مالاً، أو هديةً بغير حق وسيسأل عنه يوم تَبْيَضَّ وجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ.

أَمَّا الغَضْبُ وَالسَّرِقَةُ، فَهُوَ أَخْذُ مَا لَيْسَ لَـهُ حَقٌّ فيـهِ قَهْرًا، أو ظُلْمًا، أو احْتِيَالاً، أَوْ خِلْسَةً دون أن يراهُ النَّاسُ.

ولذلك وجب على القاضي، أو الذي يحكم في مثل هذه الأحكام خارج المحكمة كالجلسة العرفية أن يَتَحَرَّ الدقة في تلك الأمور، فإذا تيقن وقضى بنحو ما يرى عن بصيرةٍ وعلمٍ وَتَشَهَّدَ به الشهود، وأيقن أنه لا يحلُّ حَرَامًا، وَلاَ يُحَرِّمُ حَلاَلاً، فهو مأخوذ على نيته، ومأجورٌ عليها بإذنه تعالى، لأن القاضي بَشَرٌ يُخْطِئُ وَيُصِيبُ، والمعصوم هو محمد صلى الله عليه وسلم، فقد ورد في الحديث المتفق عليه من حديث أم سلمة رضى الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:(**أَلاَ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ ، وَإِنَّمَا يَأْتِينِي الْـخَصْمُ ، فَلَعَلَّ بَعْضَكُمْ أَنْ يَكُونَ أَلْـحَنَ بِحُجَّتِهِ مِنْ بَعْضٍ، فَأَقْضِيَ لَـهُ ، فَمَنْ قَضَيْتُ لَهُ مِنْ حَقِّ مُسْلِمٍ فَإنما هِيَ قِطْعَةٌ مِنْ نَارٍ فَلْيَحْمِلْهَا أَوْ لِيَذَرَهَا**) [1].

فَدَلَّ الحديثُ على أن حُكْمَ الْحَاكِمِ لا يغير الشيءِ في نفس الأمرِ، فلا يُحِلُّ في نفس الأمر حَرَامًا هو حَرَامٌ، وَلاَ يُجَرِّمُ حَلاَلاً هو حَلاَلٌ، وإنما هو مُلْزِمٌ في الظاهر، فإن طَابَق في نفس الأمر فذاك، وَإِلاَّ فَلِلْحَاكِمِ أَجْرُهُ وعلى الْمُحْتَالِ وِزْرُهُ [2] أهـ.

([1]) أخرجه البخاري (2534) و(6566)، وأبو داود (3583)، والترمذي (1339)، والنسائي في (المجتبى) (5416) و(5437) وفي (الكبرى) (5985)، وابن ماجة (2317)، ومالك (463)، والشافعي (731)، وأحمد (35142)، وابن أبي شيبة (426/8)، وأبو يعلى (6881)، وابن حبان (5070)، والطبراني في (الكبير) (803)، والدارقطني (239/4)، والبيهقي (21088)، من حديث أم سلمة رضى الله عنها.

([2]) صحيح تفسير ابن كثير، (219/1).

وَالْفَرْجُ مُتَّصِلٌ بِالْبَطْنِ، وقد أوجب رسول الله صلى الله عليه وسلم الجنة لمن حافَظَ على فَرْجِهِ، فقد جاء في مسند الإمام أحمد، وصحيح ابن حبان، والحاكم من حديث عُبَادَةَ بن الصَّامِتِ رضى الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:(**اضْمَنُوا لِي سِتًّا مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَضْمَنْ لَكُمْ الْجَنَّةَ: اصْدُقُوا إِذَا حَدَّثْتُمْ، وَأَوْفُوا إِذَا وَعَدْتُمْ، وَأَدُّوا إِذَا اؤْتُمِنْتُمْ، وَاحْفَظُوا فُرُوجَكُمْ، وَغُضُّوا أَبْصَارَكُمْ، وَكُفُّوا أَيْدِيَكُمْ**) [1].

وقد جعل الله سبحانه وتعالى حفظ الفرج سببًا من أسباب الفلاح في الدنيا والآخرة، أما في الدنيا فيكون في حفظ مائة، واعتياده على الحلال، فمن اعتاد الحلال، فلا يرى المتعة إلاَّ في حِلِّهِ، ولا يرى الجمال إلاَّ عندها، أي: زوجته، كما جاء في قوله تعالى:{قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿٢﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ﴿٤﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾} [المؤمنون: ١ - ٦].

فدلت آية حفظ الفرج على تعليق فلاح العبد على حفظ فرجه، وأنه لا سبيل له إلى الفلاح بدونه.

وتضمنت هذه الآية ثلاثة أُمُورٍ:

- من لم يحفظ فرجه لم يكن من المفلحين.

- من لم يحفظ فرجه أصبح من الملومين.

([1]) حديث حسن: أحمد (الفتح الرباني) (19/197/82)، وصحيح ابن حبان (632/2547)، والحاكم (4/359)، والسلسلة الصحيحة (1470)، وصحيح الجامع برقم: (1018).

من لم يحفظ فرجه أصبح من العـادين، ففاتـه الفلاح واستحق اسم العدوان ووقـع في اللوم، فمقاسـاة ألم الشـهوة ومعاناتهـا، أيسـر من بعض ذلـك، وقد أمر الله نبيـه أن يـأمر المؤمنين بغض أبصـارهم وحفظ فروجهم، وأن يعلمهم أنـه مشـاهد لأعمـالهم، مُطّلِـعٌ عليها، يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، ولما كان مبدأ ذلك من قبل البصر، جعل الأمر بغضه مقدمًا على حفظ الفرج، فإن الحوادث مبدؤها من النظر، كما أن معظم النـار مبدؤها من مستصغر الشرر، ثم تكون نظرةٌ، ثم تكون خطرةٌ، ثم خطوةٌ، ثم خطيئـةٌ، ولهـذا قيـل: مـن حفـظ هـذه الأربعـة أحـرز دينـه: اللحظـات، والخطـرات، واللفظات، والخطوات، فينبغي للعبد أن يكون بَوَّابَ نفسه على هذه الأبواب الأربعة، ويلازم الرباط على ثغورها [1] أهـ.

وقد روى الطبراني من حديث عبد الله بن بديل أنـه قـال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:(**يَا نَعَايَا الْعَرَبِ، يَا نَعَايَا الْعَرَبِ، ثَلاثًا، إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَـافُ عَلَـيْكُمُ الرِّيَاءَ ، وَالشَّهْوَةَ الْخَفِيَّةَ**) [2].

ومعنى: (**يا نعايا العرب**) أو يا نعاء العرب، أي: هلكت العرب بموت فلان، والنـاس في تلك الآونة إذا توفى كبير العائلة يرسلون (المنجب) والذي ينـادي في عربـة سيارة تسير لتطوف شوارع البلدة ومعلق عليها ميكروفون وينـادي ويقول: توفي إلى رحمة الله تعالى: كبير عائلة فلان الفلاني ثم يعدد شخصيات العائلة حسب سنهم ومؤهلاتهم.

([1]) أ. هـ محاسن التأويل للقاسمي: (295/7).

([2]) أخرجه الطبراني في (المعجم الكبير)، وابن عدي في (الكامل) (ق2/220)، وأبو نعيم في (الحلية) (122/7) و(أخبار أصبهان) (66/2)، والبيهقي في (الزهد) (2/37/2)، من طريق عبد الله بن بديل بن ورقاء الخزاعي عن الزهري عن عباد بن نعيم عن عمه مرفوعًا، ورواه ابن أبي حاتم (15/2/2) والهيثمي في (المجمع) (655/6)، والمنذري في (الترغيب) (190/3)، وصححه الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة برقم: (508).

أما قوله صلى الله عليه وسلم :(**والشهوة الخفية**) أي: من كان يختلس النظرة التي تحدث في قلبه شهوة خفية تؤثر على أعضائه، فقد حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم على الأمة التي بها مثل هذه الخصال بالفناء، ولو كانوا أحياء.

وأخرج الترمذي، وابن حبان من حديث أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:(**مَنْ وَقَاهُ اللهُ شَرَّ مَا بَيْنَ لَحْيَيْهِ وَشَرَّ مَا بَيْنَ رِجْلَيْهِ دَخَلَ الْجَنَّةَ**) [1].

ومعنى قوله صلى الله عليه وسلم :(**أن يذكر الموت والبلى**)، وَالْبِلَى، أي: من بلى الشيء إذا صار خلقًا متفتتًا، يعني تتذكر صيرورتك في القبر إذا صارت عظامًا متناثرةً [2] أهـ.

لذا وجب على ابن آدم أن يذكر الموت في أي وقتٍ أَحَسَّ فيه بغلظة قلبه، لأن في ذكر الموت ترقيق للقلوب الغليظة، فإذا أردت تليينها، وأن تذهب لله طائعةً ذَكِّرْهَا بالموت، ثم قُمْ بتذكيرها أيضًا في كل صلاةٍ تقيمُها بين يَدَيْ مَوْلاَكْ، كما جاء في سياق حديث الإمام أحمد، وابن ماجة من حديث أَبِي أَيُّوبَ ٱلأنَصْارِيَّ رضى الله عنه أنه قال: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: عِظْنِي وَأَوْجِزْ، فَقَالَ:(**إِذَا قُمْتَ فِي صَلَاتِكَ فَصَلِّ صَلَاةَ مُوَدِّعٍ**)[3].

([1]) أخرجه الترمذي (62/2)، وابن حبان (2546)، وأخرجه ابن أبي الدنيا في (الصمت) (20/42)، وأخرجه أحمد برقم: (362/5)، وأخرجه الحاكم (357/4) من طريق أبي واقد عن إسحاق مولى زائدة عن محمد بن عبد الرحمن بن ثوبان عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:(من حفظ ما بين لحييه ورجليه دخل الجنة)، وصححه الألباني في (السلسلة الصحيحة) برقم: (510).

([2]) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي: (331/6).

([3]) حديث صحيح: أحمد (الفتح الرباني) (19/185/37)، وسنن ابن ماجةً (20/1396/4171) والسلسلة الصحيحة برقم: (401)، وصحيح الجامع برقم: (742).

أي اعتبرها آخر صلاة لك، فاجعلها أمنيتك في الحياة لو حضرك الموت، فإن قيل لك تَمَنَّ، فتتمنَّى أن تصلي ركعتين، فإن ذلك يعينك على أن لا تُحَدِّثَ نَفْسَكَ بِشَيْءٍ من أمور الدنيا التي سَتُوَدِّعُهَا وتخرج منها، ويعينك على الإقبال بقلبك ووجهك على الله تعالى، ولذلك قال تعالى: {وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ﴿٤٥﴾} [البقرة: ٤٥].

فوصف الصلاة بِٱلْكِبَرَ وَالثِّقَلَ وَالْمَشَقَّةَ، واستثنى الخاشعين، فإنها سهلة يسيرة عليهم، ثم وصفهم بقوله:{ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿٤٦﴾} [البقرة: ٤٦].

فهم يعتقدون أنهم إلى الله راجعون وبين يديه موقوفون، وأمام الله مسئولون، فهم مشفقون من ذلك كله، ويعلمون أنه الحق من ربهم، ويظنون أنهم قد يلقونه في هذه الصلاة وهم قائمون بين يديه، أو بعد انصرافهم منها، بحيث أنهم إذا قاموا في الصلاة لا يظنون أنهم سَيُصَلُّونَ غيرها، وبذلك وَصَّى النبي صلى الله عليه وسلم فقال:(**اذْكُرِ الْـمَوْتَ فِي صَلاتِكَ ، فَإِنَّ الرَّجُلَ إِذَا ذكَرِ الْمَوْتَ فِي صَلاتِهِ لَحَرِيٌّ أَنْ يُحْسِنَ صَلاتَهُ، وَصَلِّ صَلاةَ رَجُلٍ لا يَظُنُّ أَنْ يُصَلِّيَ صَلاةً غَيْرَهَا**) [1].

فيا عبد الله إذا قمت للصلاة فاجعل القبلة أمامك، والصراط تحتك، والجنة عن يمينك، والنار عن شمالك، وملك الموت وراءك، وتأمل إلى أين تسير [2].

وحاول دائمًا أن يذكِّرك كل شيء متعلق بالصلاة بلقاء الله، فإذا سمعت المؤذن ينادي للصلاة فتذكر قول الله:{وَٱسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٤١﴾ يَوْمَ يَسْمَعُونَ ٱلصَّيْحَةَ بِٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُرُوجِ } [ق: ٤١ - ٤٢].

([1]) الحديث: حسن صحيح، جاء في مسند الفردوس للديلمي، وحسنه الحافظ ابن حجر، وجاء في السلسلة الصحيحة للألباني برقم: (1421)، وصحيح الجامع برقم: (407-849).

([2]) إحياء علوم الدين: (151/1).

فإذا طَهَّرْتَ ظاهرك بالوضوء، وسترت عورتك بالثياب، فاعلم أن باطنك أولى بذلك كله، لأنه مَحَلُّ نظر الله عز وجل، كما جاء في صحيح مسلم، وسنن ابن ماجة من حديث أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:(**إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى: لَا يَنْظُرُ إِلَى صُوَرِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ، وَلَكِنْ إِنَّمَا يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ**) [1].

فاستح من الله أن تُطَهِّرَ ظاهرك دون باطنك، وأن تُجمِّلُ جسمَك دون قلبك، وإذا خرجت من البيت إلى المسجد فَتَذَكَّرْ خروجك من القبر إلى أرض المحشر، فإذا جلست في المسجد تنتظر الإقامة فتذكر قيامك في أرض المحشر تنتظر مجيء الرب سبحانه وتعالى لفصل القضاء، فإذا أقام المؤذن الصلاة فتذكر بهذا النداء، النداءَ الخاصَّ يوم القيامة، يوم يقوم الملك: أين فلان بن فلان؟ ليقم للعرض على الملك الديان، فإذا قمت من مكانك في المسجد تسعى إلى الصف فتذكر سعيك يوم القيامة بين يَدَيْ الملكين، كما جاء في قوله تعالى:{وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ ﴿٢١﴾} [ق: ٢١] [2] أهـ.

مَثِّلْ وقُوْفَكَ يَومَ الحَشْرِ عُرْيَانَا ... مُسْتَعْطِفا قلِقَ الأحْشَاءِ حَيْرَانا

النَّارُ تَظْفُرُ مِنْ غَيْظٍ وَمِنْ حَنَقٍ ... على العُصَاةِ وتَلْقَ الْرَّبَّ حَيْرَانَا

اقْرَأْ كِتَابَكَ يا عَبْدِيْ عَلَى مَهَلٍ ... فَهَلْ تَرَى فِيهِ حَرْفًا غَيْر مَا كَانَا؟

لَمَّا قَرَأتَ كِتَابًا لاَ يُغَادِرُ لِي ... صَغِيَرةً وَلاَ مَا كَانَ فِيْ سِرٍّ وَإِعْلاَنَا

قَالَ الجَلْيِلُ خُذُوْهُ يَا مَلاَئِكَتِي ... مُرُوا بِعَبْدِي إِلَىْ النِيّرانِ عَطْشَانَا

فَيَا رَبِّ لاَ تُخْذِنَا يَوْمَ الحِسَابِ ... وَلا تَجْعَلْ لِنَارِكَ فِيَنَا الْيَوْمَ سُلْطَانَا

* * *

([1]) مختصر مسلم برقم: (1776)، وغاية المرام برقم: (415)، وصحيح الجامع برقم: (1862).

([2]) الوصايا المنبرية، للشيخ/ عبد العظيم بدوي الخلفي ص: (207-206).

وَقْفَةٌ صَادِقَةٌ

فيا عبد الله قف مع نفسك وَقْفَةً صَادِقَةً... حاسب فيها نفسك، وراقب فيها ربك، وَعَدِّلْ فيه سَيْرَكَ إلى الله، وَتَحوَّلَ من الغفلةِ إلى اليقظةِ، ومن الكسل والفتور إلى الْجِدِّ والنشاط ومن التكالب على الدنيا إلى المسارعة إلى الآخرةِ، ولتعلم يا عبد الله أنك الآن فوق الأرض، وَغَدًا سَتَصِيرُ تحت الأرض.

مَالِي رَأَيْتُكَ تَطْمَئِنُّ ::: إِلَى الْحَيَاةِ وَتَرْكَنُ
يَاسَاكِنَ الْحُجُرَاتِ مَا ::: لَكَ غَيْرَ قَبْرِكَ مَسْكَنُ
فَالْيَوْمَ أَنْتَ مُكَاثِرٌ ::: وَمُفَاخِرٌ تَتَزَيَّنُ

وَغَدًا تَصِيرُ إِلَى التُّرَا ::: بِ مَحُنَّطٌ وَمكَفَّنُ
أَحْدِثْ لِرَبِّكَ تَوْبَةً ::: فَسَبِيلُهَا لَكَ مُمْكِنُ

وَاصْرِفْ هَوَاكَ لِخَوْفِه ::: مِمَّا تُسِرُّ وَتُعْلِنُ
فَكَأَنَّ شَخْصَكَ لَمْ يَكُنْ ::: فِي النَّاسِ سَاعَةَ تُدْفَنُ
وَكَأَنَّ أَهْلَكَ قَدْ بَكَوْا ::: جَزَعًا عَلَيْكَ وَرَنَّنُوا
فَإِذَا مَضَى لَكَ جُمْعَةٌ ::: فَكَأَنَّهُمْ لَمْ يَجْزَنُوا
وَالنَّاسُ فِي غَفَلاتِهِمْ ::: وَرَحَى الْمَنِيَّةِ تَطْحَنُ

فيا عبد الله: تَذَكَّرْ نفسك وأنت على فراشِ الموت وحولك الأهلُ والأصحابُ، والإخوانُ والأحبابُ لكنهم لا يملكون لك حَوْلاً ولا طَوْلاً، ولا يملكون لك نفعًا ولا ضرًّا، وأنت تودِّعُ الدنيا بنظراتِ الأسى والحزِن على ما فاتك من تقصيرٍ وتسويفٍ، وتودع أطفالك الصغارَ، وأهلك وعشيرتك... في ساعة الفراق، وكأنك تقول لهم: يا أهلي يا أبنائي،

عَمَّرْتُ في الدنيا طويلاً، وجمعتُ المال من حِلِّهِ وحرامهِ، وبنيت الدُّورَ وسكنت القصورَ، ثم ها أنا أرحلُ عنها، لا آخذ معي شيئًا منها.

- **ثم تذكر نفسك** وأنت مُسَجًّى على فراش الموت وحولك الأطباءُ والأحباءُ والأعزاءُ، يَمُدُّ أحدهم يَدَهُ إلى أنفك ليتيقَّنَ مِنْ تَرَدُّدِ نفسك، ويضعُ أحدُهم يَدَهُ على صدرك ليتحقق من ضربات قلبك، ولكن هيهات هيهات، لقد تَوَقَّفَ النَّفَسُ، وَسَكَنَ القلبُ، وَشَخَصَتِ العينانِ، وامتدتِ الرجلانِ،{وَجَآءَتۡ سَكۡرَةُ ٱلۡمَوۡتِ بِٱلۡحَقِّۖ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنۡهُ تَحِيدُ ١٩} [ق: ١٩].

يقلبونك على بطنك فلا تستطيع أن تعتدل، وأخرى على ظهرك فلا تتحرك، وسالت الدموعُ من حَوْلِكَ، بكى أبناؤُكَ وَحَزِنَ أصدقاؤُكَ، وقاموا ليشتروا لك الكفن وَيُسَخِّنُوا لك الماء ليغسلوكَ ويجهزونك، وفي التُّرَابِ يضعوكَ، وفي حُفْرَةٍ ضَيِّقَةٍ يَتْرُكُوكَ.

- **ثُمَّ تَذكَّرْ نَفْسَكَ** وأنت على خشبة الغُسْلِ مَوْضُوعْ.

- **أَيْنَ يَدَاكَ الْقَوِيَّتَانِ** اللَّتَانِ كنتَ تَبْطِشُ بهما في الدنيا؟

قَدْ مَاتَتَا.

- **أَيْنَ رِجْلاَكَ الْقَوِيَّتَانِ** اللتان كنت تَدِبُّ بهما على ظهر الدنيا؟

قَدْ ضَعُفَتَا.

- **أَيْنَ عَيْنَاكَ الجْمِيلَتَانِ** اللتان كنت تنظر بهما إلى الحلال والحرام؟

قَدْ عَمِيَتَا.

- **أَيْنَ لِسَانُكَ الَّذِي** كان لاَ يَفْتُرُ من الكلامِ والسخرية والاستهزاءِ؟

قَدْ يَبِسَ.

- **أَيْنَ بَطْنُكُ** الَّذِي امْتَلأَ مِمَّا لَذَّ وَطَابَ؟

قَدْ خَنَعَ.

- **أَيْنَ قُوَّتُكَ... أَيْنَ سُلْطَانُكَ... أَيْنَ جَاهُكَ؟**

- **أَيْنَ أَمْوَالُكَ... أَيْنَ عِمَارَاتُكَ... أَيْنَ تِجَارَاتُكَ؟**

- **أَيْنَ عِزِّكَ... أَيْنَ أَنْتَ، وَإِلَى أَيْنَ ذَاهِبٌ؟**

{إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمَسَاقُ ﴿٣٠﴾} [القيامة: ٣٠] (1) **أهـ.**

ثم يختم رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثه الجامع الماتع بقوله:(**ومن أراد الآخرة ترك زينة الدنيا**) لأنهما لا يجتمعان في قلب رَجُلٍ وَاحَدٍ، ولا يجتمعان على وجه الكمال على وتيرةٍ واحدةٍ، لأنهما كالضرائر استحالة أن تُرْضِي إحداهما فإن أرضيت واحدة، أغضبت الأخرى، كما جاء في سياق الحديث الذي رواه الإمام أحمد والحاكم من حديث أبي موسى ٱلأَشْعَرِيّ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:(**مَنْ أَحَبَّ دُنْيَاهُ، أَضَرَّ بِآخِرَتِهِ، وَمَنْ أَحَبَّ آخِرَتَهُ، أَضَرَّ بِدُنْيَاهُ، فَآثِرُوا مَا يَبْقَى عَلَى مَا يَفْنَى**) (2).

وقوله صلى الله عليه وسلم :(**فمن فعل ذلك فقد استحيا من الله حق الحياء**).

---

(1) المبتكرات في الخطب والمحاضرات، للشيخ/ وحيد عبد السلام بالي، ص: (73-72).

(2) رواه الحاكم في المستدرك في (44) كتاب الرقاق (الحديث 10/7853) عن أبي موسى الأشعري رضى الله عنه، ورواه الإمام أحمد في مسنده الحديث رقم 19718، ج2، من حديث أبي موسى الأشعري رضى الله عنه.

أي: فمن فعل كل ما سبق من الحديث حَقًّا بكل ما فيه، فقد استحيا من الله حق الحياء، ومن استحيا من الله في السِّرِّ وَالْعَلَنِ لاَ يُعَذِّبْهُ اللهُ أبدا.

* * *

وَطَوْقُ النَّجَاةِ يُصْبِحُ فِي اْلحثِّ عَلَى الاِجْتِمَاعِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْفُرْقَةِ

أَجْمَلُ ما كان في الإسلام في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم والصحابة الكرام، هو وحدة الصف، ووحدة الهدف، والاجتماع على كلمةٍ سواء، فألف رسول الله صلى الله عليه وسلم قلوب الصحابة الغليظة الجافة، إلى القلوب الليِّنةِ الرحيمةِ بعد أن زرع فيها العقيدة السامية الغَرَّاء، فَأْتَمَرُوا بِأَمْرِه، واجتمعوا على رأيه، وقد سُمِّيَ رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو المؤمنين حيث قال تعالى:{ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ} [الأحزاب: ٦].

وَسُمِّيَ رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذه الكنية لأنه طَوَّعَ قلوب الصحابة رضوان الله عليهم وجعلها تأتمر بأوامره وتنتهي بنواهيه، لأنه غَيَّرَ وَجْهَةَ هذه القلوب وَحَوَّلَهَا سَرِيعًا من الغلظةِ القاسيةِ التي توارثوها من حياة الصحراء وجمودها إلى رِقَّةِ المشاعر، وخشوع الجوارح، فجعلها تأتمر بأمر الله وتنتهي عَمَّا نَهَى الله، **يقول ابن تيمية**: (إن الإسلام لم يجيء لإزالة الفطرة الإنسانية، بل إنه يوجهها توجيهًا نافعًا، فإن الفطرة الأولى لا تزول، ولكن تُحَوَّلُ، فلقد صرف النبي صلى الله عليه وسلم شجاعة العرب في المنافسات القبلية، والتقاتل، وأخذ الثأر، والأحقاد القديمة إلى الجهاد في سبيل الله تعالى وأعطى النفس حقها في الترويح والنشاط، ويعني ذلك: أنه صلى الله عليه وسلم لم يكبت الدوافع الفطرية، كما وأنه لم يطلق لها العنان، وإنما طوَّعها بالاستعلاء،

فربطها بِالْمُثُلِ العليا فاستجابت طَائِعَةً منها لدين ارتفع إلى أعلى، فقد رُوِيَ في الجامع الصغير:(إِنَّ اللهَ نَظَرَ فِي قُلُوبِ الْعِبَادِ فَجَعَلَهُمْ وُزَرَاءَ نَبِيِّهِ يُقَاتِلُونَ عَلَى دِينِهِ) [1].

وهذا يعني أن محمدًا صلى الله عليه وسلم استجمع خصائص القيادة التي أَهَّلَتْهُ للرسالة، وأن الصحابة الذين تَرَبَّوْا تحت إشراف الوحي الأعلى كانوا أهلاً لجنديته تحقق بها سعادة الدارين [2] أهـ.

لأنهم هم خير أمة أخرجت للناس في زمانهم وإلى قيام الساعة وهذه الآية تدل على خَيْرِيَّتِهِمْ، وأنهم هم الأفضل في أمتهم، كما جاء في قوله تعالى:{كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ} [آل عمران: ١١٠].

لأنهم تركوا أوطانهم وأموالهم وأولادهم وهاجروا إلى الله بقلوبهم، فآمنوا برسوله حين كفر به الناس، وصدقوه حين كذبه الناس، ونصروه حين خذله قومه، وجاهدوا معه في رفع كلمة لا إله إلا الله حين تحدَّاهُ قَوْمُهُ الذين أخرجوه من بين أهله وبلده التي كانت أحب بلاد الله على قلبه، فقد جاء في حديث الترمذي، وابن حبان، والحاكم من حديث ابن عباس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:(مَا أَطْيَبَكِ مِنْ بَلَدٍ وَأَحَبَّكِ إِلَيَّ، وَلَوْلاَ أَنَّ قَوْمِي أَخْرَجُونِي مِنْكِ، مَا سَكَنْتُ غَيْرَكِ) [3].

([1]) حسن موقوف: على عبد الله بن مسعود رضى الله عنه، رواه الإمام أحمد في المسند (3589)، راجع تخريج الطحاوية للشيخ الألباني ص: 530.

([2]) تربية الأولاد في الإسلام، محمد محمود عمارة، ص: 326.

([3]) المشكاة (2724)، وصحيح الجامع برقم: (5536 - 1769).

أما أصحابه فهم الذين آمنوا بـه وعَزَّرُوهُ ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون، كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (**خَيْرُ النَّاسِ الْقَرْنُ الَّذِي أَنَا فِيهِ، ثُمَّ الثَّانِي، ثُمَّ الثَّالِثُ**) [1].

ولذلك فقد ربط رسول الله صلى الله عليه وسلم الصحابة بالوحي الأعلى بعد هجرته إلى المدينة وكانت أول خطوة خطاها بعد هجرته هو بناء المسجد النبوي، وهو الذي انطلقت من خلاله الدعوة، وتحركت القلوب طائعة مستجابة لأمر ربها، لأنها كانت تَوَّاقَةً بنزول الوحي على محمد صلى الله عليه وسلم الذي آثر القلوب، فتنافست جميعًا أيهما يصل إلى ما يُرْضِي الله ورسوله.

ثانيًا: الْمُؤَاخَاةُ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ: بعدما قام النبي صلى الله عليه وسلم ببناء المسجد النبوي الذي هو مركز التجمع والتآلف، قام بعمل آخر من أروع ما يأثره التاريخ، وهو المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار، **قال ابن القيم**: ثم آخي رسول الله صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين والأنصار في دار أنس بن مالك، وكانوا تسعين رجلاً، نصفهم من المهاجرين، ونصفهم من الأنصار، وبهذه المؤاخاة ذابت عصبيات الجاهلية، وسقطت فوارق النسب واللون والوطن، فلا يكون أساس الولاء والبراء إلا الإسلام، وقد امتزجت عواطف الإيثار والمواساة والمؤانسة وإسداء الخير في هذه الأُخُوَّةِ التي ملأت المجتمع الجديد بأروع الأمثال.

روى البخاري: أنهم لما قدموا المدينة آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين عبد الرحمن بن عوف، وسعد بن الرَّبيع، فقال لعبد الرحمن: إني أكثر الأنصار مالاً، فاقسم مالي نصفين، ولى امرأتان،

([1]) مسلم: (1965/4).

فانظر أعجبهما إليك فسمها لي، أُطَلِّقْهَا، فإذا انقضت عدتها فتزوجها، قال: بارك الله لك في أهلك ومالك، وأين سوقكم؟ فَدَلُّوهُ على سوق بني قينقاع، فما انقلب إلا ومعه فضل من أقطٍ وسمينٍ، ثم تابع العدو، ثم جاء يومًا وبه أثر صُفْرَة، فقال النبي صلى الله عليه وسلم :(مُهَيْمَ) أي: ما شأنك؟ قال: تزوجت. قال:(**كَمْ سُقْتَ إليها؟**) قال: نواةٌ من ذهب [1].

وروى عن أبي هريرة أنه قال: قالت الأنصار للنبي صلى الله عليه وسلم : اقسم بيننا وبين إخواننا النخيل. قال: (لا)، فقالوا: فتكفونا المؤنة ونشرككم في الثمرة. قالوا: سمعنا وأطعنا [2].

وهذا يدلُّ دَلاَلَةً وَاضِحَةً على ما كان عليه الأنصار من الحفاوة البالغة بإخوانهم المهاجرين، ومن التضحية والإيثار والودِّ والصفاء، وما كان عليه المهاجرون من تقدير هذا الكرم حَقِّ قَدْرِهِ، فلم يَسْتَغِلُّوهُ، ولم ينالوا منه إلا بقدر ما يقيم أَوَدِهِمْ، وحقًا فقد كانت هذه المؤاخاة حكمةً فَذَّةً، وسياسةً حَكَيمَةً، وَحَلاً رشيدًا لكثير من المشاكل التي كان يواجهها المسلمون، وكما قام رسول الله صلى الله عليه وسلم بعقد هذه المؤاخاة بين المؤمنين، قام بعقد معاهدة أزاح بها ما كان بينهم من حزازاتٍ في الجاهلية، وما كانوا عليه من نزعاتٍ قبليةٍ جائرةٍ، واستطاع بفضلها إيجاد وحدة إسلامية شاملة [3] أهـ.

([1]) البخاري: باب إخاء النبي صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين والأنصار برقم (553/1)، والنواة من الذهب كانت قيمتها يومئذ خمسة دراهم، وقيل: كان قدرها ربع دينار.

([2]) البخاري: باب إذا قال: اكفني مؤنة النخل.. إلخ مع فتح الباري (337/4)، ح (2049) وأيضًا: (2293، 3781، 3937، 5072، 5148، 5153، 5155، 5167، 6082، 6386)، وقصة المؤاخاة مروية في صحيح مسلم ح (2529)، وسنن أبي داود ح (2926)، والأدب المفرد ح (561)، ومسند أبي يعلى (366/4) وغيرها من الكتب.

([3]) الرحيق المختوم، للشيخ/ صفي الرحمن المباركفوري، ص: (176-175).

وبهذه الحكمة الرشيدة وهذا التدبير الحكيم أرسى رسول الله صلى الله عليه وسلم قواعد مجتمع جديد ربط فيه التعليم بالتربية، وتزكية النفوس، والحث على مكارم الأخلاق، وَأَدَّبَهُمْ بِآدَابِ المحبةِ والودِّ والإخاءِ، وطوَّع القلوبَ على الطاعة والعبادة، فحث على إعطاء الأمان للجار، وَحَذَّرَ من الشَّرِّ الذي يصيبه الجار لجاره، فقال في الحديث الذي رواه مسلم من حديث أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:(**لاَ يَدْخُلُ الـْجَنَّةَ مَنْ لاَ يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَائِقَهُ**) [1].

ومن أجل مزيد من الأمن والأمان قد جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم شعار المسلمين إفشاء السلام، وجعله أيضًا البوَّابة الحقيقية لدخول الجنة، فقد جاء في مسند الإمام أحمد وغيره من حديث عبد الله بن سلام أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:(**أَيُّهَا النَّاسُ: أَفْشُوا السَّلَامَ، وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ، وَصِلُوا الْأَرْحَامَ، وَصَلُّوا بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ، تَدْخُلُوا الـْجَنَّةَ بِسَلَامٍ**) [2].

ثُمَّ حَثَّ النبي صلى الله عليه وسلم على حب المؤمن لأخيه المؤمن وجعله من علامات الإيمان، فقد جاء في مسند الإمام أحمد، والبخاري، ومسلم، والترمذي، والنسائي، وابن ماجة، من حديث أنس رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:(**لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ**) [3].

([1]) مختصر مسلم برقم: (33)، والسلسلة الصحيحة برقم: (549)، ومشكاة المصابيح برقم: (422/2)، وصحيح الجامع برقم: (7675).

([2]) رواه الترمذي، والإمام أحمد، وابن ماجة، والحاكم، والدارمي، وجاء في المشكاة برقم: (1907)، وفقه السيرة برقم: (213)، والسلسلة الصحيحة برقم: (569)، وصحيح الجامع برقم: (7865-2960).

([3]) البخاري: (6/1)، ومختصر مسلم: (24)، والسلسلة الصحيحة برقم: (73)، وصحيح الجامع برقم: (7583).

وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم المؤمن بجوار المؤمن يشد عضده ويقويه، كالجدار المتماسكُ القويُّ الذي رُبِطَ بِالْأُخُوَّةِ الإسلاميةِ، وَدُعِّمَ بالمحبةِ الأبدَّية، فقد جاء في البخاري ومسلم، والترمذي، والنسائي من حديث أبي موسى رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:(**الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ، يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا**) [1].

ثم حَثَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم على الإحسان والعطاء، وَرَغَّبَ في إطعام الْجَوْعَى، وجعل من يطعمهم، أو يسقيهم، أطعمه الله من ثمار الجنة، وسقاه من الرحيق المختوم.

كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :(**أَيُّمَا مُسْلِمٍ كَسَا مُسْلِمًا ثَوْبًا عَلَى عُرْيٍ كَسَاهُ اللهُ مِنْ خُضْرِ الْجَنَّةِ، وَ أَيُّمَا مُسْلِمٍ أَطْعَمَ مُسْلِمًا عَلَى جُوعٍ أَطْعَمَهُ اللهُ مِنْ ثِمَارِ الْجَنَّةِ، وَأَيُّمَا مُسْلِمٍ سَقَى مُسْلِمًا عَلَى ظَمَأٍ سَقَاهُ اللهُ مِنَ الرَّحِيقِ الْمَخْتُومِ**) [2].

ثم حَرِصَ رسول الله صلى الله عليه وسلم بربط الجار بأخيه الجار بالمودة والحب والإيثار، فجعل الجار يطمئن على جاره في الجوع والشِّبَعِ، فقد جاء في الأدب المفرد للبخاري، والطبراني في الكبير، والحاكم، وسنن البيهقي، من حديث ابن عباسٍ رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:(**لَيْسَ الْمُؤْمِنُ بِالَّذِي يَشْبَعُ وَجَارُهُ جَائِعٌ إِلَى جَنْبِهِ**) [3].

([1]) مختصر مسلم (1773)، تخريج مشكلة الفقر (104)، إيمان ابن أبي شيبة (90)، مشكاة المصابيح (422/2)، وصحيح الجامع برقم: (6654).

([2]) البخاري: (190/1)، (890/2).

([3]) السلسلة الصحيحة برقم: (149)، والمشكاة برقم: (4991)، وصحيح الجامع برقم: (5382).

استطاع رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يربط المسلمين بعضهم بعضًا بأجمل الأسس وأسمى المعاني، فحرص على أن يتنافس المسلمون فيما بينهم على الإيثار والتفاني في الإنفاق، ومكارم الأخلاق، لذا استطاع في فترة وجيزة أن يبني في المدينة مجتمعًا جديدًا أروع وأشرف مجتمع عرفه التاريخ، وهو ما لم تستطع أن تفعله الفرس والروم في أكثر من ثمانية دهور، فتكاملت عناصر المجتمع الجديد الذي واجه كل تحديات الملوك والجبابرة، وواجه كل التيارات الضالة حتى صرف وجهتها، وَحَوَّل مجرى التاريخ والأيام في سنوات قصار، كل ذلك من أجل وحدة الهدف، والحث على الاجتماع والجماعة، لأن الإسلام حث على ذلك وَرَغَّبَ فيه ودعا إليه في الأمور حتى في العبادات، قال تعالى:{إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفّٗا كَأَنَّهُم بُنۡيَٰنٞ مَّرۡصُوصٞ } [الصف: ٤].جاء في (**الإكليل للسيوطي**) قوله تعالى:{كَأَنَّهُم بُنۡيَٰنٞ مَّرۡصُوصٞ } [الصف: ٤]، استحباب قيام المجاهدين في القتال صفوفًا كصفوف الصلاة، وأنه يستحب سَدِّ الْفُرَجِ والخلل في الصفوف، وإتمام الصف الأول فالأول، وتسوية الصفوف قدمًا بقدم، لا يتقدم بعض على بعض فيها، **قال ابن الْفَرَسَ**: واستدل بها بعضهم على أن قتال الرجالة أفضل من قتال الفرسان؛ لأن التراصَّ إنما يكن منهم [1] أهـ.

وقد روى الإمام أحمد عن عبد الله بن سلام أنه قال: تَذَاكَرْنَا أَيُّكُمْ يَأْتِي رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَيَسْأَلَهُ: أَيُّ الأَعْمَالِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى؟ فَلَمْ يَقُمْ مِنَّا أَحَدٌ، " فَأَرْسَلَ إِلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم رَجُلاً فَجَمَعَنَا، فَقَرَأَ عَلَيْنَا هَذِهِ السُّورَةَ، يَعْنِي سُورَةَ الصَّفِّ كُلَّهَا ولفظ ابن أبي حاتم عن عبد الله بن سلام؛

([1]) أ. هـ محاسن التأويل للقاسمي: (115/9).

أَنَّ نَاسًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم قَالُوا: لَوْ أَرْسَلْنَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم نَسْأَلُهُ عَنْ أَحَبِّ الأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ عز وجل؛ فَلَمْ يَذْهَبْ إِلَيْهِ أَحَدٌ مِنَّا وَهِبْنَا أَنْ نَسْأَلَهُ عَنْ ذَلِكَ، قَالَ: فَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم أُولَئِكَ النَّفْرَ رَجُلاً رَجُلاً حَتَّى جَمَعَهُمْ، وَنَزَلَتْ فِيهِمْ هَذِهِ السُّورَةُ: الصَّفِّ، قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلامٍ: فَقَرَأَهَا عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم كُلَّهَا [1].

فأصبح هذا إخبار من الله تعالى بمحبته لعباده المؤمنين إذا اصطفوا مواجهين لأعداء الله في حَوْمَةِ الْوَغَى، يقاتلون في سبيل الله مَنْ كَفَرَ بالله، لتكون كلمة الله هي العليا، وَدِينُهُ هو الظاهر العالي على سائر الأديان، وقوله تعالى:{كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَّرْصُوصٌ} [الصف: ٤]، أي: مُلْتَصِقٌ بَعْضُهُ بِبَعْضٍ، مِنَ الصَّفِّ فِي الْقِتَالِ، **وَقَالَ قَتَادَةُ:** كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ، أَلَمْ تَرَ إِلَى صَاحِبَ الْبُنْيَانِ، كَيْفَ لاَ يُحِبُّ أَنْ يَخْتَلِفَ بُنْيَانُهُ؟ فَكَذَلِكَ الله عز وجل لاَ يَخْتَلِفُ أَمْرُهُ، وَإِنَّ اللهَ صَفَّ الْمُؤْمِنِينَ فِي قِتَالِهِمْ وَصَفَّهُمْ فِي صَلاَتِهِمْ، فَعَلَيْكُمْ بِأَمْرِ اللهِ، فَإِنَّهُ عِصْمَةٌ لِمَنْ أَخَذَ بِهِ [2].

وقد حث الإسلام على الاجتماع ووحدة الصف في الصلوات، وعدم الانفراد فيها، وَرَغَّبَ في صلاة الجماعة وجعلها تَعْدِلُ خَمْسًا وعشرين صلاة من صلاة المنفرد، فقد جاء في سنن أبي داود، والحاكم من حديث أبي سعيد رضى الله عنه أنه قال:**(الصَّلَاةُ فِي جَمَاعَةٍ تَعْدِلُ خَمْسًا وَعِشْرِينَ صَلَاةً، فَإِذَا صَلَّاهَا فِي فَلَاةٍ، فَأَتَمَّ رُكُوعَهَا وَسُجُودَهَا بَلَغَتْ خَمْسِينَ صَلَاةً)** [3].

---

(1) أخرجه أحمد (23276)، وأبو يعلى (7497)، وابن حبان (4594)، والدارمي (200/2).
(2) صحيح تفسير ابن كثير، (436/4)، والحديث إسناده حسن: الطبري (34050).
(3) صحيح الترغيب برقم: (410)، وصحيح السنن برقم: (569)، وصحيح الجامع برقم (3871).

وكما حَثَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم على صلاة الجماعة وَرَغَّبَ فيها، ونَفَّرَ من صلاة المنفردِ في المسجدِ وَكَرِهَ فاعلها.

وطلب من صاحبها إعادتها، لأنه شَذَّ عن الجماعة وخالف حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي يحث على الجماعة وَيَحُضُّ عليها، فقد جاء في مسلم، والأربعة، أي: سنن أبي داود، والترمذي، والنسائي، وابن ماجة من حديث أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:(**إِذَا أُقِيمَتِ الصَّلاَةُ، فَلاَ صَلاَةَ إِلاَّ الْـمَكْتُوبَةُ**) [1].

لذلك حرص الإسلام على ٱلجَمْعِ والاجتماعِ في صلاة الجمعة، لأنها تجب على كل ذكرٍ مسلمٍ، مكلفَ، حُرٌّ، لا عذر له، لقوله تعالى: {يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلۡبَيۡعَۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٩} [الجمعة: ٩].

وروى ابن ماجة عن جابر قال: خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: (**وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ قَدِ افْتَرَضَ عَلَيْكُمُ الْـجُمُعَةَ فِي يَوْمِي هَذَا، فِي شَهْرِي هَـذَا، فِي عَامِي هَـذَا، فَمَنْ تَرَكَهَا فِي حَيَاتِي ، أَوْ بَعْدِي ، وَلَهُ إِمَامٌ عَادلٌ أَوْ جَائِرٌ اسْتِخْفَافًا بِهَا، أَوْ جُحُودًا بِهَا، فَلا جَمَعَ اللهُ شَمْلَهُ، وَلا بَارَكَ اللهُ فِي أَمْرِهِ**) [2].

([1]) الإرواء برقم: (497)، وصحيح أبي داود برقم: (115)، والروض برقم: (1040)، ومختصر مسلم برقم: (263)، وصحيح الجامع برقم: (371).

([2]) أخرجه ابن ماجة (1081) والعقيلي في الضعفاء (220) وابن عدي في الكامل (216-215)، والبيهقي (90/2 و 171)، والواحدي في تفسيره (2/145/4)، وذكره الحافظ في التلخيص (132) وهو معلول، فقد أخرجه الباغندي في مسند عمر ص: (12)، وأبو طاهر الأنباري في المشيخة (ق 1/164)، والضياء المقدسي في المختارة (2/103/10)، وأورده الضياء، (1/107/10) وعبد بن حميد المنتخب (ق 2/124) وابن عساكر (2/229/17) وله شاهد عن أبي سعيد الخدري، وأخرجه الطبراني في الأوسط (1/48/1و 31/1-32)، والهيثمي في المجمع (170/2)، وأبو يعلى (1/107) وابن أبي حاتم في العلل (129/2-128).

وروى أبو داود عن طارق بن شهاب مرفوعًا:(**الْـجُمْعَةُ حَقٌّ وَاجِبٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ، إِلاَّ أَرْبَعَةَ: عَبْدٌ مَمْلُوكٌ، أَوْ امْرَأَةٌ، أَوْ صَبِيٌّ، أَوْ مَرِيضٌ)** [1].

(وكذا على كل مسافر لا يباح له القصر) كسفر المعصية، وما دون المسافة فتلزمه بغيره.

(وعلى مقيم خارج البلد، إذا كان بينهما وبين الجمعة وقت فعلها فرسخ فأقل) لقوله صلى الله عليه وسلم :(**الْـجُمْعَةُ عَلَى مَنْ سَمِعَ النِّدَاءَ)** [2].

والفرسخ: مقياس قديم من مقاييس الطول يُقَدَّرُ بثلاثة أميال، والميل قَدْ قُدِّرَ قديمًا بأربعة آلاف ذراع، وهو بَرِّي، وبحري، فالبرِّي يُقَدَّرُ الآنَ بما يساوي 1609 من الأمتار، والبحري بما يساوي 1852 من الأمتار [3] أ.هـ، ولم يكن اعتبار السماع بنفسه، فاعتبر بمظنته، والموضع الذي يسمع منه النداء في الغالب إذا كان المؤذن صيتًا بموضعٍ عالٍ، والرياح ساكنة، والأصوات هادئة، والعوارض منتفية فرسخ، فاعتبرناه به، **قاله في الكافي.**

ولا تجب على من يباح له (الْقَصْرُ)، لأنه صلى الله عليه وسلم سافر هو وأصحابه في الحج، وغيره، فلم يصلِّ أَحَدٌ منهم الجمعة فيه، مع اجتماع الخلق الكثير [4] أهـ.

([1]) أخرجه أبو داود (1067)، والزيلعي (199/2) وفي التلخيص (137)، والحاكم (288/1)، والدارقطني (164)، والبيهقي (183/3)، والضياء المقدسي في (المختارة) (ق 1/21).

([2]) أخرجه أبو داود (1056)، والبيهقي (173/3)، وابن الجوزي (1/157/1)، والدارقطني (165)، وأبو نعيم في الحلية (104/7)، والخطيب في الموضح (7-6)، وله شاهد أخرجه الدارقطني، وعنه ابن الجوزي في الفوائد المنتقاة (2/91/4)، وابن أبي شيبة (1/205/1) والحافظ في التلخيص (ص: 137)، وفي الفتح (220/2).

([3]) المعجم الوجيز، ص: (597).

([4]) منار السبيل على مذهب الإمام أحمد بن حنبل: (135/1).

وَصَلاَةُ الْعِيَدْيْنِ: شروطها كالجمعة، لأنها صلاة عيد، فأشبهت الجمعة. **قاله الكافي (ما عدا الخطبتين)** فإنها في العيد سُنَّةُ، **لقول عبد الله بن السائب**: شهدت العيد مع النبي صلى الله عليه وسلم، فلما قضى الصلاة قال:**(إِنَّا نَخْطُبُ، فَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يَجْلِسَ لِلْخُطْبَةِ فَلْيَجْلِسَ، وَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يَذْهَبَ فَلْيَذْهَبْ)** [1].

وأحكام خطبتي العيدين، كخطبتي الجمعة، وَيُسَنُّ التكبيرُ المطلقُ، أي: الذي لم يقيد بأدبار الصلوات، وَيُسَنُّ أيضًا اْلَجهْرَ به في لَيْلَتَيْ العيدين إلى فراغ الخطبة، لقوله تعالى:**{وَلِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ}** [البقرة: ١٨٥].

وعن علي رضى الله عنه: **(أَنَّهُ كَانَ يُكَبِّرُ حَتَّى يَسْمَعُ أَهْلَ الطَّرِيقِ)** [2].

وصفة التكبير لحديث جابر رضى الله عنه أنه قال:**(كَانَ النَّبِيَّ** صلى الله عليه وسلم، **إِذَا صَلَّى الصُّبْحَ مِنْ غَدَاةِ عَرَفَةَ أَقْبَلَ عَلَى أَصْحَابِهِ، فَيَقُولُ: عَلَى مَكَانِكُمْ، وَيَقُولُ: اللهُ أَكْبَرُ اللهُ أَكْبَرُ، لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ، وَاللهُ أَكْبَرُ اللهُ أَكْبَرُ، وَللهِ الْحَمَدُ)** [3].

لتجتمع الحناجر من بعد صلاة صبح أول يوم من شوال فتطلق أصوات التكبير من المآذن مدوية في يومٍ بهيجٍ تعلوا فيه أصوات المسلمين على قلب رجل واحد يطلقون عبارات الله أكبر، حتى يستقبل الإمام الناس ليصلوا صلاة العيد، وبعد الصلاة والاستماع للخطبة إذا أراد أن يرجع من مكانٍ غير المكان الذي ذهب منه ويعلو، صوته بالتكبير.

([1]) أخرجه أبو داود (1155)، والنسائي (233/1)، وابن ماجة (1290)، وابن الجارود في المنتقى (139)، والدارقطني (182)، والحاكم (295/1)، والبيهقي (301/3)، وأخرجه السلفي في الأحاديث العيدية (ق133-140)، وأبو القاسم في تحفة عيد الفطر (ق198/1-2).

(2) رُوِيَ ابن أبي شيبة عن رجل من المسلمين (2/2-1)، والدارقطني (179) والغرياني (2/129).

([3]) أخرجه ابن أبي شيبة (2/2/2)، والبيهقي (315/3)، والمحاملي (1/143/2)، وفي رواية لابن أبي شيبة (1/3/2).

وفي الحج اجتمع المسلمون على شعائر واحدة، ومناسك واحدة، وقد أمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم برفع أصواتهم بالتلبية، فقد روى الإمام مالك وغيره عن نافع عن عبد الله بن عمر، أَنَّ تَلْبَيةَ رَسُولِ الله صلى الله عليه وسلم: لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ، لَبَّيْكَ لاَ شَرِيكَ لَكَ لَبَّيْكَ، إِنَّ الْحَمْدَ وَالنِّعْمَةَ لَكَ وَالْمُلْكَ، لاَ شَرِيكَ لَكَ [1].

ورواه أيضًا من حديث خلاد بن السَّائب الأنصاريِّ عن أبيه أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قال:(**أَتَانِي جِبْرِيلُ فَأَمَرَنِي أَنْ آمُرَ أَصْحَابِي، أَوْ مَنْ مَعِيَ أَنْ يَرْفَعُوا أَصْوَاتَهُمْ بِالتَّلْبِيَةِ، أَوْ بِالإِهْلاَلِ يُرِيدُ أَحَدَهُمَا**) [2].

قال الإمام البغويُّ رحمه الله: رَفْعُ الصوت بالإهلال مشروعٌ في المساجد وغيرها.

([1]) رواه الإمام مالك في الموطأ (20) كتاب الحج (9) باب العمل في الإهلال، حديث رقم: (30/738)، ورواه البخاري في (25) كتاب الحج (26) باب التلبية حديث رقم: (1549)، ومسلم في (15) كتاب الحج (3) باب التلبية وصفتها ووقتها. حديث رقم: (1184/19)، وأبو داود في (5) كتاب الحج (27) باب كيف التلبية، حديث رقم: (1812)، ورواه الترمذي في (7) كتاب الحج (13) باب ما جاء في التلبية، حديث رقم (825)، والدارمي في كتاب المناسك، باب في التلبية حديث رقم: (34/2)، وابن ماجة في (25) كتاب المناسك، حديث رقم: (2918)، ورواه النسائي في كتاب مناسك الحج عن مالك برقم: (160/5)، ورواه الإمام الشافعي عن مالك في المسند حديث رقم: (567).

([2]) رواه مالك في الموطأ في (20) كتاب الحج (10) باب رفع الصوت بالإهلال، حديث رقم (36/744)، ورواه أبو داود في (5) كتاب الحج (27) باب كيف التلبية، حديث رقم: (1814)، والنسائي في كتاب مناسك الحج، باب رفع الصوت بالإهلال (162/5)، والترمذي في (7) كتاب الحج (15) باب ما جاء في رفع الصوت بالتلبية، حديث رقم: (829)، وابن ماجة في (25) كتاب المناسك (16) باب رفع الصوت بالتلبية، حديث رقم: (2922)، ورواه الإمام الشافعي في المسند عن مالك، حديث رقم: (571).

قال الشافعيُّ: كان السَّلَفُ يستحبونَ التلبية عند اصطدام الرفاق، وعند الإشراف والهبوط، وخلف الصلوات، وفي استقبال الليل والنهار وبالأسحار، ونحبُّه على كل حال [1] أهـ.

ويجتمع المسلمون جميعًا على يومٍ واحدٍ وهو يوم التاسع من ذي الحجة، وهو يوم عرفة، وعلى أذانٍ واحدٍ، ورؤية هلال رمضان ليبدأ الصوم في يوم واحد، وينتهي الصوم في يوم واحد عند رؤية هلال شوال ليصبح عيد الفطر في يوم واحد في جميع بلاد المسلمين، وكذلك عيد الأضحى، ونهى الإسلام عن الفرقة والافتراق، والاختلاف حيث جاء في سياقه تعالى:{وَلَا تَفَرَّقُواْ} [آل عمران: ١٠٣].

{ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا } [الروم: ٣٢].

{ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخْتَلَفُواْ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾ } [آل عمران: ١٠٥].

{وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةًۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْۗ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ } [هود: ١١٨ - ١١٩].

ولذلك نجد على الساحة السياسية أكثر من خمسين حزبًا سياسيًا، لكنهم مختلفي الوجهة والهدف، مختلفي الاتحاد في الرُّأي، وإن ظهروا أمام الناس على أنهم متحدين، لكنهم عند المواقف الجادَّةِ تجدهم اختلفوا وظهر عوارهم، وهكذا في الطرق الصوفية، وكذا في الإسلام السياسي، لذا حث رسول الله صلى الله عليه وسلم على الاجتماع ونهى عن الاختلاف والفرقة، فقد جاء في سنن أبي داود من حديث أبي ثعلبة الخشني أنه قال: كَانَ النَّاسُ إِذَا نَزَلُوا مَنْزِلًا، تَفَرَّقُوا فِي

([1]) شرح السنة للبغوي: (263/4).

الشِّعَابِ وَالأَوْدِيَـةِ، فَقَـالَ رَسُولُ اللَّهِ صـلى الله عليـه وسـلم :(**إِنَّ تَفَـرُّقَكُمْ فِي هَـذِهِ الشِّعَابِ وَالْأَوْدِيَةِ، إِنَّمَا ذَلِكُمْ مِنَ الشَّيْطَانِ**) فَلَمْ يَنْزِلُوا بَعْدَ ذَلِكَ مَنْزِلاً إِلاَّ انْضَمَّ بَعْضُـهُمْ إِلَى بَعْضٍ حَتَّى يُقَالُ لَوْ بُسِطَ عَلَيْهِمْ ثَوْبٌ لَعَمَّهُمْ [1].

فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم، لم يغفل عن أصحابه حتى في السفر، بل كان يراقبهم عن كَثَبْ، وكان يحرص على اجتماعهم دائمًا، وكان ينهي أن يسافر الرجل وحده، فقد روى البخاري، والترمذي، وابن خزيمة من حديث ابن عمر رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :(**لَـوْ أَنَّ النَّـاسَ يَعْلَمُـونَ مِنَ الْوِحْدَةِ مَا أَعْلَمُ مَا سَارَ رَاكِبٌ بِلَيْلٍ وَحْدَهُ**) [2].

ولذلك فقد شبه رسول الله صلى الله عليه وسلم المنفرد بالشيطان، فقد جاء في سنن أبي داود، والترمذي من حديث عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ، عَنْ أَبِيه، عَنْ جَدِّهِ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:(**الرَّاكِـبُ شَـيْطَانٌ، وَالرَّاكِبَـانِ شَـيْطَانَانِ، وَالثَّلاَثَـةُ رَكْبٌ**) [3].

قال المظهر: يعنى مَشْيِ الْوَاحِدِ منفردًا مَنْهِيٍّ عنه، وكذلك مشى الاثنين، ومن ارتكب مَنْهِيًّا فقد أطاع الشيطان، ومن أطاعه؛ فكأنه هو، ولذا أطلق صلى الله عليه وسلم اسمه عليه، وفي شرح السنة: معنى الحديث فيما رُوِيَ عن سعيد بن المسيب مُرْسَلاً: الشيطان يَهِمُّ بالواحد والاثنين، فإذا كانوا ثلاثة؛ لم يَهِمَّ بهم، **وقال الخطابي**: معناه التفرد، والذهاب في الأرْض، من فعل الشيطان، وهو شيء يحمله عليه الشيطان ويدعوه إليه، وكذلك الاثنان، فإذا صاروا ثلاثة فهو رَكْبٌ، أي: جَمَاعَةٌ

(1) صحيح أبي داود برقم: (2288)، وسنن أبي داود (عون المعبود) برقم: (7/292/2611).
(2) رواه البخاري (2998)، والترمذي (1673)، وابن خزيمة (2569)، وابن ماجة (3768).
(3) حديث حسن: أخرجه الترمذي برقم: (1674)، وأخرجه أبو داود برقم: (2607).

وَصَحْبٌ، قال: والمنفرد في السفر إن مات لم يكن بحضرته من يقوم بغسله ودفنه وتجهيزه، ولا عنده من يوصى إليه في ماله ويحمل تركته إلى أهله ويورد خبره إليهم، ولا معه من سفره من يعينه على الحمولة، فإذا كانوا ثلاثة؛ تعاونوا فيما بينهم وتناوبوا المهنة والحراسة، وصلوا الجماعة، وأحرزوا الحظ فيها [1] أهـ.

وروى الحاكم على شرط مسلم من حديث أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:(**الْوَاحِدُ شَيْطَانٌ، وَالاِثْنَانِ شَيْطَانَانِ، وَالثَّلاَثَةُ رَكْبٌ**) [2].

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا رأى حِلَقًا في المسجد يقول:(**مَالِي أَرَاكُمْ عِزِينْ؟**) [3].

أي: متفرقين فِرَقًا، ومتحلقين حِلَقًا، وهذا يَدُلُّ على الفرقة والاختلاف، لأن الحلقة الواحدة تَدُلُّ على الرأس الواحد، والتفكير الواحدِ، والعمل الواحدِ، ليصبح هدفها الإصلاح ورجَاحةِ العقل، لا الفرقةِ واختلاف الهدفِ وإحداث الفتن، (وَكَأَنَّهُ يُحِبُّ ٱلجَمَاعَةِ) [4].

كما جاء في قوله تعالى:{كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً} [البقرة: ٢١٣].

أي: وجدوا أمة واحدة تتحد مقاصدها ومطالبها ووجهتها لتصلح ولا تفسد، وتحسن ولا تُسِيء، وتعدل ولا تظلم؛ أي: ما وجدوا إلا ليكونوا كذلك، كما قال في قوله تعالى:{ وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَٱخْتَلَفُواْ } [يونس: ١٩].

([1]) تحفة الأحوذي بشرح الترمذي: (61/5).
([2]) صحيح: رواه الحاكم: (102/2).
([3]) مسلم (1/322/430)، وسنن أبو داود (عون المعبود) (13/172/4802).
([4]) صحيح أبي داود (4039)، وسنن أبي داود (عون المعبود)، (3س 480/13/172).

أي: انحرفوا عن الاتحاد والاتفاق، الذي يثمر كل خير لهم وسعادة، إلى الاختلاف والشقاق المستتبع الفساد وهلاك الحرث والنسل، ولما كانوا لم يخلقوا سُدَىً من الله عليهم بما يبصرهم سبيل الرشاد في الاتحاد على الحق من بعثه الأنبياء، وما نزل معهم من الكتاب الفصل، كما أشارت تتمة الآية، وفي صحيح مسلم من حديث عائشة رضى الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا قام من الليل يصلي يقول:(**اللَّهُمَّ رَبَّ جِبْرِيلَ، وَمِيكَائِيلَ، وَإِسْرَافِيلَ، فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ، اهْدِنِي لِمَا اخْتُلِفَ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِكَ ، إِنَّكَ تَهْدِي مَنْ تَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيم**) (1) أهـ.

قال تعالى:{ **وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ**} [آل عمران: ١٠٣].

{ **وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخْتَلَفُواْ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾**} [آل عمران: ١٠٥].

فالاعتصام بكتاب الله وسنة نبيه هو سبيل النجاة وسبيل الفلاح، والاختلاف والفرقة هو سبيل الهلاك والخزي في الدنيا والآخرة، لأنه ما وقع الهرج والمرج، وعدم انتظام أمر الدين والدنيا التي آلَتْ إلى الفساد والتفرق إلا منهما،

---

(1) محاسن التأويل للقاسمي: (136/2)، والحديث أخرجه مسلم (770)، وأبو داود (767)، والترمذي (3420)، والنسائي في (المجتبى) (1624)، وفي (الكبرى) (1322)، وابن ماجه (1357)، وأحمد (24699)، وابن خزيمة (1153)، وابن حبان (2600)، والبيهقي (4772)، من حديث عائشة رضى الله عنها.

أي: الفرقة والاختلاف، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :(**مَنْ فَارَقَ ٱلْجَمَاعَةَ قَيْدَ شِبْرٍ لَمْ يَرَ بَحْبُوحَةَ الْجَنَّةِ**) [1].

ولذلك حرص الإسلام على لَمِّ الشَّمْلِ، ووحدة الصَّفِّ، لأن في الاتحاد قُوَّةٌ، وفي التفرقِ ضَعْفٌ، وَيَدٌ على يَدٍ قُوَّةٌ، وقرشٌ على قرشٍ ثروةٌ، وحَجَرٌ على حجرٍ بِنَاءٌ، وإن النصر مع الجماعة والاتحاد، لأن يد الله مع الجماعة، كما روى الترمذي من حديث ابْنِ عَبَّاسٍ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:(**يَدُ اللهِ مَعَ ٱلْجَمَاعَةِ**) [2].

وروى أبو داود، والترمذي، وغيرهما من حديث ابن عَبَّاسٍ رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:(**خَيْرُ الصَّحَابَةِ أَرْبَعَةٌ، وَخَيْرُ السَّرَايَا أَرْبَعُمِائَةٍ، وَخَيْرُ الْجُيُوشِ أَرْبَعَةُ آلاَفٍ، وَلَنْ يُغْلَبَ اثْنَا عَشَرَ أَلْفًا مِنْ قِلَّةٍ**) [3].

قوله صلى الله عليه وسلم :(**خير الصحابة أربعة**)، أي: ما زاد عن ثلاثة، **قال أبو حامد**: المسافر لا يخلو عن رجل يحتاج إلى حفظه، وعن حاجة يحتاج التردد فيها، ولو كانوا ثلاثة؛ لكان المتردد واحدًا، فيبقى بلا رفيق، فلا يخلو عن خطر وضيق قلب، لفقد الأنيس، ولو تردد اثنان؛ كان الحافظ وحده، **قال المظهر**: يعني الرفقاء إذا كانوا أربعة خير من أن يكونوا ثلاثة؛ لأنهم إذا كانوا ثلاثة، ومرض أحدهم، وأراد أن يجعل رفيقيه وَصِيِّ نفسه،

([1]) أخرجه البخاري (6646)، ومسلم (1849)، وأحمد (2679)، وابن أبي شيبة (599/8)، والدارمي (2424)، وأبو يعلى (2347)، والطبراني في (الكبير) (12759)، والبيهقي في (الكبرى) (17083)، وفي (شعب الإيمان) (7497)، من حديث ابن عباس رضى الله عنه.

([2]) أخرجه الترمذي (2166)، والبزار (2243)، من حديث ابن عباس، والحديث صحيح بشواهده.

([3]) صحيح: رواه أبو داود (2611)، والترمذي (1555)، وابن خزيمة في صحيحه (2538)، وابن حبان في صحيحه (4717)، وَخَرَّجَهُ الألباني في صحيح أبي داود (2275).

لم يكن هناك من يشهد بإمضائه إلا واحد، فلا يكفي، ولو كانوا أربعة، كفى شهادة اثنين، ولأن الجمع إذا كانوا أكثر يكون معاونة بعضهم بعضًا أَتَمُّ، وفضل صلاة الجماعة أيضًا أكثر، فخمسة خير من أربعة، وكذا كل جماعة خير ممن هو أقل منهم لا ممن فوقهم، قوله صلى الله عليه وسلم :(**وخير السرايا أربعمائة**) والسرايا جمع سرية وهي قطعة من الجيش، **قال في النهاية**: السرية هي طائفة من الجيش يبلغ أقصاها أربع مائة تبعث إلى العدو، وجمعها السرايا، سُمُّوا بذلك لأنهم يكونون خلاصة العسكر وخيارهم من الشيء النفيس.

وقوله:(**وخير الجيوش أربعة آلاف، ولا يغلب**)، أي: لا يصير مغلوبًا (**اثنا عشر ألفا**) **قال الطيبي**: جميع قرائن الحديث دائرة على الأربع واثنا عشر ضعفا، ولعل الإشارة بذلك تدعو إلى الشدة والقوة واشتداد ظهرانيهم تشبيهًا بأركان البناء، وقوله:(**من قلة**) معناه: أنهم صاروا مغلوبين لم يكن للقلة، بل لأمر آخر سواها، وإنما لم يكونوا قليلين، والأعداء مما لا يُعَدُّ ولا يحصى، فعن هذه الأثلاث: جيش قوبل بالميمنة، أو الميسرة، أو القلب فليكفها، ولأن الجيش الكثير المقاتل منهم بعضهم، وهؤلاء كلهم مقاتلون، ومن ذلك قول بعض الصحابة يوم حنين، وكانوا اثنى عشر ألفا، لن نغلب اليوم من قلة، وإنما غلبوا من إعجابٍ منهم، كما جاء في قوله تعالى:{وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا} [التوبة: ٢٥].
وكان عشرة آلاف من المدينة، وألفان من مسلمي فتح مكة [1] أهـ.

(1) تحفة الأحوذي بشرح الترمذي: (4/504-503).

ولما اختبر حَكِيمٌ أولاده، وأراد أن يعلمهم درسًا عمليًّا أمام نَاظِرَيْه، أحضر حزمة حطب، وأعطى الحزمة لكل واحدٍ منهما وطَلب منه أن يَكْسِرَ هذه الحزمة، فأخذ الواحد بعد الواحد هذه الحزمة على أن يكسرها فلم يقدر، وصعب على كل واحدٍ منهم كسرها، فلما رأى الوالد عجزهم عن ذلك قام بتفريق الحزمة إلى أعوادٍ، وقال لكل واحدٍ منهم اكسر ما في يدك، فأصبح في تلك الحالة كَسْرُ ما في يَدِ الأولادِ سهلٌ يسيرٌ، لأن حزمة الحطب تفرقت وضعفت بعد قوةٍ ثم أنشد الحكيم قائلاً:

كُونُوا جَمِيعًا يَا بَنِيَّ إِذَا اعْتَدَى ∴ خَطْبٌ وَلاَ تَفَرَّقُوا آحَادَا
تَأْبَى الْعَصِيَّ إِذَا اجْتَمَعْنَ تَكَسُّرًا ∴ وَإِذَا افْتَرَقْنَ تَكَسَّرَتْ أَعْوَادَا

* * *

□

وَطَوْقُ النَّجَاة لْلأُمَّة الإِسْلاَمَّيةِ في تلْكَ الآوِنَـةِ هُوَ التَّمَسُّكِ بِخُلقَ الْحَيَاءِ

والـذي أراه أنـه قد اضـمحل، أو كـاد أن ينتهـي مـن هـذه الأمـة التـي كـان صـفتها، وَسَمْتُهَا، لأنها أخذته من صفة الله ورسوله، والآن قد تجرأت بعض النفوس علـى تلك الصفة، وأحلت مكان الحياء السَّفالة والتَّبجُّح، وانطلقوا بألسنتهم المسمومة يهتكون أعراض الناس، بلا حياءٍ أو خجل، فيقذفون المحصنات وهم لا يدرون ما يُفعل بهم غدًا.

يَاهَتَكًـا سِـتْرَ الرِّحَـالِ وَقَاطِعًـا ∴ سُبُلَ الْمَوَدَّةِ عِشْتَ غَيْرَ مُكَرَّمِ
إِنْ كُنْتَ حُرًّا مِنْ سُلاَلَةِ طَاهِرِ ∴ مَـا كُنْـتَ هَتَّاكًـا لِحُرْمَـةِ مُسْـلِمِ

والذين يرمون الناس باتهاماتٍ جُزَافًا، وهم ما يطلقون عليهم باللغة الدارجة (رَمْى الجتت، أو تلقيح الجتت) على خلق الله، وللأسف الشديد أن ذلك يظهر من بعض المنتقبات اللاتي يتشدقن بكلماتٍ جارحاتٍ دون حياءٍ أو خجلٍ، فقد كنت فـي مكتب الشئون القانونية بمديرية التربية والتعليم، وجاء رجلٌ ترتعد فرائصه من إحدى الموظفات في مكتب التعليم الابتدائي، وللأسف الشديد منتقبة، وقال وكأن الكلام يقف في حلقه من شدة الخوف، لأن هذه السيدة ادَّعت عليه أنه (ذهب وراءها إلـى دورة المياه) وأنها أتت بأربعة شهودٍ علـى شاكلتها، وعندما نطق اسمها عرفتها، وقلت له: هذه السيدة (**ترمي جتتها علـى النـاس**) وتهوى تلفيق التهم، قم بتحرير مذكرة ضدها وأنا أشهد معك، لأنها بتلك الطريقة قامت بنقل الكثير في حقل التعليم، وخلال أيام علمت أنها نقلت من المديرية إلى الإدارة التعليمية، ولقد سبق لي أن كتبت ضدها عدة شكاوى وتصديت لجبروتها دون هوادة، أو خوف،

فقد ذهبت أنا وبعض الزملاء في حقل التعليم إلى محافظ كفر الشيخ السابق وأعلمته أمرها، فاتصل بوكيل الوزارة السابق على الفور وأنا جالس بين يديه، فوافق كلامه بما قلت، فقال: وماذا فعل مدير الإدارة، قلت له: (مدير الإدارة، لا بيحل ولا بيربط)، قال: هذا مديرك أقسمت له بالله: أنه لاَ يَحِلُّ وَلاَ يَرْبُطْ، أي: يَدَيْهِ مُرْتَعِشَةً، فقال: أعطني فرصةً لمدة يومين، وعندما تحقق من صدق قولي من جهات أخرى مسئولة، قام على الفور بنقلها إلى مديرة التربية والعليم، هذه السيدة تجرأت على الرجال والنساء، لأنها لم تَرَ من يصدها عن ذلك، فأصبحت كالغول لا يصدَّها صَادٌ، ولا يردعها قول الحق، حتى أصبح شهود العيان إذا طُلِبُوا للشهادة ترتعد فرائصهم خوفًا من لسانها، وإذا ذكرتهم بقول الله تعالى:{وَلَا تَكْتُمُواْ ٱلشَّهَـٰدَةَ } [البقرة: ٢٨٣].

يقولون: (**أنا مالي، يا عم ابعدني عن المشاكل**) فهذه السيدة ومن على شاكلتها قد قل ماء الحياء في وجهها، كما قال الشاعر:

إِذَا قَلَّ مَاءَ الْوَجْهِ قَلَّ حَيَاؤُهُ ... فَلاَ خَيْرَ فِي وَجْهٍ إِذَا قَلَّ مَاؤُهُ
حَيَاءَكَ فَاحْفَظْهُ عَلَيْكَ، فَإِنَّمَا ... يَدُلُّ عَلَى وَجَهِ الْكَرِيمِ حَيَاؤُهُ

فإذا نُزِعَ الحياءُ من الوجه، فلا ترى من المرء إلا جمودٌ في الضمير وبذاءَة في الأقوال بلسانٍ يتسلط على العباد بهتك الأعراض وهدم البيوت، واغتصاب الحقوق من النفوس البريئة الطاهرة التي لا حول لها ولا قوة غير أنها في مجتمع يخشى ظلم اللسان وتسلطه على الأعراض في مقتل، لذا أقول لكل من تُسَوِّلُ لهُ نفسه أن يمتنع عن الشهادة بقول الحق والضرب على يد الظالم (**لا تخف، فإن الباطل أجوف، كالبالونة المعبأة بالهواء، إذا تسرب الهواء منها أصبحت بلا جدوى**) حالها كحال الظالم المتجبر، فإذا أخذ الناس على يديه ذُلَّ وانقاد كما تنقاد الناقة بخطامها،

فقد أخرج الطبراني من حديث ابن عباسٍ مرفوعًا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:(**مَنْ أَعَانَ ظَالِمًا بِبَاطِلٍ لِيُدْحِض بِبَاطِلِهِ حَقًّا، فَقَدْ بُرِيءَ مِنْ ذِمَّةِ الله عز وجل وَذِمَّةَ رَسُولِه**) [1].

لذا أهيب بكل نفس مسلمة كانت على شريعة محمد صلى الله عليه وسلم الغرَّاء أن لا تترك الحق، بل تقف بجانبه وَتُعَضِّدَهُ، فإذا لم تُعِنْ على الحق، فإنك في تلك الحالة تُعِنْ على الباطل ليتبرأ الله ورسوله منك في يوم تشخص فيه الأبصار، والأمثال على ذلك كثيرة، وليس ذلك في النساء فقط، بل في الرجال أيضًا، فهيا نتذكر ما كان في أيام الزمن الجميل لعلها تُشْفِى الجراح، وتكون لنا درسًا ونبراسًا:

جاءت امرأة إلى عمر رضى الله عنه فقالت: يا أمير المؤمنين، إن زوجي قد كَثُرَ شَرُّهُ، وَقَلَّ خَيْرُهُ، قال لها عمر: وَمَنْ زوجك؟

قالت: أبو سلمة.

قال: فعرفهُ عُمَرُ رضى الله عنه فإذا هو رجلٌ لَهُ صُحْبَةٌ.

فقال لها عمر: ما نعلم من زوجك إلا خيرًا، ثم قال لرجل عنده: ما تقول أنت؟

فقال: يا أمير المؤمنين، لا نعلم إلا ذلك، فَأَرْسَلَ إلى زوجها وأمرها فقعدت خلف ظهره، فلم يلبث أن جاء الرجل مع زوجها، فقال له عمر: أتعرف هذه؟

قال: ومن هذه يا أمير المؤمنين؟

([1]) أخرجه الطبراني في (الكبير) عن ابن عباس مرفوعًا، وأخرجه الحاكم برقم: (100/4)، وأخرجه الخطيب برقم: (7616)، عن ابن عباس مرفوعًا، وأخرجه الطبراني في (الصغير) برقم: (44)، وجاء في (المجمع) برقم: (212/5)، وأورده الألباني في السلسلة الصحيحة برقم: (1021).

قال: هذه امرأتك.

قال: وتقول ماذا؟

قال: تزعم أنه كَثُرَ شَرُّكَ، وَقَلَّ خَيْرُك.

قال: بئسما قالت يا أمير المؤمنين، والله إنها لأكثر نسائها كُسْوَةً، وأكثرها رَفَاهِيَّةَ بَيْتٍ، ولكن بَعْلَهَا بَكِّيءْ، (أي: أن زوجها لا يستطيع الجماع).

فقال: ما تقولين؟

قالت: صدق، فأخذ الدِّرَّةَ، فقام إليها فتناولها وهو يقول: يَا عَدُوَّةَ نفسك، أفنيت شبابه، وأكلت ماله، ثم أنشأت تَشِنِّينَ عليه ما ليس فيه.

فقالت: يا أمير المؤمنين، أقلني في هذه المرة، والله لا تراني في هذا المقعد أبدًا، فدعا بأثوابٍ ثلاثة، فقال لها: اتقي الله وأحسني صحبة هذا الشيخ، ثم أقبل عليه فقال: لا يمنعك ما رأيتني صنعت بها أن تحسن صحبتها.

قال: أفعل يا أمير المؤمنين، قال الراوي: كأني أنظر إليها أخذت الأبواب منطلقة، ثم إني سمعت عمر رضى الله عنه يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:(**خير أمتي القرن الذي أنا فيه، ثم الذين يلونه، ثم الذين يلونه، ثم يجيء قوم تسبق شهادتهم أيمانهم، يشهدون قبل أن يستشهدوا لهم في أسواقهم**) [1].

وروى مسلم عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:(**خَيْرُ أُمَّتِي الْقَرْنُ الَّذِي بُعْثُ فِيهِ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ يَخْلُفُ قَوْمٌ يُحِبُّونَ السِّمَانَةَ، يَشْهَدُونَ قَبْلَ أَنْ يُسْتَشْهَدُوا**) [2].

([1]) الخبر جاء في مجمع الزوائد برقم: (91/10).
([2]) الروض النضير (247)، والسلسلة الصحيحة (699)، وصحيح الجامع برقم: (3301).

انظروا إلى حياء هذه المرأة التي قالت عن زوجها ما قالت: في حين أن ما قالته عنه به جزء من الحقيقة، أنه بَكِّيءْ، ولكن عندما ذَكَّرَهَا عمر رضى الله عنه بواجبها نحو زوجها أخذت الأبواب منطلقةً مُسْرِعةً من شِدَّةِ حياءها، لأن الوجه المصون بالحياء، كالجوهر المكنون في الوعاء، أي: كالجوهرة التي صانها صاحبها من يَدِ العابثين، ولن يتزين المرء بزينة هي أبهى ولا أجمل من الحياء، لأن الحياء تَاجٌ على رؤوس أصحابها لا يتزين بها إلاَّ هم، كما أخرج الترمذي وغيره من حديث أنس رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:**(مَا كَانَ الْفُحْشُ فِي شَيْءٍ قَطُّ إِلاَّ شَانَهُ، وَلاَ كَانَ الْحَيَاءُ فِي شَيْءٍ قَطُّ إِلاَ زَانَهُ)** [1].

قوله صلى الله عليه وسلم :**(ما كان الفحش)**، أي: ما اشتد قبحه من الكلام**(إلا شانه)**، أي: عَيَّبَهُ الْفُحْشُ، وقيل المراد بالفحش العنف، لما في رواية عبد بن حميد والضياء عن أنس أيضًا:**(مَا كَانَ الرِّفْقُ فِي شَيْءٍ إِلاَّ زَانَهُ، وَلاَ نُزِعَ مِنْ شَيْءٍ إِلاَّ شَانَهُ)**، وقوله صلى الله عليه وسلم :**(وما كان الحياء في شيء إلا زانه)** أي: زَيَّنَهُ.

قال الطيبي: أي: لَوْ قُدِّرَ أن يكون الفحش، أو الحياء في جماد لزانه أو شانه، فكيف بالإنسان؟**!** لأن الفحش عدوان الجواب [2] أهـ.

ومنه قوله صلى الله عليه وسلم :**(يَاعَائِشَةُ! إِنَّ مِنْ شَرِّ النَّاسِ، مَنْ تَرَكَهُ النَّاسُ اتِّقَاءَ فُحْشِهِ)** [3].

([1]) أخرجه الترمذي (1974) في البر والصلة، وابن ماجة (4185)، وعبد الرزاق في (المصنف) (20145)، والحديث صحيح.

([2]) أ. هـ تحفة الأحوذي بشرح الترمذي: (386/5).

([3]) السلسلة الصحيحة برقم: (1049)، وصحيح الجامع برقم: (3019-7925)، والحديث رواه الترمذي عن عائشة رضى الله عنها.

وقوله صلى الله عليه وسلم :(**يَا عَائِشَةُ! إِنَّ اللهَ لاَ يُحِبُّ الْفَاحِشَ الْـمُتَفَحِّشِ**) [1].

وقوله صلى الله عليه وسلم :(**يَا عَائِشَةُ! لاَ تَكُونِي فَاحِشَةً**) [2].

فالمؤمن إذا لم يَمْنَعْهُ إيمانه عن الفحش وبذاءة القول كالرجل العاري، بلا ثوبٍ يمنعه عن أعين الناس، لأن لباس الإيمان تقوى الله، وزينته حياء الوجه عن كل قبيح، لذا وجب علينا أن نتحلى بتلك الصفة التي هي من صفات الله جل وعلا ورسوله صلى الله عليه وسلم، فقد أخرج الترمذي، وأبو داود من حديث سلمان رضى الله عنه أن رسول الله قال:(**إِنَّ اللهَ حَيِيٌّ كَرِيمٌ، يَسْتَحْيِي إِذَا رَفَعَ الرَّجُلُ إِلَيْهِ يَدَيْهِ أَنْ يَرُدَّهُمَا صِفْرًا خَائِبَتَيْنْ**) [3].

قال ابن القيم رحمه الله: وأما حياء الرَّبِّ تعالى من عبده، فذاك نوعٌ آخر، لا تدركهُ الأفهام، ولا تكيفهُ العقول، فإنه حياء كريمٍ، وبرٍ، وجودٍ، وجلالٍ، فإنه تبارك وتعالى حَيِيٌّ كَرِيمٌ، يستحيي من عبده إذا رفع إليه يديه أن يردهما صفرًا، ويستحيي أن يعذب ذا شيبة شابت في الإسلام [4] أهـ.

فالله عز وجل مع كمال غناه عن الخلق كلهم من كرمه يستحيي من هتك العاصي، وفضيحته، وإحلال العقوبة به، فيستره بما يقيض له من أسباب الستر، ويعفو عنه، ويغفر له، ويتحبَّب إليه بالنعم،

([1]) الإرواء برقم: (2133)، وصحيح الجامع برقم: (3016-7922)، والحديث رواه أبو داود عن عائشة رضى الله عنها.

([2]) الإرواء برقم: (2133)، وصحيح الجامع برقم: (3026-7933)، والحديث رواه مسلم عن عائشة رضى الله عنها.

([3]) أخرجه أبو داود (28/2)، والترمذي (556/5)، وانظر صحيح الترمذي (179/3)، و(صحيح ابن ماجه) (331/2).

([4]) (مدارج السالكين) (261/2)، وقد ورد في كتاب الحياء، خُلق الإسلام محمد بن أحمد بن إسماعيل المقدم، ص: 21.

ويستحيي ممن يمد يديه إليه سائلاً متذللاً أن يردَّهما خاليتين خائبتين، ومعنى (يحب الحياء) أي: من اتصَّفَ به، **قال التوربشتي**: (وإنما كان الله يحب الحياء والستر، لأنهما خصلتان يفضيان به إلى التخلق بأخلاق الله) [1] أهـ.

أما عن حياء رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقد جاء في الحديث المتفق عليه من حديث أبي سعيد الخدري رضى الله عنه أنه قال:(**كَانَ رَسُولُ اللهِ** صلى الله عليه وسلم **أَشَدُّ حَيَاءً مِنَ الْعَذْرَاءِ فِي خِدْرِهَا، فَإِذَا رَأَى شَيْئًا يَكْرَهُهُ، عَرَفْنَاهُ فِي وَجْهِهِ**) [2].

والخِدْر: جزء من مكان يُعَدُّ ناحية البيت يلقي عليه ستر، فتكون فيه الجارية البكر، والعذراء - إذا كانت متربية في سِتْرِهَا - تكون أَشَدُّ حَيَاءً لتسترها حتى عن النساء، بخلاف الداخلة الخارجة، والمراد بالحديث الحالة التي تعتريها عند دخول أحدٍ عليها فيه، لا التي تكون عليها حالة انفرادها واجتماعها بمثلها [3] أهـ.

والمقصود أنه صلى الله عليه وسلم في حياءه الفطري المكتسب من طبيعته وإيمانه الذي جبله الله عليه أَشَدُّ من هذه البكر التي أرخى عليها هذا الخدرُ، أو السِّتْرُ.

أما آن لنا أن نتخلق بِخُلُقٍ يحبه الله ورسوله، أما آن لنا أن نستحيي من الله ورسوله عند اللقاء، ماذا نقول للرب تعالى وهو ناظرٌ إلينا ليسألنا عن الغش والغشاشين، ونحن قد زرعناهُ في قلوب النشءِ الصغِار،

([1]) تحفة الأحوذي بشرح الترمذي: (544/9).

([2]) رواه البخاري (434/10)، ومسلم برقم: (2320).

([3]) الحياء خلق الإسلام، محمد بن أحمد بن إسماعيل المقدم، ص: 24.

حتى أصبح حقًّا مستباحًا لهم؟ أما آن لنا أن نسأل أنفسنا - ما ذنب المجتهد الذي أحبطناه بخصلةٍ ذميمةٍ ألا وهي الغش الذي به سلبنا واغتصبنا له حق المجتهدين؟ أما آن لنا أن نستحيي من عدم وفائنا بالكيل والميزان، وماذا نفعل مع قوله تعالى:{وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ﴿١﴾ الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ﴿٢﴾ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴿٣﴾ أَلَا يَظُنُّ أُولَٰئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ﴿٤﴾ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥﴾ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦﴾} [المطففين: ١ - ٦].

أما آن لنا أن نستحيي من الله تعالى ونحن ننظر في أدبار النساء، وأعيننا تلاحقهم يُمْنَةً ويُسْرَةً، أين نحن من حياء موسى عليه السلام، وقوله لإحدى ابنتي شعيب وهي تدلهُ على الطريق للذهاب إلى أبيها، فقامت ريحٌ وصفت عن قعيصتها، أي: مؤخرتها، فقال لها: ارجعي خلفي واقذفي لي حجرًا أمامي لِيَدُلَّنِي على الطريق، فأنا رجلٌ عَبْرانِيٌّ لا أنظرُ في أدبار النساءِ.

أما آن لنا أن نستحيي من الله ونحن نحكم بأحكامٍ جائرةٍ، والمظلوم المكلوم قلقٌ المضاجعِ، غَرِقُ المدامِعِ، حائرُ الفؤادِ من شدة الظلمِ، أو الجورِ، ألا تتعظ أيها القاضي الجائرُ من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم :(**الْقُضَاةُ ثَلَاثَةٌ: اثْنَانِ فِي النَّارِ، وَوَاحِدٌ فِي الْـجَنَّةِ رَجُلٌ عَلِمَ الْـحَقَّ فَقَضَى بِهِ فَهُوَ فِي الْـجَنَّةِ ، وَرَجُلٌ قَضَى لِلنَّاسِ عَلَى جَهْلٍ فَهُوَ فِي النَّارِ ، وَرَجُلٌ عَرَفَ اَلْـحَقَّ فَجَارَ فِي الْـحُكْمِ فَهُوَ فِي النَّارِ**) [1].

أما آن لنا أن نستحيي من الله ونحن ننظر إلى المعاصي ليل نهار، ونحن نسبح في شاشات التلفازات نطلق النظرات المسمومة على الأفلام العاهرة التي تدعو إلى الرذيلة.

([1]) الإرواء برقم: (2613)، وصحيح الجامع برقم: (4446)، والحديث روى في السنن الأربعة، والحاكم عن بريدة رضى الله عنه.

أمـا آن لنـا أن نستحيي من الله ونحـن قد فَرَّطْنـا فـي الصـلاة وتركناهـا وقد ابْيَضَّ الشَّعْرُ، وانْحَنَى الظَّهْرُ.

فَـلاَ وَاللهِ مَـا فِـي الْعَـيْنِ خَيْـرٌ ∴ وَلاَ الــدُّنْيَا إِذَا ذَهَــبَ الْحَيَــاءُ
يَعِيشُ الْمَـرْءُ مَـا اسْتَحيَا بِخَيْرٍ ∴ وَيَبْقَـى الْعُـودُ مَـا بَقِـيَ اللِّحَـاءُ

* * *

وَطَوْقُ النَّجَاةِ أَيْضًا يَتَمَثَّلُ فِي صَلَاحِ الْقَلْبِ

وإدخال السرور عليه بذكر الله، فإذا غفل عن ذكر الله ذُكِّرَ، حتى لا يعلوه الصدأُ، أو الرَّانُ، لأن السيئة تمحوها الحسنة كما جاء في قوله تعالى:{ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ذَٰلِكَ ذِكۡرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴿١١٤﴾} [هود: ١١٤].

وقد روى عن ابن مسعود رضى الله عنه، أَنَّ رَجُلاً جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي عَالَجْتُ امْرَأَةً فِي أَقْصَى الْمَدِينَةِ، وَإِنِّي أَصَبْتُ مِنْهَا مَا دُونَ أَنْ أَمَسَّهَا، وَأَنَا هَذَا فَاقْضِ فِيَّ مَا شِئْتَ، فَقَالَ عُمَرُ رضى الله عنه: لَقَدْ سَتَرَكَ اللَّهُ تَعَالَى لَوْ سَتَرْتَ نَفْسَكَ، قَالَ: فَلَمْ يَرُدَّ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم شَيْئًا، فَقَامَ الرَّجُلُ، فَانْطَلَقَ فَأَتْبَعَهُ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم رَجُلًا فَدَعَاهُ، وَتَلَا عَلَيْهِ الآيَةَ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَذَا لَهُ خَاصَّةً؟، قَالَ:(بَلْ لِلنَّاسِ كَافَّةً) [1].

معنى قوله: (إني عالجت امرأة) أي: داعبتها وناولت منها ما يكون بين الرجل والمرأة غير أني ما جامعتها، (في أقصى المدينة) أي: أسفلها وأبعدها عن المسجد (ما دون أن أمسها) أي: أصبت منها ما يجاوز المس، أي: المجامعة (وأنا هذا) أي: أنا موجود وحاضر بين يديك ومنقاد لحكمك (فاقض فيَّ) أي: فاحكم في حقي (ما شئت)

([1]) أخرجه البخاري (503)، ومسلم (2763)، وأبو داود (4468)، والترمذي (3112)، والنسائي في (الكبرى) (7322) و(7324)، وابن ماجه (1398)، وأحمد (4238)، وعبد الرزاق (13829)، والبزار (1626)، وأبو يعلى (5389)، وابن خزيمة (313)، وابن حبان (1730)، والطبراني في (الكبير) (10482)، وفي (الأوسط) (7279)، والبيهقي في (الكبرى) (17563)، وفي (شعب الإيمان) (7084) من حديث ابن مسعود.

أي: أردته مما يجب عَلَيَّ كِنَايَةً عن غاية التسليم والانقياد إلى حكم الله ورسوله (لو سترت على نفسك) أي: لكان حسنًا (فلم يرد عليه) أي: على الرجل، أو على عمر (شيئًا) من الكلام انتظارًا لقضاءِ الله فيه، رجاء أن يخفف من عقوبته (فانطلق الرجل) أي: فذهب ظنًّا منه لسكوته عليه الصلاة والسلام أن الله سينزل فيه شيئًا، وأنه لابد أن يبلغه؛ فإن كان عفوًا شكر، وإلاَّ عاد ليستوفي منه (فاتبعه رسول الله صلى الله عليه وسلم) أي: أرسل عقبه (رجلا) ليدعوه (فتلا عليه) أي: فقرأ عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم على الرجل (وأقم الصلاة طرفي النهار) الغداة والعشي، أي: الصبح والظهر والعصر (وزلفا) جمع زلفة، أي طائفة (من الليل) أي: المغرب والعشاء (إن الحسنات) كالصلوات الخمس (يذهبن السيئات) أي: الذنوب الصغائر (ذلك ذكرى للذاكرين) عظة للمتعظين [1] أ. هـ.

لذا أصبح لِزَامًا على ابن آدم في تلك الحالة أن لا يغفل عن الاستغفار والتوبة، وأن يتبع السيئة الحسنة، لأن الحسنة تَمْحُهَا، كما روى الإمام أحمد عن معاذ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:(**أَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الْـحَسَنَةَ تَمْحُهَا، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ**) [2].

وله عن أبي ذَرٍّ مرفوعًا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:(**إِذَا عَمِلْتَ سَيِّئَةً فَأَتْبِعْهَا حَسَنَةً تَمْحُهَا**) [3].

([1]) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي: (78/8).

([2]) أخرجه أحمد (21554)، والطبراني في (الكبير) (296)، وفي (الأوسط) (3779)، وفي (الصغير) (531)، والبيهقي في (شعب الإيمان) (8023) من حديث معاذ، وأخرجه الترمذي (1987)، وأحمد (20847)، والدارمي (2688)، والحاكم (178).

([3]) أخرجه أحمد (20976)، والسلسلة الصحيحة برقم: (1373)، وصحيح الجامع برقم: (690).

فالـدائمون علــى حضــور الصــلوات الخمـس فــي جماعــة، يظـل دوام النـور فــي وجوههم وقلوبهم، لأن دوام الصلوات يساعد على دوام مَحْوِ السيئات، كما جاء في الحديث الذي رواه الطبراني من حديث عبد الله بن مسعود رضى الله عنـه أنـه قـال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :(تَحْتَرِقُونَ تَحْتَرِقُونَ، فَإِذَا صَلَّيْتُمُ الصُّبْحَ غَسَلَتْهَا، ثُمَّ تَحْتَرِقُونَ تَحْتَرِقُونَ، فَإِذَا صَلَّيْتُمُ الظُّهْرَ غَسَلَتْهَا، ثُمَّ تَحْتَرِقُونَ تَحْتَرِقُونَ، فَإِذَا صَلَّيْتُمُ الْعَصْرَ غَسَلَتْهَا، ثُمَّ تَحْتَرِقُونَ تَحْتَرِقُونَ، فَإِذَا صَلَّيْتُمُ الْمَغْرِبَ غَسَلَتْهَا، ثُمَّ تَحْتَرِقُونَ تَحْتَرِقُونَ، فَإِذَا صَلَّيْتُمُ الْعِشَاءَ غَسَلَتْهَا، ثُمَّ تَنَامُونَ فَلا يُكْتَبُ عَلَيْكُمْ حَتَّى تَسْتَيْقِظُوا) [1].

وروى أحمد ومسلم والترمذي من حديث أبي هريرة رضى الله عنـه أنـه قـال: قـال رسـول الله صـلى الله عليـه وسـلم :(الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ، وَالْجُمُعَةُ إِلَى الْجُمُعَةِ، وَرَمَضَانُ إِلَى رَمَضَانَ، مُكَفِّرَاتٌ لِمَا بَيْنَهُنَّ إِذَا اجْتُنِبَتِ الْكَبَائِرُ) [2].

قال القاشاني رحمه الله: لَمَّا كانت الحواس الخمس شواغل تشغل القلب بمـا يَرِدُ عليه من الهيئات الجسمانية، وتجذبـه عن الحضـرة الرحمانيـة، وتحجبـه عن النـور والحضـور، بـالإعراض عـن جنـاب القـدس، والتوجـه إلـى معدن الـرجس، وتبذلـه الوحشـة بـالأنس، والكـدورة بالصـفاء، فُرِضَتْ خمـس صـلوات، يتفـرغ فيهـا العبـد للحضـور، وَيَسُدُّ أبـواب الحـواس، لـئلا يَرِدَ علـى القلـب شـاغلٌ يُشْغَلُهُ، ويفتـح بـاب القلب إلى الله تعالى بالتوجه والنية، لوصول مدد النور،

(1) حديث حسن صحيح: رواه الطبراني في الأوسط (358/2)، والصغير (91/1)، وقال: (لم يروه عن حماد بن سلمة مرفوعًا إلا اللاحقي)، والحديث ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (299/1).

(2) أخرجه مسلم (233)، والترمذي (214)، وأحمد (8944)، وابن خزيمة (1814)، وابن حبان (4733)، والبيهقي في (الكبرى) (21356)، وفي (شعب الإيمان) (3619)، وصحيح الجامع برقم (3875) عن أبي هريرة رضى الله عنه.

ويجمع هَمَّهُ عن التفرق، ويستأنس بربه عن التوحش، مع اتحاد الوجهة، وحصول الجمعية، فتكون تلك الصلوات الخمس أبواب مفتوحة للقلب، على جناب الرَّبِّ، يدخل عليه بها النور بإزاء تلك الخمسة المفتوحة إلى جانب الغُرُورِ، وَدَارًا للعين الْغَرُورِ تدخل بها الظلمة لِيُذْهِبَ النورُ الواردُ آثار ظلماتها، ويكسح غبار كدوراتها، وهذا معنى قوله:{إِنَّ ٱلْحَسَنَـٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ} [هود: ١١٤] [1] أهـ.

فالقلب كالملك، والحواس كالجنود والرعايا، فإذا صَلُحَ الملكُ صلحت الجنود والرعايا، وإذا فسد الملك فسدت الجنود والرعايا، فصلاح القلب يعقبه صلاح الحواس، فإذا فسد يتم بفساده فساد الجوارح والحواس، لأن القلب إذا استقام على أي أمرٍ من الأمور ستستقيم معه الجوارح بإذنه تعالى، لقوله صلى الله عليه وسلم :**(أَلاَ وَإِنَّ فِي الْـجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلُحَتْ صَلُحَ الْـجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْـجَسَدُ كُلُّهُ أَلاَ وَهِيَ الْقَلْبُ)** [2].

فالإيمان يتسرب من القلوب الملتاسة بتلك الأخلاق المذمومة، كما يتسرب الماء من الإناء المشدوخ، والقلب الملتاس هو الذي يتأثر بتأثر هواهُ، فلا تثبت عنده عقيدة، فيتغير بتغير الظروف والمواقف والأحداث،

([1]) محاسن التأويل للقاسمي: (142/6).

([2]) رواه البخاري في (34) كتاب البيوع، (2) باب الحلال بين والحرام بين، وبينهما مشتبهات (الحديث 2051) عن النعمان بن بشير، ولفظه: (الحلال بين، والحرام بين، وبينهما أمور مشتبهة، فمن ترك ما شبه عليه من الإثم كان لما استبان أترك، ومن اجترأ على ما يشك فيه من الإثم أو شك أن يواقع ما استبان، والمعاصي حمى الله، ومن يرتع حول الحمى يوشك أن يواقعه) رواه البخاري في (2) كتاب الإيمان (39) باب فضل من استبرأ لدينه (الحديث 52) عن النعمان بن بشير، ورواه مسلم (22) كتاب المساقاة (20) باب أخذ الحلال وترك الشبهات (الحديث 1599/107)، وغاية المرام برقم: (20)، وصحيح الجامع برقم: (3193) عن النعمان بن بشير رضى الله عنه.

فتنعدم وجهته، فينحدر مع من ينحدر ويهوى إلى السقوط مع من يسقط، فلا تثنيه الشدائد، ولا توقظهُ العبر، ولا تؤثر فيه المواعظ، ولا يلين قلبه عند الاستماع لكلام الله تعالى، فيخرج منه الإيمان جزءًا جزءًا، حتى يصبح مثل الإناء المشدوخ الذي يفرغُ منه الماء قطرةً قطره، فيصبحُ خاليًا من نور البصيرة واليقين، فيكون خبيث النفس لا يعرف معروفًا ولا يُنِكرُ مُنْكَرًا [1] أهـ.

فقد روى مسلم وأحمد من حديث حذيفة بن اليمان أنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:**(تُعْرَضُ الْفِتَنُ عَلَى الْقُلُوبِ كَعَرْضِ الْحَصِيرِ، عُودًا عُودًا، فَأَيُّ قَلْبٍ أُشْرِبَهَا نُكِتَتْ فِيهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ، وَأَيُّ قَلْبٍ أَنْكَرَهَا نُكِتَتْ فِيهِ نُكْتَةٌ بَيْضَاءُ، حَتَّى يَصِيرَ عَلَى قَلْبَيْنِ أَبْيَضَ مِثْلِ الصَّفَا، فَلاَ تَضُرَّهُ فِتْنَةٌ مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ، وَالآخَرُ أَسْوَدُ مِرْبَادًا كَالْكُوزِ مُجَخِّيًا، لا يَعْرِفُ مَعْرُوفًا، وَلا يُنْكِرُ مُنْكَرًا، إِلا مَا أُشْرِبَ مِنْ هَوَاهُ)** [2].

معنى قوله صلى الله عليه وسلم :**(تُعْرَضُ)** أي: تلتصق بعرض القلوب، أي: جانبها، كما يلتصق الحصير بجنب النائم، ويؤثر فيه شِدَّةَ التصاقها به، و**(عُودًا عُودًا)** أي: تعادُ وتكررُ شيئًا بعد شَيْءٍ.

وقال الأستاذ **أبو عبد الله بن سليمان**: معناه تظهر على القلوب، أي: تظهر لها فتنة بعد أخرى، وقوله:**(كالحصير)** أي: كما ينسج الحصير عودًا عودًا وشظيَّةٌ بعد أخرى، قال **القاضي عياض رحمه الله**:

([1]) يا باغي الجنة قف مع نفسك للمؤلف، ص: (90).

([2]) رواه مسلم في (1) كتاب الإيمان (64) باب رفع الأمانة والإيمان من بعض القلوب وعرض الفتن على القلوب (الحديث 144/231)، عن حذيفة رضى الله عنه، ورواه الإمام أحمد في مسنده، الحديث رقم (23500/23340/9) من حديث حذيفة بن اليمان رضى الله عنه بألفاظ متقاربة، ومختصر مسلم برقم: (1990)، وصحيح الجامع برقم: (1354-2960).

وعلى هذا يترجَّحُ رواية ضَمِّ العين وذلك لأن ناسج الحصير عند العرب كلما صنع عودًا أخذ آخر ونسجه فَشَبَّهَ عَرْضَ الفتن على القلوب واحدة بعد أخرى بعرض قضبان الحصير على صانعها واحدًا بعد واحدٍ.

قوله صلى الله عليه وسلم :(**فأيُّ قلب أشربها نكت فيه نكتة سوداء، وأي قلب أنكرها نكت فيه نكتة بيضاء**) ومعنى (أشربها) أي: دخلت فيه دخولاً تامًّا وألزمها وحلَّت منه محلَّ الشراب، ومنه قوله تعالى:{وَأُشْرِبُواْ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ } [البقرة: ٩٣].

أي: حُبِّ العجل، ومعنى:(**أنكرها**) أي: رَدَّهَا، وقوله صلى الله عليه وسلم :(**حتى تصير على قلبين على أبيض مثل الصفا فلا تضره فتنة ما دامت السماوات والأرض والآخر أسود مربَادًّا كالكوز مجخيا لا يعرف معروفًا ولا ينكر منكرًا إلا ما أشرب من هواه**) قال القاضي عياض رحمه الله ليس تشبيهه بالصَّفا بيانًا لبياضه، لكن له صفة أخرى لشدته على عقد الإيمان وسلامته من الخلل، وأن الفتن لم تلتصق به، ولم تؤثر فيه كالصفا وهو الحجر الأملس الذي لا يعلق به شيء [1] أهـ.

أما قوله صلى الله عليه وسلم :(**مربادًّا**) أي: شدة البياض في سواد [2] أهـ.

وأما قوله صلى الله عليه وسلم :(**مُجَخِّيًا**) أي: منكوسًا، أو قريبًا من المائل، قال **القاضي عياض**: قال لي ابن سَرَاجٍ: بأنه قُلِبَ وَنُكِّسَ حتى لا يعلق به خير ولا حكمة، أي: شَبَّهَ الْقَلْبُ الذي لا يعي خَيْرًا بالكوز المنحرف الذي لا يثبت الماء فيه.

([1]) صحيح مسلم بشرح النووري: (412-413/1).
([2]) شرح السنن للبغوي: (299/8).

وقال صاحب التحرير: معنى الحديث أن الرجل إذا تبع هواه وارتكب المعاصي دخل قلبه بكل معصية يتعاطاه ظلمة، وإذا صار كذلك افتتن وزال عنه نور الإسلام، والقلب مثل الكوز انكبَّ وانصبَّ ما فيه، ولم يدخله شيء بعد ذلك [1] أهـ.

وَلمَّا قسَا قلبِي وَضَاقتْ مَذَاهبي :: جَعَلْتُ رَجَائِيَ نَحْوَ عَفْوِكَ سُلَّمَا
تَعَاظَمَنِي ذَنْبِى فَلَمَّا قَرَنْتُهُ ::: بِعَفْوِكَ رَبِّي كَانَ عَفْوُكَ أَعْظَمَا
فَمَازِلْتُ ذَا عَفْوٍ عَنِ الذَّنْبِ لَمْ تَزَلْ ::: تَجُودُ وَتَعْفُو مِنَّةً وَتَكَرُّمَا

فأنفع ما يكون للقلب النظر في حقِّ الله على العباد، فإن ذلك يورثه مقت نفسه، والازدراء عليها ويخلصه من العجب ورؤية العمل، ويفتح له باب الخضوع والذُّلِّ والانكسار بين يَدَيْ ربه واليأس من نفسه، وأن النجاة لا تحصل إلا بعفو الله عليه، ومغفرته ورحمته له، فإن من حَقِّهِ أن يُطَاعَ ولا يُعْصَى، وأن يُذْكَرَ فلا يُنْسَى، وأن يُشْكَرَ فلا يُكْفَرَ، فمحاسبة النفس هو نظر العبد في حق الله عليه أولاً، ثم نظره هل قام به كما ينبغي ثانية؟ وأفضل الفكر الفكر في ذلك، فإنه يسير القلب إلى الله ويطرحه بين يديه ذليلاً، خَاضِعًا، مُنْكَسِرًا كَسْرًا فيه جَبْرُهُ، وَمُفْتَقِدًا فَقْدًا فيه غِنَاهُ، وَذَلِيلاً ذُلاًّ فيه عِزُّهُ، ولو عمل من الأعمال ما عساهُ أن يَعْمَلَ، فإنه إذا فاته هذا، فالذي فاته من البِرِّ أفضل من الذي أتى [2] أهـ.

* * *

□

([1]) أ. هـ صحيح مسلم بشرح النووي: (414/1).
([2]) أ. هـ إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان لابن القيم ص: 98.

وَطَوقُ النَّجَاةِ أَنْ تَبَرَّ وَالِدَيْكَ

وَٱلْبِرُّ: هو الوفاء والإحسان والطاعة للوالدين ومواصلة وصلهما، كما جاء في قوله تعالى:{وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا} [الأحقاف: ١٥]، أي: أمرناه بالإحسان إليهما، فقد أخرج الطيالسي من حديث سعد بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: قَالَتْ أُمُّ سَعْدٍ لِسَعْدٍ: أَلَيْسَ قَدْ أَمَرَ اللهُ بِطَاعَةِ ٱلْوَالِدَيْنِ، فَلاَ آكُلُ طَعَامًا، وَلاَ أَشْرَبُ شَرَابًا حَتىَّ تَكْفُرَ بِاللهِ تَعَالَى، فَامْتَنَعَتْ مِنَ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ، حَتَّى جَعَلُواَ يَفْتَحُونَ فَاهَا بِالْعَصَا، وَنَزَلَتْ ٱلآيَةُ أ. هـ [1].

وقد أخرج أبو داود من حديث بَهْزِ بْنِ حَكَيمٍ عَنْ أَبِيه عَنْ جَدِّهِ أَنَّهُ قَالَ: قُلْتُ يَا رَسُوُلَ اللهِ: مَنْ أَبَرُّ؟ قَالَ:**(أُمَّكَ)** قَالَ: قُلْتُ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ:**(أُمَّكَ)** قَالَ: قُلْتُ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ:**(أُمَّكَ)** قَالَ: قُلْتُ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ:**(ثُمَّ أَبَاكَ، ثُمَّ ٱلأَقْرَبَ، فَٱلأَقْرَبَ)** [2].

قال النووي: فِيه الْحَثُّ عَلَى بَرِّ الوالدين، وأن ٱلأُمَّ أحقهم بذلك، ثم بعدها الأب، ثم الأقرب فالأَقَرب، قالوا: وسبب تقديم الأم كثرة تعبها عله وشفقتها وخدمتها أ. هـ [3].

([1]) صحيح تفسير ابن كثير: (198/4)، والحديث أخرجه الطيالسي (ص 28 - 29) في سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، ونحوه عند مسلم برقم: (1748) في فضائل الصحابة، باب في فضل سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه.

([2]) حديث حسن: أخرجه أبو داود (5139) من طريق بهز بن حكيم عن أبيه عن جده، وفيه عنده زيادة، وحسنه الترمذي برقم: (1897).

([3]) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي: (316/5).

ولذلك عندما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أَحَقِّ النَّاسِ بِحُسْنِ الصُّحْبَةِ قَالَ:(**أُمُّكَ، ثُمَّ أُمُّكَ، ثُمَّ أُمُّكَ، ثُمَّ أَبَاكَ، ثُمَّ الْأَقْرَبَ فَالأَقْرَبَ**) [1].

وفي رواية أخرى قال صلى الله عليه وسلم :(**أُمُّكَ، وَأَبَاكَ، وَأُخْتُكَ، وَأَخَاكَ، وَأَدْنَاكَ أَدْنَاكَ**) [2].

فرضا الله تعالى في رضا الوالدين، وسخطهما في سخطهما، فقد أخرج ابن ماجة من حديث عبد الله بن عَمْرو، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:(**رِضَى الرَّبِّ فِي رَضَى الْوَالِدِ، وَسَخُط الرَّبِّ فِي سَخَطِ الْوَالِدِ**) [3].

ثم جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم في الْحَثَّ على رِضَاهُمَا وَبَرِّهِمِا، أي: الأم والأب، فقال: رضا الرَّبِّ في رضاهما، وسخطه في سخطهما، فقد روى الطبراني في الكبير من حديث ابن عَمْرو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:(**رِضَا الرَّبِّ فِي رِضَا الْوَالِدِيْنِ، وَسَخَطُهُ فِي سَخَطِهِمَا**) [4].

وقد ربط الله تعالى شكره بشكر الوالدين، فقال:{ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾

([1]) والحديث رواه الإمام أحمد، وأبو داود، والترمذي، والحاكم، عن معاوية بن حيدة، وابن ماجة عن أبي هريرة رضي الله عنه، وجاء في المشكاة برقم: (48)، والإرواء برقم: (837، 2163)، وحسنه الشيخ الألباني في صحيح الجامع برقم: (1399).

([2]) والحديث جاء في مسند أبي يعلى، والطبراني الكبير، والحاكم عن صَعْصَعَةَ الْمُجَاشِعِيِّ، والحاكم عن أبي رمثة، والطبراني أيضًا عن أسامة بن شريك، وجاء في الإرواء بأرقام: (834، 837، 2163)، وحسنه الشيخ الألباني في صحيح الجامع برقم: (1400 - 612).

([3]) حديث صحيح أخرجه ابن ماجة: (2089، 3663)، والترمذي برقم: (1899)، ورواه الحاكم عن ابن عمرو، والبزار عن ابن عمر، وجاء في السلسلة الصحيحة برقم: (516)، وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجماع برقم: (3506).

([4]) السلسلة الصحيحة برقم: (516)، وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع برقم: (3507).

} [لقمان: ١٤]، فقد أوصى الله بالإحسان إلى الوالدين، لاَسِيمَّاَ الأم، لأنها حملته وَهْنًا على وَهْنٍ، أي: ضعفًا بعد ضَعْفٍ، وشِدَّةً بعد شِدَّةٍ، ولا يزال يتزايد ضعفها في ألم الحمل وشدة ثقله، وألم الولادة، وفترة الرضاعة، وسهر الليالي وتحمل العناء والمشقة في تلك الفترة لينال الرضيع راحته، وأما قوله:{أَنِ ٱشۡكُرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيۡكَ }، أي: بأن تعرف نعمة الإحسان وتقدره حق قدره، **فقد جاء في البصائر**: أَنَّ الشُكْرَ مَبْنيٌّ عَلَى خَمْسِ قَوَاعِدٍ: خضوع الشاكر للمشكور، وَحُبَّهُ لَهُ، واعترافه بنعمته، والثناء عليه بها، وأن لا يستعملها فيما يكره، هذه الخمسة هي أساس الشكر وبناؤه عليها، فإن عَدِمَ منها واحدةً، اخْتَلَّتْ قاعدةٌ من قواعِدِ الشكرِ، وكل من تكلم في الشكر، فإن كلامه يرجع وعليها يدور، أما قوله تعالى:{إِلَيَّ ٱلۡمَصِيرُ }، تعليل لوجوب الامتثال، أي: إِلَيَّ الرُّجُوعَ، لا إلى غيري فأجازيك على ما صدر عنك من الشكر والكفر أ. هـ [1].

وعن بعض العرب أنه حمل أُمَّهُ إلى الحج على ظهره وهو يقول في حداثه بنفسه.

أَحْمِلُ أُمِيِّ وَهِيَ الحَمَّالَهْ ⁞ تُرْضِعُنِي الدَّرَّةَ وَالْعُلاَلَهْ

وَلاَ يُجَارَي وَالِدٌ فَعَالَهْ

وشبيهٌ من ذلك أن عبد الله بن عمر مَرَّ على أعرابِيٍّ وهو يطوف حول الكعبة ويحمل أمه على ظهره ويرتجز، ثم يقول له: إنها تقضي حاجتها على ظهري، أتراني قد وَفَّيْتَ حَقَّهَا، قال عبد الله بن عمر: ولا بطلقة واحدة. **لذا**، فقد مَيَّزَ الله بين أبواب الجنة، فجعل خير الأبواب أعلاها، وأحسنها أوسطها، فالسعيد من حافظ على هذا الباب، لأن في المحافظة

([1]) محاسن التأويل للقاسمي: (613/9).

على ذلك الباب في الحفاظ على بِرِّ الوالدين، فقد روى الحاكم في المستدرك من حديث أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضَيِ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَجُلاً أَتَاهُ، فَقَالَ: إِنَّ لِيَ امْرَأَةً وإِنَّ أُمِّي تَأْمُرَنِي بِطَلاَقِهَا؛ قَالَ أَبُو الدَّرْدَاءُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهَ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ:(**الْوَالِدُ أَوْسَطُ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ فَإِنْ شِئْتَ فَأَضِعْ ذَلِكَ الْبَابَ أَوِ احْفَظْهُ**) [1].

وَرُوِيَ عَنْ طَلْحَةَ السُّلَمِيِّ رَضِي اللهُ عَنْهُ قَالَ: أَتَيْتُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنِّي أُرِيُد الْجَهادَ فِي سَبيلِ اللهِ؟ قَالَ:(**أُمَّكَ حَيَّةٌ؟**) قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم :(**الْزَمْ رِجْلَهَا فَثَمَّ الْجَنَّةٌ**) [2].

وَعَنْ مَعَاوِيَةَ بْنِ جَاهِمَةَ أَنَّ جَاهِمَةَ جَاءَ إِلَى النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ أَرَدْتُ أَنْ أَغْزُو، وَقَدِ جِئْتُ أَسْتَشِيُركَ؟ فَقَالَ:(**هَلْ لَكَ مِنْ أُمٍّ؟**) قَالَ: نَعَمْ. قَالَ:(**فَالْزَمْهَا، فَإِنَّ الْجَنَّةَ عِنْدَ رِجْلِهَا**) [3].

ورواه الطبراني بإسنادٍ جيدٍ، ولفظهُ، أنه قَالَ: أَتَيْتُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم أَسْتَشِيرُهُ فِي الْجِهَادِ، فَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم :(**أَلَكَ وَالِدانِ؟**) قُلْتُ: نَعَمْ. قَالَ:(الْزَمْهُمَا، فَإِنَّ الْجَنَّةَ تَحْتَ أَرْجُلِهِمَا) [4].

([1]) حديث صحيح: مرفوع من حديث خالد بن الحارث، وهو ثقة ثبت، انظر المستدرك للحاكم (ج 3 ص : 151 - 152)، والترمذي برقم: (1900)، ورواه الإمام أحمد في مسنده، وابن ماجه، والحاكم من حديث أبي الدرداء أيضًا، وجاء في السلسلة الصحيحة برقم: (910)، والمشكاة برقم: (4928)، وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم: (7145)، ورواه ابن ماجه برقم: (2089)، وابن حبان برقم: (426)، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه برقم: (2955).

([2]) صحيح بشواهده: عزاه الهيثمي في المجمع (138/8) للطبراني، وقال: فيه ابن إسحاق، وهو مدلس عن محمد بن طلحة، ولم أعرفه، وبقية رجاله رجال الصحيح، والترغيب برقم: (3664).

([3]) حسن: رواه ابن ماجه (2781)، والنسائي: (11/6)، والحاكم: (104/2)، وحسنه الألباني في صحيح ابن ماجه برقم: (2908)، والترغيب للمنذري برقم: (3666).

([4]) نفس التخريج السابق.

والسعيد أيضًا من حافظ على دخول الجنة في حياة والديه، أي: بالإحسان إليهما، وإرضائهما قدر استطاعته، والتوجه إليهما بأجمل الألفاظ، والتعامل معهما بتعامل الابن الرفيق الشفيق عليهما في شبابهما، والإحسان إليهما وَبَرِّهِمَا في شيخوختهما، فقد روى الإمام أحمد، ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:(**رَغِمَ أَنْفُهُ، ثُمَّ رَغِمَ أَنْفُهُ، ثُمَّ رَغِمَ أَنْفُهُ مَنْ أَدْرَكَ أَبَوَيْهِ عِنْدَهُ الْكِبَرُ أَحَدُهَمَا أَوْ كِلاَهُمَا ثُمَّ لَمْ يَدْخُلِ الْجَنَّةَ**) [1].

ولذلك حَذَّرَ اللهُ تبارك وتعالى من جفافِ حياءِ الوجهِ في التعامل مع الوالدين ولو كان أَقَلُّهَا كلمة: (أُفٍّ) كما جاء في قوله تعالى:{وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾} [الإسراء: ٢٣ - ٢٤].

وَمِنْ أَبَرِّ ٱلبِرِّ مواصلة صداقة الأبناء أصدقاء الأباء وأقربائهم، كما أخرج مسلم من حديث عبد الله بن عمر أنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:(**إِنَّ أَبَرَّ الْبِرِّ أَنْ يَصِلَ الرَّجُلُ أَهْلَ وَدِّ أَبِيهِ**) [2].

وأخرج مسلم من حديث عبد الله بن عمر أنه كان إذا خرج إلى مكة كان له حمار يَتَرَوَّحُ عليه إذا مَلَّ ركوب الراحلةِ وَعُمَامَةٌ يَشِدُّ بها رأسهُ فبينما هو يومًا على ذلك الحمار، إِذْ مَرَّ بِهِ أعْرَابِيٌّ فقال له ابن عمر: ألست فلان بن فلان، قال: بلى، فأعطاه الحمار، وقال ارْكَبْ هذا وٱلعُمَامَةُ اشْدُدْ بها رأسك، فقال له بعض أصحابه: غفر الله لك،

([1]) مختصر مسلم برقم: (1758)، صحيح الجامع برقم: (3511).

([2]) حديث صحيح: أخرجه مسلم (2552)، وأبو داود (5143)، والترمذي: (1903).

أعطيت هذا الأعرابي حِمَارًا كنت تروح عليه وعمامة كنت تشد بها رأسك، فقال إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:(**إِنَّ مِنْ أَبَرِّ الْبِرِّ صِلَةَ الرَّجُلِ أَهْلَ وَدِّ أَبِيهِ بَعْدَ أَنْ يُوَلِّيَ**) [1].

وقال الفضيل بن عياض رحمه الله: نال المروءة مَنْ بَرَّ والديه، ووصل رَحِمَهُ، وأكرم إخوانه، وَحَسُنَ خُلُقَهُ مع أهله وولده وخدمه، وأحرز دينه، وأصلح ماله، وأنفق من فضله، وحفظ لسانه، ولزم بيته، يعني يكون مُقْبِلاً على عمله، ولا يجلس مع أهل الفضول، وروى يزيد الرقاشي عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه قال: سبع يُؤْجَرُ فِيهِنَّ مَنْ بَعَدَهُ:

1- من بني مسجدًا فله أجره ما دام أحدٌ يصلي فيه.

2- ومن أجرى نهرًا فما دام يجري فيه الماء ويشرب من الناس كان له أجره.

3- ومن كتب مصحفًا وأحسنهُ كان له أجره ما دام يقرأ فيه أحد.

4- ومن استخرج عينًا ينتفع بمائها كان له أجرها ما بقيت.

5- ومن غَرَسَ غَرْسًا كان له أجره فيما أكل الناسُ والطير.

6- ومن علم علمًا كذلك.

7- ومن ترك وَلَدًا يستغفرُ لهُ وَيَدْعُو لهُ من بعده.

وَرُوِيَ عن بعض الصحابة رضي الله عنهم، أنه قال: تَرْكُ الدعاءِ للوالدين يضيق العيش على الولد، قِيلَ له: **وهل يمكن أن يرضيهما بعد وفاتهما؟** قال: بلى يرضيهما بثلاثة أشياءٍ:

([1]) صحيح، أخرجه مسلم برقم: (2552).

1- أن يكون الوالد صالحًا في نفسه، لأنه لا يكون شيءٍ أَحَبَّ إليهما من سلامته.

2- أن يصل قرابتهما وأصدقائهما، فقد جاء في الحديث الذي أخرجه البخاري من حديث عَبْد اللهِ بْنِ عُمَرَ أَنَّ رَجُلاً أَتَى النبي صلى الله عليه وسلم، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنِّي أَصَبْتُ ذَنْبًا عَظِيمًا فَهَلْ لِي تَوْبَةٌ؟ قَالَ:(**هَلْ لَكَ مِنْ أُمٍّ؟**) قَالَ: لاَ، قَالَ:(**هَلْ لَكَ مِنْ خَالَةٌ؟**) قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: فَبِرَّهَا [1].

3- أن يستغفر لهما وَيَدْعُوَ لهما، ويتصدق عنهما، فقد روى الإمام مسلم، والترمذي من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:(**إِذَا مَات ابْنُ آدَمَ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلاَّ مِنْ ثَلاَثَةٍ إِلاَّ مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِه، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ بِالْمَغْفِرَةِ**) [2].

فإذا أراد العبد أن يبارك الله له في عمره ورزقه، فليحسن إلى والديه، وليصل أرحامه، فقد روى الإمام أحمد من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :(**مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُمَدَّ لَهُ فِي عُمُرِهِ وَيُزَادُ فِي رِزْقِهِ، فَلْيَبَرَّ وَالِدَيْه وَلْيَصِلْ رَحِمَهُ**) [3].

وَعَنْ سَلْمَانَ رَضِيَ اللهُ عَنْه أَنَّ رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم قَالَ:(**لاَ يَرُدُّ ٱلْقَضَاءُ إِلاَّ الدُّعَاءُ، وَلاَ يَزِيدُ فِي ٱلْعُمُرِ إِلاَّ ٱلْبِرُّ**) [4].

([1]) حديث صحيح: أخرجه البخاري برقم: (2699)، والترمذي برقم: (1904).
([2]) رواه مسلم (1631)، والنسائي (3651)، والترمذي (1376)، وأبو داود (2880)، وأحمد (8637).
([3]) حسن بشواهده، رواه أحمد (266/3)، والترغيب للمنذري برقم: (3669)، ورواه الإمام أحمد أيضًا (13399)، وقال الشيخ الألباني في صحيح الترغيب والترهيب للمنذري حسن لغيره برقم: (2488).
([4]) حديث حسن: حسنه الألباني في صحيح الترمذي برقم: (1738).

ثُمَّ أَخْتِمُ وَأَقُولُ: إنَّ بِرَّ الوالدين سَبَبٌ في تفريج الكروب ليس في الآخرة فقط، ولكن في الدنيا أيضًا:

قال ابْنُ كثير عن طاووس عن أبيه قال: كان رجل له أربعة بنين فمرض، فقال أحدهم: أما أن تمرضوه وليس لكم من ميراثه شيء، وإما أن أمرضه وليس لي من ميراثه شيء، قالوا: بل تمرضه وليس لك من ميراثه شيء، فَمَرَّضَهُ حتى مات، ولم يأخذ من ميراثه شيئًا، فأتى في المنام فقيل له: ائت مكان كذا وكذا فخذ منه مائة دينار، فقال: أفيهما بركة؟ قالوا: لا، فلما أصبح ذكر ذلك لامرأته، فقالت: خذها فإن من بركتها أن نكتسي منها ونعيش بها، فلما أمسى أتى في النوم فقيل له: ائت مكان كذا وكذا فخذ منه عشرة دنانير، فقال: أفيهما بركة؟ قالوا: لا، فلما أصبح ذكر ذلك لامرأته، فقالت له مثل ذلك، فأبى أن يأخذها، فأتى في الليلة الثالثة، فقيل له: ائت مكان كذا وكذا وخذ منه دينارًا. قال أفيه بركة؟ قالوا: نعم؟ قال: فذهب فأخذ الدينار، ثم خرج به إلى السوق، فإذا هو برجل يحمل حوتين فقال: بكم هما؟ قال: بدينار، فأخذهما منه وانطلق بهما إلى بيته، فلما شَجَّهُمَا وجد في بطن كل واحدٍ منهما دُرَّةً لَمْ يَرَ الناسُ مِثْلَهَا، فبعث الملك يطلبُ دُرَّةٍ يشتريها فلم توجدُ إلا عندهُ، فباعها بثلاثين وَقْرًا، أي: حْملاً) ذَهَبًا، فلما رآها الملك قال ما تصلح هذه إلا بأخت فاطلبوا أختها ولو أضعفتم الثمن، فجاؤوه فقالوا: أعندك أختها ونعطيك ضعف ما أعطيناك؟ قال: نعم، فأعطاهم الثانية بضعف ما باع الأولى [1] أهـ.

وروى الإمام أحمد عن ابْنِ عُمرَ رَضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول

([1]) البداية والنهاية لابن كثير: (246/9 - 247).

:(انْطَلَقَ ثَلَاثَةُ نَفَرٍ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ ، حَتَّى أَوَاهُمُ الْمَبِيتَ إِلَى غَارٍ فَدَخَلُوهُ ، فَانْحَدَرَتْ صَخْرَةٌ مِنَ الْجَبَلِ ، فَسَدَّتْ عَلَيْهِمُ الْغَارَ ، فَقَالُوا: إِنَّهُ لَا يُنْجِيكُمْ مِنْ هَذِهِ الصَّخْرَةِ إِلَّا أَنْ تَدْعُوا اللهَ بِصَالِحِ أَعْمَالِكُمْ ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنْهُمْ: اللَّهُمَّ كَانَ لِي أَبَوَانِ شَيْخَانِ كَبِيرَانِ ، وَكُنْتُ لَا أَغْبِقُ قَبْلَهُمَا أَهْلًا وَلَا مَالًا ، فَنَأَى بِي فِي طَلَبِ شَجَرٍ يَوْمًا ، فَلَمْ أُرِحْ عَلَيْهِمَا حَتَّى نَامَا ، فَحَلَبْتُ لَهُمَا غَبُوقَهُمَا فَوَجَدْتُهُمَا نَائِمَيْنِ ، فَكَرِهْتُ أَنْ أَغْبِقَ قَبْلَهُمَا أَهْلًا وَلاَ مَالًا ، فَلَبِثْتُ وَالْقَدَحُ عَلَى يَدَيَّ أَنْتَظِرُ اسْتِيقَاظَهُمَا حَتَّى بَرَقَ الْفَجْرُ ، فَاسْتَيْقَظَا فَشَرِبَا غَبُوقَهُمَا، اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ ، فَفَرِّجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ مِنْ هَذِهِ الصَّخْرَةِ ، فَانْفَرَجَتْ شَيْئًا لَا يَسْتَطِيعُونَ الْخُرُوجَ) [1].

وفي رواية البخاري:(فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ فَافْرُجْ لَنَا فُرْجَةً نَرَى مِنْهَا السَّمَاءَ ، فَفَرَّجَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُمْ حَتَى رَأَوْا مِنْهَا السَّمَاءَ).

وَلِلْوَالِدَيْنِ عَلَى ٱلْوَلَدِ عَشْرَةُ حُقُوقٍ:

إحداهما: أنه إذا احتاج إلى الطعام أطعمه.

والثاني: إذا احتاج إلى الكسوة كساهُ إن قدر عليه، وهكذا رُوِيَ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم :(إن المصاحبة بالمعروف أن يطعمهما إذا جاعا، ويكسوهما إذا عُرِيا.

والثالث: إذا احتاج أحدهما إلى خدمةٍ خَدَمَهُ.

والرابع: إذا دعاهُ أجابهُ وحضرهُ.

والخامس: إذا أمرهُ بأمرٍ أطاعهُ ما لم يُؤْمَرُ بالمعصية والغيبة.

والسادس: أن يتكلم معه باللين، ولا يتكلم بالكلام الغليظ.

([1]) رواه البخاري (3465)، ومسلم (2743).

والسابع: أن لا يدعوه باسمه.

والثامن: أن يمشي خلفه.

والتاسع: أن يرضى له ما يرضى لنفسه.

والعاشر: أن يدعو له بالمغفرة كما يدعو لنفسه، قال تعالى: حكاية عن إبراهيم - عليه السلام - :{ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ يَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡحِسَابُ ﴿٤١﴾ } [إبراهيم: ٤١]. أي: يوم القيامة.

إذن فلا ينبغي للولد:

1- أن لا يتكلم إذا شهد والديه إلا بإذنهما.

2- أن لا يمشي بين يديهما.

3- ولا يمشي عن يمينهما.

4- ولا عن شمالهما إلا أن يدعواه فيجيبهما.

5- ولكن يمشي خلفهما كما يمشي العابد خلف مولاه.

6- ولا يُطيل النظر بعينه إلى أحدهما ولكن ينظر إلى الأرض حياءً منهما.

7- ولا يرفع صوته في حضرتهما خوفًا على جرح مشاعرهما.

8- وأن يكون حُبَّهُ لهما حُبًّا طبيعيًّا لا حب الوقتِ والمصلحةِ.

وَطَوْقُ النَّجَاةِ أَنْ تَخْشَى اللهَ

فالخشية: هي ارتجاف القلب وزلزلة أركانه عند الاقتراب من المعصية، أو محاولة الدخول فيها، فاعلم عبد الله أن الأيام ثلاثةٌ يومٌ مَضَى وليس لك فيه شيءٌ إلا أن تندم على ما اقترفت من ذنوب فيما مضى، فتبادر بالاستغفار وَتجِدُّ في التوبة وتعمل من أجل اللقاء، ويومٌ حَاضِرٌ، أي: ما أنت عليه الآن وهو يوم العمل، فأحسن فيه قدر المستطاع وليكن شعارك مع الله الخشية في كل حركاتك وسكناتك، فاعلم لحاضرك، فإنك لا تدري هل ستعيش إلى الغد أم لا، وَيَوْمُ المستقبلِ، وهو اليوم الذي في علم الله، فكن في الدنيا وكأنك غريبٌ، كما جاء في الحديث الصحيح من حديث ابْنِ عُمَرَ - رضي الله عنهما - أَنَّهُ قَالَ: أَخَذَ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم بِبَعْض جَسَدِي فَقَال:(**كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ، أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ، وَعُدَّ نَفْسَكَ مِنْ أَهْلِ الْقُبُورِ**).

وَقَالَ: قَالَ ابْنُ عُمَرَ: إِذَا أَصْبَحْتَ، فَلاَ تُحَدِّثْ نَفْسَكَ بِالْمَسَاءِ، وَإِذَا أَمْسَيْتَ، فَلاَ تُحَدِّثْ نَفْسَكَ بِالصَّبَاحِ، وَخُذْ مِنْ صِحَّتِكَ قَبْلَ سَقَمِكَ، وَمِنْ حَيَاتِكَ قَبْلَ مَوْتِكَ، فَإِنَّكَ لاَ تَدْرِي يَا عَبْدَ اللهِ مَا اسْمُكَ غَدًا [1].

قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِب رَضَيِ اللهُ عَنْهُ: إنما أخشى عليكم اثنين طول الأمل واتباع الهوى، فإن طُولَ الأمل يُنسي الآخرة وإن اتباع الهوى يَصُدُّ عن الحقِّ.

([1]) رواه البخاري في (81) كتاب الرقاق (3) باب قول النبي صلى الله عليه وسلم :(**كن في الدنيا كأنك غريب وعابر سبيل**) (الحديث 6416) عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه وفيه: (منكبي) بَدَلاً من (ببعض جسدي)، ولم يذكر (وعد نفسك من أهل القبور)، ورواه الترمذي في (37) كتاب الزهد (25) باب ما جاء في قصر الأمل (الحديث 2333) عن ابن عمر رضي الله عنهما. ورواه الإمام أحمد في مسنده الحديث رقم 5002 ج5، من مسند عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما بفلظ: أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بثوبي، أو بعض جسدي، وقال: عبد الله:(**كن كأنك غريب أو عابر سبيل وعدَّ نفسك من أهل القبور**).

وَقَالَ سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ: ليس الزهد في الدنيا بلبس الغليظ والخشن، وأكل الجشب، إنما الزهدُ في الدنيا قِصَرُ ٱلأَمَلِ.

وَقَالَ عَوْنٌ: كم من مستقبلٍ يومًا لا يستكمله وَمُنْتَظِرٍ غدًا لا يبلُغُهُ، لو تنظرون إلى الأجل ومسيره، لأبغضتم الأمل وغروره.

قال الحق - جلا وعلا - :{ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ وَهُم مِّنَ ٱلسَّاعَةِ مُشْفِقُونَ } [الأنبياء: ٤٩].{ ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا } [الأحزاب: ٣٩].{فَلَا تَخْشَوُاْ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ } [المائدة: ٤٤].

أي: لا تخافوا عقاب الناس، بل خافوا عقابي، لأنني أنا المستحق لذلك.

قال الزمخشري: نَهْيٌ للحكام عن خشيتهم غير الله في حكوماتهم وإدهانهم فيها، وإمضائها على خلاف ما أمروا به من العدل لخشية سلطانٍ ظالمٍ، أو خِيفَةَ أَذِيَّةِ أحدٍ من القرباءِ أو الأصدقاءِ أ. هـ [1].

وقال الحق - جل وعلا - :{أَتَخْشَوْنَهُمْ ۚ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ } [التوبة: ١٣]، يحث الله تعالى المؤمنين بعدم الخوف والخشية من المشركين فالأحق بالخشية هو وحده، كما جاء في التفسير: يقول تعالى:{فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِ } أي: فأنا أهلٌ أن يَخْشَى العبادُ من سطوتي وعقوبتي، فَبِيَدِي الأمرُ وَمَا شِئْتُ كان وما لم أشأ لم يكن، ثم قال تعالى عزيمةً على المؤمنين، وبيانًا لحكمته فيما شرعَ لهم من الجهاد مع قدرته على إهلاك الأعداء بأمرٍ من عنده أ. هـ [2].

([1]) محاسن التأويل للقاسمي: (149/4).
([2]) صحيح تفسير ابن كثير: (268/2).

أمـا قولـه تبـارك وتعـالى:{ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا} [الإسراء: ١٠٩]، أي: خضوعًا لله عز وجل وإيمانًـا وتصديقًا بكتابه ورسوله، ويزيدهم الله خشوعًا، أي: إيمانًا وتسليمًا أ. هـ [1].

فَـدَلَّ نعـت هـؤلاء ومـدحهم بخـرورهم بـاكين، علـى اسـتحباب البكـاء والتخشع، فإن كان كل ما حمد فيه من النعوت والصفات التي وصف الله تعالى بها من أحب من عباده، يلزم الإتصاف بها، كما أن ما ذَمَّ منها من مقته منهم، يجب اجتنابه، وقد عَدَّ الإمام الغزاليُّ في (الإحياء) من آداب ظاهر التلاوة البكاء. قال: البكاء مُسْتَحَبٌّ مع القراءة. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :**(اتْلُواْ القُرْآنَ وَابْكُوا، فَإِنْ لَمْ تَبْكُوا فَتَبَاكُوا)** [2].

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: إذا قرأتم سجدة سبحان، فلا تعجلوا بالسجود حتى تبكوا، فإن لم تبك عين أحدكم، فَلْيَبْكِ قلبه، وإنما طريق تكلف البكاء أن يحضر قلبه الحزن، فمن الحزن ينشأ البكاء، ووجه إحضار الحزن، أن يتأمل تقصيره في أوامره وزواجره فيحزن لا محالة ويبكى، فإن لم يحضره حزنٌ وبكاءٌ، كما يحضر أرباب القلوب الصافية، فليبك على فقد الحزن والبكاء، فإن ذلك أعظم المصائب [3] أ هـ.

([1]) المصدر السابق: (677/2).

([2]) أخرجه ابن ماجة (1337)، (4196)، وأبو يعلى (689)، والبزار (1235)، وابن أبي الدنيا في (الهم والحزن) (87)، والبيهقي في (الكبرى) (21661)، وفي (شعب الإيمان)، (2051)، من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه.

([3]) تفسير محاسن التأويل للقاسمي: (541/6).

وقولـه تعـالى:{إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ} [فاطر: ٢٨]، أي: إنمـا يخشـاه حـق خشيته العلماء العارفون بـه، لأنـه كلمـا كانـت المعرفـةُ للعظـيم القـدير العلـيم، الموصوفِ بصفاتِ الكمال، المنعوتِ بالأسماء الحُسنى، كلما كانت المعرفة بـه أتمَّ، والعلمُ به أكملَ كانت الخشيةُ له أعظمُ وأكثرُ [1] أ هـ.وقوله تعالى:{إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ} تكملة لقوله تعالى: {إِنَّمَا تُنذِرُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ} [فاطر: ١٨]، أي: إنما يخشاهُ تعالى بالغيب، العالمون به عز وجل، وبما يليق من صفاته الجليلة وأفعاله الجميلة، لما أن مدار الخشية معرفة المخشي والعلم بشؤونه، فمن كان أعلم به تعالى، كان أخشى منه عز وجل، كما قال عليه الصلاة والسلام:(**أَنَـا أَخْشَـاكُمْ للهِّ وَأَتْقَاكُمْ لَهُ**) [2].

وَقَرِيبٌ من ذلك الحديث الذي رواه الإمام أحمد في مسنده عن رجلٍ من الأنصارِ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :(**أَنَا أَتْقَاكُمْ للهِّ، وَأَعْلَمَكُمْ بِحُدودِ الله**) [3].

وقال القاشاني: أي: ما يخشى الله إلا العلماء العرفاء بـه؛ لأن الخشية ليست هي خوف العقاب، بل هيئة في القلب خشوعية انكسارية عند تَصَوُّرِ وصف العظمة واستحضاره لها، فمن لمَ يتَصَوَّرَ عظمته لم يمكنه خشيته، وَمَنْ تَجَلَّى الله له بعظمته، خَشِيَهُ حَقَّ خَشْيَتَهُ،

([1]) صحيح تفسير ابن كثير: (641/3).
([2]) أخرجه البخاري (4776)، وابن حبان (317)، والبيهقي في (الكبرى) (13733)، وفي شعب الإيمان (5477)، من حديث أنس رضي الله عنه.
([3]) السلسلة الصحيحة برقم: (329)، وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم: (1448 - 641).

وبين الحضور التَّصَوُّرِيِّ الحاصل لِلْعَالِمِ غير العارفِ، وبين التَّجَلِيِّ الثابتُ للعالِمِ العارفِ - بَوْنٌ بَعِيدٌ، ومراتب الخشية لا تُحصى بحسب مراتب العلم والعرفان أ. هـ [1].

ولذلك فقد جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم الخشية من الله تعالى من المنجيات من النار، وطوق النجاة لمن يريد أن يأمن العقاب في الآخرة، فقد روى الطبراني في الأوسط من حديث أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:(**ثَلاَثٌ مُنجِيَاتٌ: خَشْيَةُ الله تَعَالَى فِي السِّرِّ وَالْعَلاَنِيَةَ، وَالْعَدْلُ فِي الرِّضَا وَالْغَضَبِ، وَالْقَصْدُ فِي الْفَقْرِ وَالْغِنَى، وَثَلاَثٌ مُهْلِكَاتٌ: هَوىً مُتَّبَعٌ، وَشُحٌّ مُطَاعٌ، وَإِعْجَابُ الْمَرءِ بِنَفْسِهِ**) [2].

فما أجمل ولا أخشع من دموعٍ ساخنةٍ تنزلُ على وَجْنَتَيْ عَابِدٍ يتعبدُ خُلْوَةٍ يتقاطرُ دمعهُ على لحيتهِ لتبلَّ الأرض عند سجوده في مناجاةٍ لله تعالى مع انكسارِ قلبهِ وخشوعِ جوارحه، فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :(**لاَ يَلِجُ النَّارَ رَجُلٌ بَكَى مِنْ خَشْيَةِ الله حَتَّى يَعُودَ اللَّبَنُ فِي الضَّرْعِ، وَلاَ يَجْتَمِعُ غُبَارٌ فِي سَبِيلِ الله وَدُخَانَ جَهَنَّمَ فِي مُنْخَرَيْ مُسْلِمٍ أَبَدًا**) [3].

ولذلك فقد جعل الله من فاضت عيناه خوفًا وَوَجَلاً وَخَشْيَةً من الله تعالى من السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم القيامة عند اقتراب الشمس من الرؤوس وتقول كل نفسٍ نَفْسِي نَفْسِي،

([1]) تفسير محاسن التأويل للقاسمي: (45/8).
([2]) قاله أبو الشيخ في (التوبيخ) وجاء في السلسلة الصحيحة برقم: (1802)، وحسنه الشيخ الألباني في صحيح الجامع برقم: (3039).
([3]) رواه الإمام أحمد، والترمذي، والنسائي، والحاكم عن أبي هريرة رضي الله عنه، وجاء في المشكاة برقم: (3828)، والترغيب برقم: (166/2)، وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم: (2882/7778).

فقد جاء في صحيح مسلم عن المقداد بن الأسود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:(**تَدْنُو الشَّمْسُ يَوْمَ ٱلقِيَامَةِ مِنَ ٱلخَلْقِ، حَتَّى تَكُونَ مِنُهمْ كَمِقْدَارِ ميلٍ، فَيَكُونُ النَّاسُ عَلَى قَدْرِ أَعْمَالِهِمْ فِي ٱلعَرقِ، فَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى كَعْبَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى حَقْوَيْهِ، وَمْنِهُمْ مَنْ يُلْجِمُه ٱلعَرَقُ إِلْجَامًا**) [1].

فالحصنُ الحصينُ، والحبلُ المتينُ في ذلك اليوم هما دمعتانِ تنزلانِ على الأرض عند السجود في خلوةٍ بينك وبين غَفَّار الذنوب، كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :(**سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ، إِمَامُ عَادِلٌ، وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ الله ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ بالْمَسَاجِدِ، إِذَا خَرَجَ مِنْهُ حَتَّى يَعُودَ إِلَيْه ، وَرَجُلَانِ تَحَابَّا فِي اللهِ ، فاجْتَمَعَا عَلَى ذَلِكَ وَافْتَرَقَا عَلَيْهِ ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللهَ خَاليًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ ، وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرأَةٌ ذَاتَ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ اللهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ**) [2].

ولذلك عندما أسرف رجلٌ من بني إسرائيلَ وكان مُسْرِفًا في المعاصي، ولم يعمل حسنةً قَطُّ، بل الأدهى والأمرَّ من ذلك أنه كان يُعَرِّي الموتى ولا يسترها، حيث كان يقومُ بعد دفنِ الموتى بسرقة أكفانهم، وهو الأمرُ الصعبُ، العسيرُ عند الخلائق، فَمَا بَالُكَ بِرَبِّ الْخَلَائِقِ، ولكن عند اقتراب أجله أوصى أولاده،

([1]) مختصر مسلم برقم: (1953)، والسلسلة الصحيحة برقم: (1382)، وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم: (2933 - 1345).

([2]) رواه الإمام مالك، والترمذي عن أبي هريرة وأبي سعيد - رضي الله عنهما، ورواه الإمام أحمد، والبخاري، ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه، ورواه مسلم عن أبي هريرة وأبي سعيد معًا، وجاء في مختصر مسلم برقم: (537)، والإرواء برقم: (887)، وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم: (3603).

وكان مَفَادُ الوصيةِ خشية الله تعالى، فقد جاء في الحديث الصحيح من حديث حذيفة بن اليمان أنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:(**إِنَّ رَجُلاً مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ (كَانَ نَبَّاشًا لِلْقُبُورِ يَسْرِقُ أَكْفَانَهَا) حَضَرَهُ الْمَوْتُ، فَلَمَّا يَئِسَ مِنَ الْحَيَاةِ أَوْصَى أَهْلَهُ إِذَا أَنَا مِتُّ فَاجْمَعُوا لِي حَطَبًا كَثِيرًا، وأَوْقِدُوا فِيهِ نَارًا حَتَّى إِذَا أَكَلَتْ لَحْمِي وَخَلَصَتْ إِلَى عَظْمِي فَامْتَحَشَتْ (أي: احْتَرَقَتْ)، فَخُذُوهَا وَاطْحَنُوهَا، ثُمَّ انْظُرُوا يَوْمًا رَاحًا (أَيْ: كَثِيرا الرِّيَاح)، فَاذْرُوه فِي الْيَمِّ (أَي: الْبَحْرِ) فَفَعَلُوا، فَجَمَعَهُ اللهُ، فَقَالَ لَهُ: لِمْ فَعَلْتَ ذَلِكَ؟ قَالَ: مِنْ خَشْيَتِكَ، فَغَفَرَ اللهُ لَهُ).**

وأخرج البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبيَّ صلى الله عليه وسلم قال:(**كَانَ رَجُلٌ يُسْرِفُ عَلَى نَفْسِهِ فَلَمَّا حَضَرَهُ الْمَوْتُ، قَالَ لِبَنِيهِ: إِذَا أَنَا مِتُّ فَأَحْرِقُونِي، ثُمَّ اطْحَنُونِي، ثُمَّ ذَرُّونِي فِي الرِّيح، فَوَاللهِ لَئِنْ قَدَرَ عَلَيَّ رَبِّي لَيُعَذِّبَنِّي عَذَابًا مَا عَذَّبَهُ أَحَدًا، فَلَمَّا مَاتَ فُعِلَ بِهِ ذَلِكَ، فَأَمَرَ اللهُ الْأَرْضَ، فَقَالَ: اجْمَعِي مَا فِيكِ مِنْهُ، فَفَعَلَتْ، فَإِذَا هُوَ قَائِمٌ، فَقَالَ: مَا حَمَلَكَ عَلَى مَا صَنَعْتَ؟، قَالَ: يَا رَبِّ خَشْيَتُكَ فَغَفَرَ لَهُ)** [1].

وجاء في الصحيحين من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :(**قَالَ رَجُلٌ، لَمْ يَعْمَلْ حَسَنَةً قَطُّ، لِأَهْلِهِ: إِذَا مَاتَ، فَحَرِّقُوهُ، ثُمَّ اذْرُوا نِصْفَهُ فِي الْبَرِّ وَنِصْفَهُ فِي الْبَحْرِ، فَوَاللهِ لَئِنْ قَدَرَ اللهُ عَلَيْهِ لَيُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا لَا يُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ، فَأَمَرَ اللهُ الْبَرَّ، فَجَمَعَ مَا فِيهِ، وَأَمَرَ الْبَحْرَ، فَجَمَعَ مَا فِيهِ، ثُمَّ قَالَ: لِمَ فَعَلْتَ هَذَا؟، قَالَ: مِنْ خَشْيَتِكَ يَارَبِّ، وَأَنْتَ أَعْلَمُ فَغَفَرَ اللهُ لَهُ)**

([1]) البخاري: حديث رقم: (3481)، ومسند الإمام أحمد، رقم: (14) ط. أحمد شاكر (1/172-175).

وجاء في الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:(**إِنَّ رَجُلاً حَضَرَهُ الْمَوْتُ فَلَمَّا أَيِسَ مِنَ الْحَيَاةِ أَوْصَى أَهْلَهُ إِذَا أَنَا مِتُّ فَاجْمَعُوا لِي حَطَبًا كَثِيرًا جَزْلاً، (أَيْ: غَلِيظًا قَوِيًّا)، ثُمَّ أَوْقِدُوا فِيهِ نَارًا، حَتَّى إِذَا أَكَلَتْ لَحْمِي، وَخَلُصَتْ إِلَى عَظْمِي فَامْتَحَشَتْ (أَيْ: احْتَرَقَتْ) فَخُذُوهَا فَاطْحَنُوهَا، ثُمَّ انْظُرُوا يَوْمًا رَاحًا، فَاذْرُوهَا فِي الْيَمِّ، فَفَعَلُوا مَا أَمَرَهُمْ، فَجَمَعَهُ اللهُ، وَقَالَ لَهُ: لِمَ فَعَلْتَ ذَلِكَ؟ قَالَ: مِنْ خَشْيَتِكَ، فَغَفَرَ لَهُ**) [1].

ثم يأتي المتحدث عن الخشية والخوف من عقاب الله تعالى عندما يذكر ما كان بينه وبين امرأة أعجبته، وحينما اقتربت منه وتمكن منها مثل ما يتمكن الرجل من زوجته، فلما ذكرته بالله قام عنها خشيةً منه سبحانه: وإليك عزيزي القارئ جزءًا من أطراف الحديث:(**وَقَالَ الآخَرُ: اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِي كُنْتُ أُحِبُّ امْرَأَةً مِنْ بَنَاتِ عَمِّي كَأَشَدَّ مَا يُحِبُّ الرَّجُلُ النِّسَاءَ فَقَالَتْ لاَ تَنَالُ ذَلِكَ مِنْهَا حَتَّى تُعْطِيَهَا مِائَةَ دِينَارٍ فَسَعَيْتُ فِيهَا حَتَّى جَمَعْتُهَا ، فَلَمَّا قَعَدْتُ بَيْنَ رِجْلَيْهَا قَالَتْ: اتَّقِ اللهِ وَلاَ تَفُضَّ الْخَاتَمَ إِلاَّ بِحَقِّهِ ، فَقُمْتُ وَتَرَكْتُهَا ، فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ فَافْرُجْ عَنَّا فُرْجَةً ، قَالَ: فَفَرَجَ عَنْهُمْ الثُّلُثَيْنِ**) [2].

لأنه حافظ على أعراض المسلمين ففرَّج الله عنهم غير أنهم لا يستطيعون الخروج منها، فمن السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله:(**رَجُلٌ دَعَتْه امْرَأَةٌ ذَاتَ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ اللهَ**) [3].

([1]) رواه الإمام أحمد في مسنده، والبخاري، ومسلم، والنسائي، وابن ماجة عن حذيفة بن اليمان، وأبي مسعود رضي الله عنهما، وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم: (2074 - 929).

([2]) البخاري (2215)، وأحمد (5937).

([3]) البخاري (660)، ومسلم (1031)، ورواه الإمام أحمد والنسائي عن أبي هريرة، وجاء في مختصر مسلم برقم: (537)، والإرواء برقم: (887)، وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم: (3603).

وكان الضحاك بن مزاحم: إذا أمسى بكى فيقال له: ما يُبكيك؟ فيقول: لا أدري ماذا صعد اليوم من عملي!

وقال ثابت البناني: كنا نتبع الجنازة فما نرى إلاَّ مُتَقَنِّعًا بَاكِيًا، أو متقنعًا متفكرًا.

وقال كعب الأحبار: لأن أبكى من خشية الله فتسيل دموعي على وجنتي أحب إليَّ من أن أتصدق بوزني ذهبًا.

وقال قتادة: كان العلاء بن زياد إذا أراد أن يقرأ القرآن ليعظ الناس بكى، وإذا أوصى أجهش بالبكاء.

وقال الذهبي: كان ابن المنكدر إذا بكى مسح وجهه ولحيته من دموعه ويقول: بلغني أن النار لا تأكل موضعًا مَسَّتْهُ الدموع، وعن **محمد بن المبارك**، قال: كان سعيد بن عبد العزيز إذا فاتته صلاة الجماعة بكى.

وقال معاوية بن قرة: مَنْ يَدُلُّنِي عَلَى رَجُلٍ بَكَّاءٍ بِاللَّيْلِ بَسَّامٍ بِالنَّهَارِ؟

وقال بكر بن عبد الله المزني: من مثلك يا ابن آدم خلي بينك وبين المحراب، تدخل منه إذا شئت وتناجي ربك، ليس بينك وبينه حجاب ولا ترجمان، إنما طيب المؤمن الماء المالح هذه الدموع فأين من يتطيبون بها؟

مُثِيرَاتُ الْبُكَاءِ:

1- **الخلوة الصالحة في أوقات إجابة الدعاء**: فالخلوة الصالحة هي خليلة الصالحينَ وَالْعُبَّادِ وكل قلب يفتقرُ إلى خلوةٍ، والخلوة المقصودة في ذلك الشأن، هي الخلوة التي يقصدها المرءُ بِنِيَّةِ التَّعَبُّد لله تعالى والخلوص له سبحانه وتعالى، حيث قال تعالى:{ وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ﴿٨﴾ } [المزمل: ٨]،

أي: أَكْثِرْ من ذكره وانقطع إليه وتفرغ لعبادته إذا فرغت من انشغالك وما تحتاج إليه من أمورِ دُنياك، كما قال تعالى:{فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ ﴿٧﴾} [الشرح: ٧]، أي: إذا فَرَغْتَ من مَهَامِّكَ فانصب في طاعته وعبادته لتكون فارغ البالِ، وتبتل إليه تبتيلا، أي: أخلص له في العبادة أ. هـ [1].

وهذه الخلوة الصالحة يكون فيها التدبر في شأن الإنسان وحاله مع ربه، ويكون فيها محاسبة المرء لنفسه، ويكون فيها استدعاء تاريخ حياة كل واحد مع نفسه وفقط، وتكون فيها المصارحة والمكاشفة بين كل امرىءٍ وقلبه، فيعرف مقامه وتقصيره وكم هو مذنب مقصر خطاء، وعندما يسارع إلى الاستغفار والبكاء من خشيته سبحانه.

2- **الإنصات والتدبر للتذكرة والموعظة**: فكم من كلمة طيبة كانت سببًا في تغيير حياةِ إنسانٍ من الغفلة إلى الاستقامة، وقد حَذَّر العلماء من إغفال التذكرة وعدم التأثر بها، **فقال إبراهيم بن أدهم**: علامة سواد القلب ثلاث... منها: ألاَّ يجد المرء في التذكرة مألمًا!..

وكان الحسن إذا سمع القرآن قال: والله لا يؤمن عبد بهذا القرآن إلا حزن وذبل، وإلا نصب، وإلا ذاب، وإلا تعب.

وقال ذَرٌّ لأبيه عمر بن ذر الهمداني: ما بال المتكلمين يتكلمون فلا يبكي أحد، فإذا تكلمت أنت يا أبت سمعت البكاء من هاهنا وهاهنا؟ فقال: يا ولدي ليست النائحة الثكلى، كالنائحة المستأجرة.

---

(1) صحيح تفسير ابن كثير (543/4).

3- **محاسبة الجوارح ومخاطبتها**: فعن أحمد بن إبراهيم قال: نظر يونس بن عبيد إلى قدميه عند موته فبكى وقال: قدماي لم تغبرا في سبيل الله!، فهذه إذن حسرات الصالحين، حسرة يوم يذكر طاعة لم يتمها، وحسرة يوم يذكر خيرًا لم يشارك فيه، وحسرةٌ يوم يمر عليه وقت لا يذكر الله تعالى فيه، والحق إن في حديث الجوارح استرجاعٌ لواقع المرءِ الحقيقيِّ الذي غاب عنه، فلينظر إلى كل جارحة من جوارحِه ويخاطبها: كم ذنب شاركت فيه؟ وكم من طاعة قَصَّرْتِ عنها؟ وكم من توبةٍ تَمَنَّعْتِ عنها؟ وكم من استغفارٍ غفلت عنه؟ ثم يذكر قوله تعالى:{حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيۡهِمۡ سَمۡعُهُمۡ وَأَبۡصَٰرُهُمۡ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٢٠ وَقَالُواْ لِجُلُودِهِمۡ لِمَ شَهِدتُّمۡ عَلَيۡنَاۖ قَالُوٓاْ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَنطَقَ كُلَّ شَيۡءٖ وَهُوَ خَلَقَكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٖ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ٢١ }
[فصلت: ٢٠ - ٢١]، وروى مسلم من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أنه قال: ضَحِكَ رَسُولَ اللـهِ صلى الله عليه وسلم ذَاتَ يَوْمٍ، أَوْ تَبَسَّمَ، فَقَالَ صلى الله عليه وسلم :(**أَلاَ تَسْأَلُونِي عَنْ أَيِّ شَيْءٍ ضَحِكْتُ؟**) قَالُوا: يَا رَسُولَ اللـهِ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ ضَحِكْتَ؟ قَالَ:(**عَجِبْتُ مِنْ مُجَادَلَةِ الْعَبْدِ رَبَّه يَوْمَ الْقِيَامَةِ، يَقُولُ: أَيْ رَبِّي، أَلَيْسَ وَعَدْتَنِي أَنْ لاَ تَظْلِمنَي؟ قَالَ: بَلَى، فَيَقُولُ: فَإِنِّي لاَ أَقْبَلَ عَلَيَّ شَاهِدًا إِلاَّ مِنْ نَفْسِي، فَيَقُولُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعالَى: أَوَ لَيْسَ كَفَى بِي شَهِيدًا وَبالْمَلاَئِكَةِ الْكِرَام الْكَاتِبِينَ؟ قَالَ: فَيُرَدِّدُ هَذَا الْكَلاَمَ مِرَارًا، قَالَ: فَيَخْتِمُ عَلَى فيهِ وَتَتَكَلَّمُ أَرْكَانُهُ بِمَا كَانَ يَعْمَلُ فَيَقُولُ: بُعْدًا لَكُنَّ وَسُحْقًا، عَنْكُنَّ كُنْتُ أُجَادِلُ**) [1].

إِذَا مَا خَلَوْتَ الدَّهْرَ يَوْمًا فَلاَ تَقُلْ :: خَلَوْتُ وَلَكِنْ قُلْ عَلَيَّ رَقِيبُ
وَلاَ تَحْسَبَنَّ اللهَ يَغْفَلُ سَاعَةً ::: وَلاَ أَنَّ مَا يَخْفَى عَلَيْكَ يَغِيبُ

الْبُكَاءُ وَالإِخْلاَصُ:

(1) مسلم برقم: (2969).

تساؤل يثار حول الموقف من البكاء أمام الناس وفي حضرتهم رغم ما يمكن أن يكتنف هذا من التماس ببعض شبهات المراءاة للناس، وتصوير النفس بالخشوع والتقوى، فكثير من الناس يمتنعون عن ذلك البكاء ولا يبدونه مهما كانت الأحوال مخافة الاتهام بالرياء، أو مخافة مداخلة الناس العجب، وعلى جانب آخر يرى البعض أن البكاء في المجالس وفي المواعظ شيء طبيعي لأصحاب القلوب الرحيمة لا يمكن إنكاره أو اتهام صاحبه بسوء نية، فما هو الموقف الصائب إذن؟

النَّاظِرُ إلى أحوال السلف الصالح من الصحابة والتابعين ومن تابعهم ونهج نهجهم من علماء الأمة ليرى بوضوح أن البكاء كان سمة مميزة لهم، بل الأكثر من ذلك.. إن بعضهم كان ربما يظل طوال درس العلم الذي يلقيه يظل يبكي حتى ينتهي، فيروي الإمام الذهبي عن أبي هارون قال: كان عون يحدثنا ولحيته ترتش بالدموع، وقال جعفر بن سليمان: كنت إذا رأيت وجه محمد بن واسع حسبت أنه وجه ثكلى.. إلى غير ذلك من الآثار المتكاثرة، ولكن هناك أيضًا من الآثار ما حض على إخفاء ذلك البكاء وجعله في الخلوة ومنفردًا فقط: فعن محمد بن زيد قال: (رأيت أبا أمامة أتى على رجل في المسجد وهو ساجد يبكي في سجوده فقال له: أنت أنت لو كان هذا في بيتك).

وقال سفيان بن عيينة: (اكتم حسناتك كما تكتم سيئاتك)، بل نقل الذهبي عن عمران بن خالد قال سمعت محمد بن واسع يقول: إن كان الرجل ليبكي عشرين سنة وامرأته لا تعلم به.. إلى غير ذلك من الآثار.

وخلاصة القول في ذلك أن يُعَلِّمَ الإنسان نفسه البكاء من خشية الله وعند سماع الموعظة والذكر والتذكرة وعند محاسبته لنفسه، أو غير ذلك، والأصل في البكاء أن يكون في الوحدة ومنفردًا وفي الخلوات، ولكن إذا كان المرء بين الناس وغلبة البكاء فلا شيء في ذلك أبدًا إذا اطمأن من نفسه الصدق والإخلاص بل إن ذلك كان حال الصالحين.

نَصَائِحُ تَرْبَوِيَّةٌ:

1- تهيئة البيئة التربوية الإيمانية مهمة في تربية المرء على رِقَّةِ القلب واستشعار الخشوع واعتياد العين على البكاء، فلم يكن الصالحون يصلون إلى هذه الدرجة العالية من البكاء من خشية الله لولا أن هناك بيئة إيمانية تربوا عليها وفيها أعانتهم على ذلك وتلك البيئة لها أكبر الأثر في التشجيع على الأعمال الصالحة والتربي عليها، والمربون الذين يهملون تهيئة البيئة أو يتناسون أثرها هم مخطئون ولا شك، ويروي ابن الجوزي أن عمر بن عبد العزيز بكى ذات ليلة، فبكت فاطمة زوجته، فبكى أهل الدار لا يدري أولئك ما أبكى هؤلاء، فلما تَجَلَّتْ عَنْهُمُ الْعَبْرَةَ سألوه، ما أبكاك؟ فقال: ذكرت منصرف القوم بين يَدَيِ الله فريقٌ في الجنةِ، وفريق في السعير، فما يزالوا يبكون!

2- أثر القدوة مهم جدًا في التربية على تلك العبادة الصالحة فقد كان البكاؤون يَجِدُونَ القدوة الصالحة في ذلك من معلميهم ومربيهم، فكانوا يتشبهون بهم إلى أن يصير العمل الصالح عندهم أساسًا وأصلاً، أما أن يُبَحَّ صوت أو معلم يعظ الناس في البكاء والناس لم يروا عليه أبدًا أثرًا للبكاء فلا أثر لنصحه أبدًا.

3- يجب ألا يكون بكاء المرء على شيء من الدنيا فائت أو صاحب فُقِدَ، أو مصيبة حدثت فذلك بكاء الدنيا، وإنما مقصودنا هو بكاء الخشية من الله، وهو أن يكون باعث البكاء دائمًا هو خشية الله سبحانه وتوقيره والتقصير في حقه تعالى وكثرة ذنوب العبد وخوف العاقبة، وقد كانت أسباب بكاء الصالحين السابقين تدور حول: تذكر ذنبهم وسيئاتهم وآثار ذلك، أو التفكر في تقصيرهم تُجَاهَ ربهم سبحانه وما وراء ذلك، أو الخوف من عذاب الله سبحانه وسوء الخاتمة، أو الخوف من ألا تقبل أعمالهم الصالحة، أو الخوف من الموت قبل الاستعداد له أو الشوق إلى الله سبحانه وتعالى ومحبته، أو خوف الفتن ورجاء الثبات على دينهم أو رجاء قبول الدعاء [1] أهـ.

قال ابن تيمية – رحمه الله: (كُلُّ عَاصٍ لِلَّهِ فَهوُ جَاهِلٌ، وَكُلَّ خَائِفٍ مِنْهُ فَهُوَ عَالِمٌ مُطِيعٌ)، فالخائف من الله يُبادرُ إلى الخيرات قبل الممات، ويغتنم الأيام والساعات.

ويتكلم عن حال السلف ابن المبارك - رحمه الله. فيقول:

إِذَا مَا اللَّيْلُ أَظْلَمَ كَابِدُوهُ ::: فَيَسْفُرِ عَنْهُمُ وَهُمْ رُكُوعُ
أَطَارَ الْخَوْفُ نَوْمَهُمُ فَقَامُوا ::: وَأَهْلُ النَّوْمِ فِي الدُّنْيَا هُجُوعُ
لَهُمْ تَحْتَ الظَّلَامِ وَهُمْ سُجُودُ ::: أَنِينٌ مِنْهُ تَنْفَرِجُ الضُّلُوعُ
وَخَرَسٌ بِالنَّهَارِ لِطُولِ صَمْتٍ ::: عَلَيْهِمُ مِنْ سَكِينَتِهِمْ خُشُوعُ

الْخُوْفُ مِنَ اللهِ وَقِصَّةُ التُّفَّاحَةِ:

لقد حدث في القرن الأول الهجري أن شابًا تقيًّا كان يطلب العلم

---

[1] شبكة الإنترنت: http//forum.al-wlid.com/t465455.html.

ويتفرغ له، ولكنه كان فقيرًا، وفي يومٍ من الأيام خرج من بيتهِ من شِدَّةِ الجوعِ ولأنه لم يجد ما يأكله فانتهى به الطريق إلى بستانٍ من البساتين والتي كانت مملوءة بأشجارِ التفاح، وكان أحد أغصان شجرة منها مُتدلِّيًا في الطريق، فحدثته نفسه أن يأكل هذه التفاحة وَيَسِدَّ بها رمقه ولا أحد يراهُ، ولن ينقص هذا البستان بسبب تفاحة واحدة، فقطف تفاحة واحدة وجلس يأكلها حتى ذهب جوعه، ولما رجع إلى بيته بدأت نفسه تلومه وهذا هو حال المؤمن دائمًا، فجلس يفكر ويقول: كيف أكلت هذه التفاحة وهي مالٌ لمسلمٍ ولم أستأذن منه ولم أستسمحه فذهب يبحث عن صاحب البستان حتى وجده فقال له الشاب: يا عم بالأمس بلغ بي الجوع مبلغًا عظيمًا وأكلت تفاحة من بستانك من دون علمك وها أنا إذن اليوم أستأذنك فيها، فقال له صاحب البستان: والله لا أسامحك، بل أنا خصيمك يوم القيامة عند الله... بدأ الشاب المؤمن يبكي ويتوسل إليه أن يُسامحه وقال له: أنا مستعد أن أعمل أي شيءٍ بشرط أن تُسامحني وتحللني وبدأ يتوسل إلى صاحب البستان وصاحب البستان لا يزداد إلا إصرارًا، وذهب وتركه والشاب يلاحقه ويتوسلُ إليه حتى دخل بيته وَبَقِيَ الشاب عند البيت ينتظر خروجه إلى صلاة العصر، فلما صاحب البستان وجد الشاب لا زال واقفًا ودموعه التي تنهمر على لحيته فزادت وجهه نورًا غير نور الطاعة والعلم، فقال الشاب بالصاحب البستان: يا عم إنني مستعدٌ للعمل فَلاَّحًا في هذا البستان من دون أجرٍ باقي عمري أو أيِّ أمْرٍ تريد ولكن بشرط أن تسامحني، عندما أطرق صاحب البستان يفكر

ثـم قــال يَــا بُنَــيَّ أننــي مســتعد أن أســامحك الآن، لكــن بشــرط.. فــرح الشــاب وتهلـل وجهـه بـالفرح، وقـال اشـترط مـا بـدى لـك يـا عـم، فقـال صـاحب البسـتان: شــرطي هــو أن تتــزوج ابنتــي!!! صـُـدِمَ الشــاب مــن هــذا الجــواب وَذُهِـلَ ولــم يسـتوعب بعـد هـذا الشـرط، ثـم أكمـل صـاحب البسـتان قولـه... ولكـن يـا بنـيَّ اعلـم أن ابنتــي عميــاءَ وصــماءَ وبكمــاءَ، وأيضًــا مقعـدة لا تمشــي ومنــذ زمــن وأنــا أبحـث لهـا عـن زوج اسـتأمنهُ عليهـا ويقبـل بهـا بجميـع مواصـفاتها التـي ذكرتهـا، فـإن وافقـت عليهـا سـامحتكُ صـُـدِمَ الشـابُّ مَـرَّةً أخـرى بهـذه المصـيبة الثانيـة وبـدأ يفكـر كيـف يعـيش مـع هـذه الْعِلَّـةِ خصوصـًا أنـه لا زال فـي مقتبـل العمـر؟ وكيـف تقـوم بشـؤونه وترعـى بيتـه وتهـتم بـه وهـي بهـذه العاهـات؟ بـدأ يحسـبها ويقـول اصـبر عليهـا فـي الـدنيا ولكـن انْجُـوَ مـن ورطـة التفاحـة!!!، ثـم توجـه إلـى صـاحب البسـتان وقـال لـه: يـا عـم لقـد قبلـت ابنتـك وأسـأل الله أن يجــازيني علــى نِيَّتــي وأن يُعَوِّضَــنِي خيــرًا ممــا أصــابني، فقــال صــحاب البسـتان: حَسَنًا يَـا بُنَـيَّ موعـدك الخمـيس القـادم عنـدي فـي البيـت لوليمـة زواجـك وأنـا أتكفَّلُ لـك بمهرهـا، فلمـا كـان يـوم الخمـيس جـاء هـذا الشـاب متثاقـل الخطـى.. حـزين القلـب.. منكسـر الخـاطر.. لـيس كـأي زوج ذاهـبٍ إلـى يـوم عُرْسِـهِ، فلمـا طـرق البـابَ فـتح لـه أبوهـا وأدخلـه البيـت وبعـد أن تجاذبـا أطـراف الحـديث قـال لـه يــا بنــي: تفضـل بالـدخول علـى زوجتـك وبـارك الله لكمـا وعليكمـا وجمـع بينكمـا علــى خيــر، وأخـذه بيـده وذهـب بـه إلـى الغرفـة التـي تجلـس فيهـا ابنتـه، فلمـا فـتح البـاب ورآهـا، فـإذا فتـاةٌ بيضـاء أجمـل مـن القمـر، قـد انسـدل شـعرٌ كـالحرير علـى كتفيها فقامت ومشت إليه،

فـإذا هــي ممشــوقة القــوام وَسَــلَّمَتْ عليــه وقالــت: الســلام عليـك يــا زوجــي، أمــا صــاحبنا فهـو قـد وقـف فــي مكانــه يتأملهــا وكأنــه أمــام حوريــة مــن حوريــات الجنــة نزلـت إلــى الأرض وهـو لا يصـدق مـا يـرى ولا يعلـم مـا الـذي حـدث، ولمـاذا قـال أبوها ذلك الكلام؟

ففهمت ما يدور في باله فذهبت إليه وصافحته وَقَبَّلَتْ يَدَهُ وقالت: إننـي عميـاء مـن النظر إلى الحرام، وبكماء من النظر إلى الحرام، وَصَمَّاءَ من الاستماع إلـى الحـرام، ولا تخطـو رجلاي خطـوة إلـى الحـرام، وأننـي وحيدة أبـي ومنـذ عـدة سنوات وأبـي يبحث لي عن زوجٍ صالحٍ، فلما أتيته تستأذنه فـي تفاحـة وتبكـي مـن أجلهـا، قـال أبـي: أن من يخاف من أكل تفاحـة لا تَحِلَّ لـه حَرِيٌّ بـه أن يخـاف الله فـي ابنتـي، فهنيئًـا لـي بك زوجًا وهنيئًا لأبي بنسبك، وبعد عامٍ أنجبت هذه الفتـاة مـن هـذا الشـاب غلامًـا كـان من القلائل الذين مَرُّوا على هذه الأمة.. أتدرون من ذلك الغلام؟

إنه الإمام أبو حنيفة صاحب المذهب الفقهي المشهور [1] أهـ.

* * *

([1]) شبكة الإنترنت: http://svlggo.mamg.com/t14-topic.

طَوْقُ النَّجَاةِ أَنْ تُؤَدِّ الْأَمَانَـةَ

الأمانةُ والأمنةُ ضد الخيانـة، وقد أَمِنَـهُ، وَأَمَّنَـهُ، وائتمنـهُ واستأمنهُ، أمـا قولـه - جلا وعلا -:{ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ } [الأحزاب: ٧٢]، أي: الفرائض المفروضـة، أو النيـة التـي يعتقدها فيمـا يظهره باللسـان مـن الإيمـان، ويؤديـه مـن جميـع الفرائض فـي الظاهر، لأن الله تعالى ائتمنه عليها، ولم يظهرها لأحد من خلقه، فمن أضمر من التوحيد مثل ما أظهر، فقد أدى الأمانة أ. هـ [1].

ولذلك فقد قيل عن جبريل عليه السلام (الأمين) لأنـه أمين وحـي السماء، فقد نقل عن رَبِّ العزة - جل وعلا - كل مَا بَلَّغَهُ رب العـالمين للأنبيـاء والرسل دون زيـادة أو نقص، وَسُمِّيَ محمد صلى الله عليه وسلم (الصَّادِقُ ٱلأَمِينُ)، لأنـه حمل رسـالة السماء فيما بَلَّغَ عن رب العزة فحملها بأمانـة، وَبَلَّغَهَا بأمانـة إلـى أهل الأرض إنسـهم وجــنهم، قــال الحــق - جــل وعــلا - :{ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ } [الشعراء: ١٩٣ - ١٩٤]، أي: نزل به ملـك كريمٌ أمينٌ، مُطَـاعٌ ذو مكانـة عند الله وعند الملأ الأعلى وهو جبريل عليه السلام، وعندما تآمرت قريش على محمد صلى الله عليه وسلم، وجمعوا لـه من كل قبيلـة شـابًا قويًا ليضـربوه ضـربة رجلٍ واحدٍ فيتفرق دمه بين القبائل، جعل رسول الله صلـى الله عليـه وسلم عَلـيٌّ بن أبـي طالب ينام فـي فراشـه، لأن صلـى الله عليـه وسلم حَمَّلَـهُ إرجـاع الودائـع إلـى أهلهـا والتـي أودعها عنده أعداؤه وهم كُفَّارُ قريش، وهم الـذين يريدون أن يظفروا بـن ليقتلـوه، إلا أنهـم كـانوا لا يـأتمنون مـن أهـل مكـة إلا هـو، ولـذلك مَـا سَمَّوْهُ إلا (الصَّادِقُ ٱلأَمِينُ).

---

(1) القاموس المحيط (ص: 1060).

وَٱلْأَمَانَةُ تَنْقَسِمُ إِلَى قِسْمَيْنِ:

أَمَانَةٌ فِي حقِّ اللـهِ تَعَالَى: وهي أمَانةُ المرءِ في جميع الفرائض التي فرضها الله على عباده.

أَمَّا ٱلْأَمَانَةُ فِي حَقِّ ٱلْبَشَرِ: وهي كثيرةٌ جِدًّا، فكل ما أُمر به البشر من حفظٍ للأمانة، أو تأديتها من ودائع، أو أمانة مالية، أو أشياء معارة، أي: يعيرك إياها مثل: إناءٍ، أو ساعةٍ، أو فراشٍ، أو سيارةٍ، أو أشياء من ذلك القبيل، فأصبحت هذه في يدك، أوجب الله عليك أن تكون أمينًا عليها، بل وتحرص كل الحرصِ على صيانتها وحفظها أكثر من حرصك على حاجتك.

قال عَلِيٌّ بن أبي طالب رضي الله عنه: كنا جلوسًا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ دخل علينا رجل من أهل العالية، والعالية هي ضاحية من ضواحي المدينة، فقال: يا رسول الله: قل لي ما هي ألين كلمة في الإسلام وأشدُّها؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **(ألين كلمة في الإسلام هي: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا رسول الله، وأشدُّ كلمة في الإسلام هي الأمانة، فإنه لا دين لمن لا أمانة له).**

فأشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله هي كلمةٌ سهلة يسيرةٌ تنزلق على أطراف اللسان فيقولها كل الناس، يقولها: العامة والخاصةُ، الصادق والكاذب، الصالح والطالح، البارُّ والفاجرُ، المسلم وغير المسلم، المنافق والممسك على دينه، الأمين والغشاش، فبها اتحدت والتفت وتجمعت حولها ملل، وبها قامت وارتفعت شأنها دول، وبها بَعُدَتْ وجوهٌ غَفِيرَةٌ

كانـت سَـتُكَبُّ علــى منــاخرهم فــي فــيح جهــنم، ولــولا أن الله ألهمهــم بهــا لذاقوا ويلات جهنم وحرِّها وسمومها وصديدها.

أَمَّـا عَـنِ ٱلأَمَانَـةِ فهـي أشـدُّ كلمـة فـي الإسـلام، لأن ٱلمُمْسِـكُ بهـا مُمْسِـكٌ ببقيـة شـرائع دينـه، لأنهـا شـديدةٌ علـى الـنفس، ثقيلـةٌ علـى صـاحبها، فمـن أدَّاهـا بحقهـا فـاز بسـعادة الـدارين، ومـن ضـيَّعها ولـم يُحـافظُ عليهـا خَسِـرَ الـدنيا والآخرة، فالأمانة تشمل كل جوانب الحياة.

قال ابن عباس رضي الله عنه: (ٱلأَمَانَـةُ هِـيَ: ٱلفَـرَائِضُ الَّتِـي افْتَرَضَـهَا اللهُ عَلَـى عِبَادِهِ) [1].

وقال أبو العالية: (ٱلأَمَانَةُ هِيَ: مَا أُمِرُوا بِهِ وَمَا نُهُوا عَنْهُ) [2].

الدِّيُن أَمَانَةٌ:

عن ابن عباس رضي الله عنه قـال: (عُرضـت الأمانةُ على آدم عليه السلام، فَقِيلَ له: خُذْهَا بما فيها، قال: وما فيها؟ قال: إن أطعت غفرتُ لَكَ، وإن عصيتَ عَذَّبْتُكَ، قـال: قبلتهـا بما فيهـا، فمـا كان إلا ما بين العصر إلى الليل من ذلك اليوم حتى أكل من الشجـرة، لولا أن تداركه الله برحمته فتاب عليه وهدى، كما جاء في قوله تعالى:{ وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۖ وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾ } [البقرة: ٣٥ - ٣٧].

---

(1) أخرجه ابن جرير في (تفسيره) لسورة الأحزاب (72).
(2) أخرجه ابن أبي حاتم في (تفسيره) كما في (الدُّرِّ المنثور) (591/6).

فالأمانة مُشْتَقَّةٌ من الإيمان، فمن حفظ أمانة الله حفظ الله إيمانه، وَمَنْ حافظَ على إيمانه حفظه الله دينه، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لاَ إِيمَانَ لِمَنْ لاَ أَمَانَةَ لَهُ، وَلاَ دِينَ لِمَنْ لاَ عَهْدَ لَهُ) [1].

ٱلأَمْرُ بِتَأْدِيَةِ ٱلأَمَانَةِ:

إن الله جَلَّتَ قدرته أَمر بتأدية الأمانة، فلذلك حَرِصَ كل لبيب نجيب على حفظها وتأديتها لأصحابها كما هي من غير نقص، أو تَسْويفٍ في ميعاد تسليمها، كما قال الحق تبارك وتعالى:{إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا } [النساء: ٥٨].

فيخبر تعالى أنه يأمر بتأدية الأمانات إلى أصحابها، وهو سبحانه وتعالى يَعُمُّ جميع الأمانات الواجبة على الإنسان من حقوق الله تعالى على عباده من الصلاة والزكاة والصيام والكفَّارات والنذور وغير ذلك مما هو مؤتمن عليه لا يطلعُ عليه العباد، ومن حقوق العبادبعضهم على بعض كالودائع وغير ذلك مما يُؤْتَمنَوُنَ به من غير اطِّلاَعِ بَيِّنَةٍ على ذلك، فأمر الله تعالى بأدائها، فمن لم يفعل ذلك في الدنيا، أُخِذَ منه يوم القيامة، كما ثبت في الحديث الذي أخرجه مسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:(لَتُؤَدُّنَّ الْـحُقُوقَ إِلَى أَهْلِهَا، حَتَّى يُقْتَصُّ لِلشَّاةِ ٱلْجَمَّاءُ مِنَ الْقرناءُ) [2].

---

(1) رواه الإمام أحمد وابن حبان في صحيحه عن أنس رضي الله عنه، وجاء في (الترغيب 80/4) ط. دار الحديث، ورواه البزار أيضًا، وجاء في إيمان ابن أبي شيبة (7)، والمشكاة (35)، والروض (526/1)، وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع برقم: (7179).

(2) صحيح، تفسير ابن كثير: (492/1)، والحديث أخرجه مسلم برقم: (2584)، ورواه الإمام أحمد، والبخاري في الأدب المفرد، والترمذي من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، ومختصر مسلم برقم: (1837)، والسلسلة الصحيحة برقم: (1588)، وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم: (5062).

وأخرج أبو داود والترمذي من حديث أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:(أَدِّ الْأَمَانَةَ إِلَى مَنِ ائْتَمَنَكَ، وَلاَ تَخُنْ مَنْ خَانَكَ) [1].

فإنك يا عبد الله ستسأل عنها يوم القيامة بين يَدَيِ اللهَ، فحافظ عليها ولا تُضَيِّعْهَا، وانظر ماذا تحاجُّ عن نفسك غدًا؟

وإذا استرجعنا مرةً أخرى حديث الغار والثلاثة الذين أصابهم المطر فدخلوا في غار في الجبل، فسدت عليهم صخرة كبيرة حبستهم داخل الغار، حتى أنهم كانوا لا يَرَوْن ضوء الشمس، وبدأ كل واحدٍ منهم يستعرض صالح أعماله، حتى انفرج ثلثي الصخرة وهم لا يستطيعون الخروج من النار، وعندما تكلم الطرف الثالث والذي كان حريصًا على أداء الأمانة والإخلاص وإصلاحُ العمل للغير، حيث استأجر أجراء على عمل عنده، فأعطاهم أجورهم إلا واحدًا استصغر قيمة أجره، فرفض أن يأخذه وتركه وانصرف، فقام المستأجر وَثَمَّرَ هذا المال حتى نما وَكَبُرَ وصار منه الإبل والبقر والغنم والرقيق، فلما ضاقت بالأجير الحاجة تذكر هذا المال الذي له عند المستأجر فذهب إليه وقد مضى على ذلك مدةً من الزمن، فقال له: (يا عبد الله أعطني أجري، فقال له: كل ما ترى فهو لك من الإبل والبقر والغنم والرقيق، فلما ذُكِرَ صالِح عمله، اكتمل انفراجُ الصخرةِ وخرجوا سالمين، فقد جاء في جزء من الحديث المتفق عليه من حديث عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما

(1) روى في التاريخ للبخاري، والحاكم عن أبي هريرة، والدارقطني، والضياء عن أنس رضي الله عنه، والطبراني في (الكبير) عن أبي أمامة، وأبي داود عن رجل من الصحابة، والدارقطني عن أُبَيْ بن كعب رضي الله عنه، وجاء في الروض برقم: (16)، والسلسلة الصحيحة برقم: (424)، وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم: (240).

أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:(وَقَالَ الثَّالِثُ: اللَّهُمَّ إِنِّي اسْتَأْجَرْتُ أُجَرَاءَ وأَعْطَيْتُهُمْ أَجْرَهُمْ غَيْرَ رَجُلٍ وَاحِدٍ تَرَكَ الَّذِي لَهُ وَذَهَبَ فَثَمَّرْتُ أَجْرَهُ حَتَّى كَثُرَتْ مِنْهُ الْأَمْوَالُ ، فَجَاءَنِي بَعْدَ حِينٍ ، فَقَالَ: يَا عَبْدَ اللهِ ، أَدِّ إِلَيَّ أَجْرِي، فَقُلْتُ: كُلُّ مَا تَرَى مِنْ أَجْرِكَ مِنَ الْإِبِلِ ، وَالْبَقَرِ ، وَالْغَنَمِ ، وَالرَّقِيقِ ، فَقَالَ: يَا عَبْدَ اللَّهِ ، لَا تَسْتَهْزِئُ بِي، فَقُلْتُ: إِنِّي لَا أَسْتَهْزِئُ بِكَ ، فَأَخَذَهُ كُلَّهُ، فَاسْتَاقَهُ فَلَمْ يَتْرُكْ مِنْهُ شَيْئًا ، اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ ، فَافْرُجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ ، فَانْفَرَجَتِ الصَّخْرَةُ ، فَخَرَجُوا يَمْشُونَ) [1].

وفي رواية ابن حبان أنه جاء فيها:(وَقَالَ الثَّالِثُ: اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي اسْتَأْجَرْتَ أَجِيرًا يَوْمًا ، فَعِمَلَ لِي نِصْفَ النَّهَارِ ، فَأَعْطَيْتُهُ أَجْرًا ، فَسَخِطَهُ ، وَلَمْ يَأْخُذْهُ ، فَوَفَّرْتُهَا عَلَيْهِ حَتَّى صَارَ مِنْ كُلِّ الْمَالِ ، ثُمَّ جَاءَ يَطْلُبُ أَجْرَهُ ، فَقُلْتُ: خُذْ هَذَا كُلَّهُ وَلَوْشِئتَ لَمْ أُعْطِهِ إِلاَّ أَجْرَهُ الْأَوَّلَ ، فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ رَجَاءَ رَحْمَتِكَ ، وَخَشْيَةَ عَذَابِكَ فَافْرُجْ عَنَّا فَزَالَ الْحَجَرُ ، وَخَرَجُوا يَمْشُونَ) [2].

وأخرج البخاري والإمام أحمد من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إِنَّ رَجُلًا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ ، سَأَلَ بَعْضَ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ يُسْلِفَهُ أَلْفَ دِينَارٍ ، فَقَالَ: ائْتِنِي بِالشُّهَدَاءِ أُشْهِدُهُمْ ، فَقَالَ: كَفَى بِاللهِ شَهِيدًا ، قَالَ: فَأْتِنِي بِالْكَفِيلِ ، قَالَ: كَفَى بِاللهِ كَفِيلًا ، قَالَ: صَدَقْتَ، فَدَفَعَهَا إِلَيْهِ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ، فَخَرَجَ فِي الْبَحْرِ فَقَضَى حَاجَتَهُ ، ثُمَّ الْتَمَسَ مَرْكَبًا يَرْكَبُهَا يَقْدَمُ عَلَيْهِ ، لِلْأَجَلِ الَّذِي أَجَّلَهُ ، فَلَمْ يَجِدْ مَرْكَبًا ، فَأَخَذَ خَشَبَةً فَنَقَرَهَا فَأَدْخَلَ فِيهَا أَلْفَ دِينَارٍ ،

---

(1) البخاري (2215/4)، ومسلم (2743).
(2) صحيح: رواه ابن حبان (967)، وكذلك البزار (1886) بإسنادٍ صحيح.

وَصَحِيفَةً مِنْهُ إِلَى صَاحِبِهِ ، ثُمَّ زَجَّجَ مَوْضِعَهَا ، ثُمَّ أَتَى بِهَا إِلَى الْبَحْرِ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنِّي كُنْتُ تَسَلَّفْتُ فُلَانًا أَلْفَ دِينَارٍ فَسَأَلَنِي كَفِيلًا، فَقُلْتُ: كَفَى بِاللَّهِ كَفِيلًا ، فَرَضِيَ بِكَ وَسَأَلَنِي شَهِيدًا ، فَقُلْتُ: كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا فَرَضِيَ بِكَ ، وَأَنِّي جَهَدْتُ أَنْ أَجِدَ مَرْكَبًا أَبْعَثُ إِلَيْهِ الَّذِي لَهُ فَلَمْ أَقْدِرْ، وَإِنِّي أَسْتَوْدِعُكَهَا فَرَمَى بِهَا فِي الْبَحْرِ، حَتَّى وَلَجَتْ فِيهِ، ثُمَّ انْصَرَفَ وَهُوَ فِي ذَلِكَ يَلْتَمِسُ مَرْكَبًا يَخْرُجُ إِلَى بَلَدِهِ ، فَخَرَجَ الرَّجُلُ الَّذِي كَانَ أَسْلَفَهُ يَنْظُرُ ، لَعَلَّ مَرْكَبًا قَدْ جَاءَ بِمَالِهِ ، فَإِذَا بِالْخُشَبَةِ الَّتِي فِيهَا الْمَالُ فَأَخَذَهَا لِأَهْلِهِ حَطَبًا، فَلَمَّا نَشَرَهَا وَجَدَ الْمَالَ وَالصَّحِيفَةَ ، ثُمَّ قَدِمَ الَّذِي كَانَ أَسْلَفَهُ فَأَتَى بِالْأَلْفِ دِينَارٍ، فَقَالَ: وَاللَّهِ مَا زِلْتُ جَاهِدًا فِي طَلَبِ مَرْكَبٍ لِآتِيَكَ بِمَالِكَ، فَمَا وَجَدْتُ مَرْكَبًا قَبْلَ الَّذِي أَتَيْتُ فِيهِ، قَالَ: هَلْ كُنْتَ بَعَثْتَ إِلَيَّ بِشَيْءٍ؟ قَالَ: أُخْبِرُكَ أَنِّي لَمْ أَجِدْ مَرْكَبًا قَبْلَ الَّذِي جِئْتُ فِيهِ، قَالَ: فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ أَدَّى عَنْكَ الَّذِي بَعَثْتَ فِي الْخَشَبَةِ، فَانْصَرِفْ بِالْأَلْفِ الدِّينَارِ رَاشِدًا) [1].

هذا الرجل كان حريصًا على أداء الأمانة في حينها دون تسويف، وعندما ذهب لتأدية ما عليه وحالة الظروف بينه وبين السفر لعدم وجود مركبٌ يركبها، حتى أنه اجتهد في أن يجد مركبًا يبعث فيه الألف دينار فلم يستطع، ومن شدة حرصه على إرسال الأمانة في وقتها احتال حيلة بأنه قد أخذ خشبة ونقرها وأدخل فيها الألف دينار، وكتب معها رسالة، ثم ألقاها في البحر، فعلم الله بصدق نية هذا الرجل وحرصه على تأدية الأمانة التي يريد أداءها في حينها،

(1) أخرجه البخاري، كتاب الكفالة باب الكفالة في القرض والديون بالأبدان وغيرها (2291) معلقًا، وجاء في صحيح الجامع برقم: (2081 - 936).

ولـذلك قـد هيـأ الله الظـروف والأسـباب لتلـك الخشـبة التـي ألقاهـا المـدين فـي البحـر لتصـل إلـى يـد الـدائن فـي أجلهـا، أي: حينهـا، ولـذلك قـال رسـول الله صلى الله عليه وسلم :(**مَنْ أَخَذَ دَيْنًا وَهُوَ يُرِيدُ أَنْ يُؤَدِّيهِ، أَعَانَهُ اللهُ**) [1].

وقال أيضـًا:(**مَنْ أَخَذَ أَمْوَالَ النَّاسِ يُرِيدُ أَدَاءَهَا أَدَّى اللهُ عَنْهُ، وَمَنْ أَخَذَ أَمْوَالَ النَّـاسِ يُرِيدُ إِتْلاَفَهَا أَتْلَفَهُ اللهُ**) [2].

فأداء الأمانـات لأصـحابها، أو حفظهـا وعـدم ضـياعها صـفةٌ مـن صـفات الملائكـة المقربين، والأنبياء والمرسلين، وشيمة من شيم الكرام المخلصين، وخلـةٌ الأبـرار المتقين.

مُكَافَأَةُ عَدَمُ التَّفْرِيطِ فِي ٱلْأَمَانَةِ:

ذكــر ابــن رجــب وغيـره أن رجـلاً مـن العُبَّـادِ كـان فـي مكـة، وانقطعـت نفقتـه، وجـاع جوعًـا شـديدًا، وأشـرف علـى الهـلاك، وبينمـا هـو يـدور فـي أحـد أزقـة مكـة إذ عثـر علـى عقـدٍ ثمـينٍ غـالٍ نفـيسٍ، فأخـذه فـي كمـه وذهـب إلـى الحـرم، إذا برجـل ينشـد عـن هـذا العقـد، قـال: فوصـفه لـي، فمـا أخطـأ مـن صـفته شـيئًا، فـدفعت لــه العقـد علــى أن يعطينــي شـيئًا. قــال: فأخـذ العقـد وذهـب، لا يلـوي على شيء، وما سلمني درهمًا ولا نقيرًا

(1) رواه النسائي عن ميمونة رضي الله عنها، وجاء في السلسلة الصحيحة برقم: (256)، وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم: (5982).

(2) أخرجه البخاري، كتاب الاستقراض وأداء الديون والحجر والتفليس، باب من أخذ أموال الناس يريد أداءها أو إتلافها (2387) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، ورواه الإمام أحمد في مسنده، وابن ماجة عنه أيضًا، وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع برقم: (5980).

ولا قطميرًا، قلت: اللهم إني تركت هذا لك، فعوِّضني خيرًا منه، ثم ركب جهة البحر فذهب بقارب فهبت ريحٌ هوجاء، وتصدَّعَ هذا القارب، وركب هذا الرجل على خشبة، وأصبح على سطح الماء تذهب به الريح يُمْنَةً وَيُسْرَةً، حتى ألقته إلى جزيرة، ونزل بها، ووجد بها مسجدًا وقومًا يصلون فصلى، ثم وجد أوراقًا من المصحف فأخذ يقرأ، قال أهل تلك الجزيرة: أئنك لتقرأ القرآن؟ قلت: نعم، قالوا: عَلِّمْ أبناءنا القرآن، فأخذت أعلمهم بأجرة، ثم كتبتُ خَطًّا، قالوا: أتعلم أبناءنا الخط؟ قلت: نعم، فعلمتهم بأجرة، ثم قالوا: إن هُنَا بنتًا يتيمة كانت لرجلٍ مِنَّا فيه خيرٌ وتوفي عنها، هل لك أن تتزوجها؟ قلت: لا بأس، قال: فتزوجتها ودخلت بها فوجدتُ ٱلعِقْدَ ذلك بعينه بعنقها، قلت: ما قصة هذا العقد؟ فأخبرت الخبر، وذكرت أن أباها أضاعه في مكة ذات يومٍ فوجده رجلٌ فسلمهُ إليه، فكان أبوها يدعو في سجوده، أن يرزق ابنته زوجًا كذلك الرجل قال: فأنا الرجل، فدخل عليه العقد بالحلال، لأنه ترك شيئًا لله فَعَوَّضَهُ اللهُ خَيْرًا مِنْهُ، لأَنَّ اللهَ طَيِّبٌ لاَ يَقْبَلُ إلاَّ طَيِّبًا [1] أهـ.

* * *

(1) الأثر جاء في موسوعة الأخلاق الإسلامية: (3/481-480)، نقلاً من كتاب (لا تحزن) للشيخ/ عائض القرني.

وَطَوْقُ النَّجَاةِ أَيْضًا أَنْ يَتَذَكَّرَ ابْنُ آدَمَ حَالَهُ وَمَآلَهُ

ويتذكر نشأته وولادته وهو طفل رضيع ينقله وَالِدَيْهِ ليحركانه كيف شاءوا، ولا حول له ولا قوة، ويتذكر مآله في مرضه وسفره للآخرة، وأبناؤه يحركانه كيف شاءوا ولا حول له ولا قوة، ولكن شتان بين الحالتين.

في الطفولة يحرك الوالدين الابن ويحملانه وهم سعداء وَيَتَمَنَّوْنَ له الحياة وطول البقاء، أما في كبره وطول مرضه يُحَرِّكْهُ الأبناء وهم غير راغبين في ذلك، بل كارهين له، وإن ظهروا راغبين، لكنهم في حقيقة الأمر متضجرين مُتَـأَفِّفِينَ مُتمنِّينَ له الموت، فحب الأب لأبناءه طبيعة، وحب الابن لوالديْه صنعه، حب الأب للأبناء غريزةٌ، فطرها الله في قلوب الآباء، وحب الابن لوالديه صنعه تَصَنعَّهَا كلما كان محتاجًا لوالديه إلا ما رحم ربي، فالطفل ينشأ ضعيفًا، ثم تنشأ معه عضلاته، ليصبح شابًا، فتيًّا يمشي على الأرض بقوةٍ، ثم يتصارع مع الحياة والعمل فتصارعه، ثم تَمُرُّ الأيامُ سِرَاعًا ثم يعود نفس الضَّعْفِ مَرَّةً أخرى في كبره وشيخوخته،{ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً} [الروم: ٥٤].

كما جاء في سياقه تعالى:{ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ۚ وَنُقِرُّ فِى ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ } [الحج: ٥].

فهذه الآية تدل على أن الطفل يبلغ كمال القوة والعقل ليكبر شيئًا فشيئًا، ثم يعود لنفس الضعف في طفولته شيئًا فشيئًا إلى الهرم والخرف، وأردأ العمر، وسبحان منه له الدوام في كل الأمور.

وقد خرج عَلِيٌّ وَعَمَرُ من الطَّوَافِ، فإذا هما بأعرابيٌّ يحملُ أمَّهُ على ظهره وهو يرتجزُ ويقول، أي: يقول نوعًا من الشِّعْر:

أَنَـــا مَطِيَّتُهَـــا لاَ أُنْفَـــرُ ⁞ وَإِذَا الرِّكَـابُ ذُعِـرَتْ لاَ أُذْعَـرُ

وَمَا حَمَلَتْنِي وَأَرْضَعَتْنِي أَكْبَرْ

لبيك اللهم لبيك، فقال عَلِيٌّ: يا أبا حفص، ادخل بنا الطواف، لَعَلَّ الرحمةَ تنزلُ فتعمنا، فدخل الرجلُ يطوفُ بها ويقولُ:

أَنَـــا مَطِيَّتُهَـــا لاَ أُنْفَـــرُ ⁞ وَإِذَا الرِّكَـابُ ذُعِـرَتْ لاَ أُذْعَـرُ

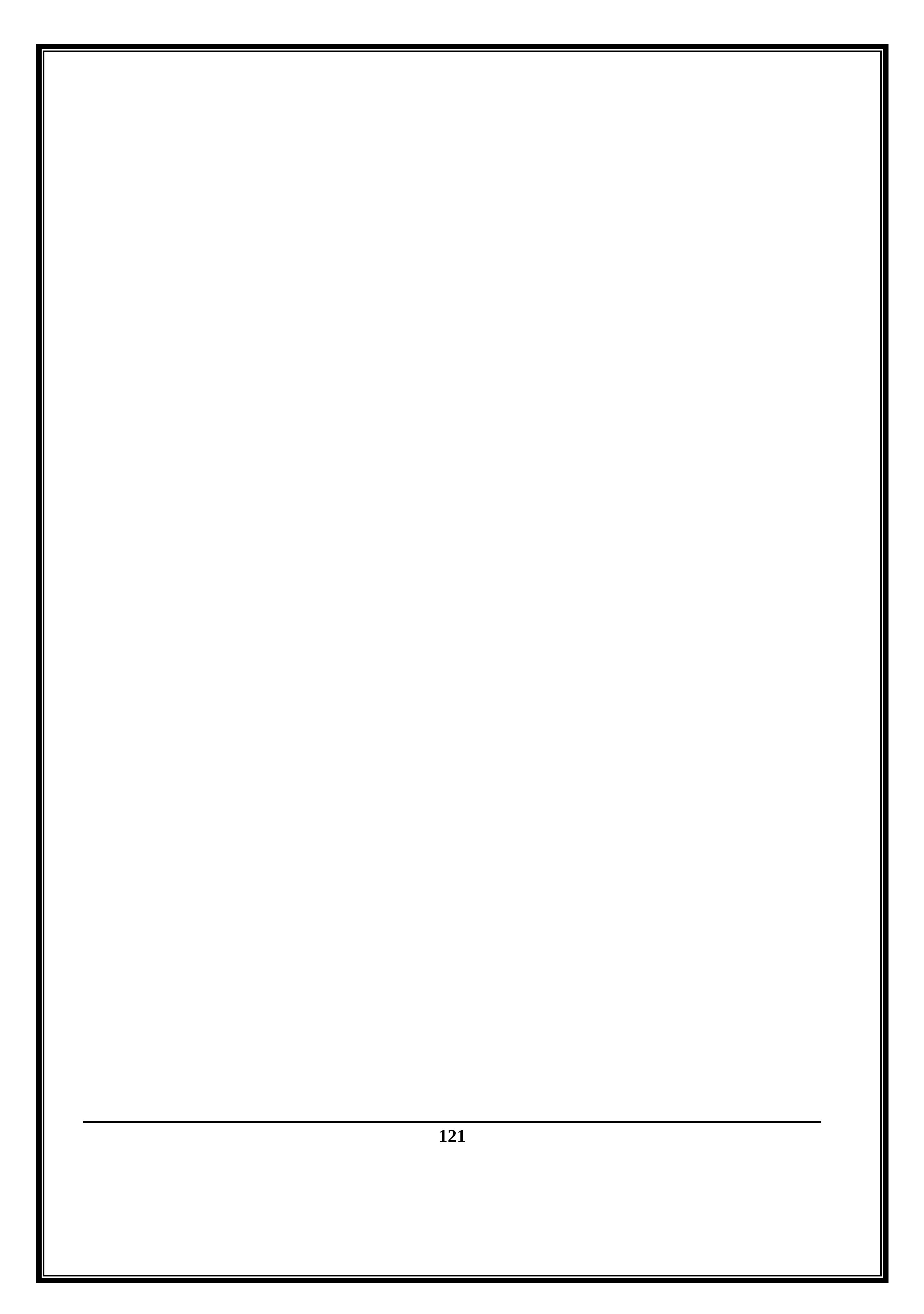
وَمَا حَمَلَتْنِي وَأَرْضَعَتْنِي أَكثَرُ

لبيك الله لبيك، وَعَلِيٌّ رضى الله عنه يقول:

إِنْ تَبَرَّهَـــا فَـــاللهُ أَشْـــكَرُ ⁞ يَجْزِيـــكَ بِٱلْقَلِيـــلِ ٱلأَكْثَـــرُ

ثم قال الأعرابيُّ، يا عمر أنا أحملها على عاتقي وهي تقضي حاجتها على ظهري، أَتُرانِي قد وَفَّيْتَ حَقَّهَا، قال عُمَرُ رضى الله عنه - لا، ولا بطلقةٍ واحدةٍ، فقد كنت تفعل معها ذلك وأنت صغيرٌ وكانت مُحِبَّةً لذلك، وتتمنَّى لك طول الحياة، وأما ما تفعله معها الآن، فأنت تتمنى لها الموت وعدم طول البقاء، وهذه هي الحقيقة وإن أنكرناها بألسنتنا.

لقد خُلِقَ الإنسان من التراب، وإلى التراب يعود، فَلَوْ تَأَمَّلْتَهُ في ذهوه وحياته وسلطانه في الدنيا وهو يتمتع بنعيمها من مأكلٍ وملبسٍ وَمَشْرَبٍ ومسكنٍ ومركبٍ، وتأملته أيضًا وهو يَدُبُّ على الأرض في كال اتجاهٍ بقوَّةٍ وتجبُّرٍ، مَزْهُوًّا بنفسه وبصحته، فهذا هو حاله في الدنيا، ثم انظر وتَدَبَّرَ إلى مآله في مرضهِ وضعفهِ وانكسارهِ وقلةِ حيلتهِ وَمَنْ بجواره يحركونه كيف شاءوا، فإذا أرقدوه على ظهره، فلا يستطيع أن يتحرك على إحدى جنبيه،



وإذا جلس لا يستطيع أن يستمر في جلسته إلا إذا أسنده الجالسون مَنْ حوله، فقد تقيدت العضلات ووقفت بعد قُوَّهْ، ونحل الجسد القويُّ وخار وضعف بعد الفتوهْ، وصار الصدر يعلو ويهبط ولا حول ولا قوهْ، ثم انظر (بعد موته) وقد أرم جسده وتحلَّلت أعضائه وأصبح ترابًا، حاله كحال التفاح قبل أن يؤكل وأنت تتطلعُ إليه بشكله الجميل، ولونه البديع الذي يخطف أبصار الناظرين إليه، فهذا هو حاله وجماله وزينته عندما يعرضهُ البائعُ، ثم انظر إلى مآله بعد أن يُؤْكَلُ وَيُهْضَمُ ماذا يكون؟؟!

فكل شَيْءٍ في الوجود له بدايةُ لابد وأن يكون له نهاية وهذه سنةُ الكون، وَسُنَّةُ الله في أرضه، فالليل مهما طال، فلابُدَّ من طلوعِ الفجر، والعمرُ مهما طال فلا بُدَّ من دخول القبرِ، وأعمارُ ابن آدم في نقصانٍ مُسْتَمِرٍّ لا يدري ماذا يفعل مع زخارف الدنيا ومتاعها الزائل إلا ما رحم ربي.

أَذْكُرُ أن أَحَدَ الشخصيات التي أعرفها جيدًا وكان يعمل في حقل التعليم، فكان مُدْهَنُ الشعرِ عظيم الثياب، بليغ اللسان، طيب الرائحة، يمشي مختالاً بنفسه يَتمنى مَنْ يَرَاهُ أن يكون في مثل حظه.

تَوَفَّى هذا الرجلُ فجأةً، فذهبنا لتوديعه ودفنه، وبعد ثلاثة أيامٍ هَبَّتْ رِيحٌ على القرية أنتنُ من ريح الجْيَفِ جَزَعَ منها الجميع وَسَدُّوَا نوافذ البيوت، وجلس كُلُّ وَاحِدٍ منهم يسأل نفسه عن سبب هذه الرائحة، وبعد جَهْدٍ جَهِيدٍ اهتدوْا إلى مكانها، فوجدوها في قبر صاحب الشخصية المرموقة التي دُفِنَتْ حديثًا، وأن القبر يوجدُ به متنفسًا أي (ثقوب)، ولم تنته هذه الرائحة إلا بعد سَدِّ هذه الثقوب، وَوَضْعِ طَبَقَةٍ من الطين على القبر كله، هذا هو حال الإنسان ومآله:

وجلست بين يَدَيْ نفسي أفكر تفكير العقلاء، أهكذا مصيرُ الإنسانِ؟

وجال الفكرُ بي لحظةً، وأنا أَتَخَيَّلُ هذا الرجلُ وهو مَنْ كان يمشي مختالاً بنفسه مزهوًّا بعلمه يتمنى كل من يراهُ أن يكون في مكانته، فكان إذا جلس بين الناس مُجْتَمِعًا تكلم بلسانٍ مُفَوَّهٍ لا يتلعثم في جملةٍ، وَلاَ يتَعَثَّرُ في لَفْظَةٍ، فقلتُ في نفسي أهذا هو حال الإنسان ومصيره بهذه الرائحة التي أزكمت منها أنوف في القرية جميعًا، فانتبهت إلى ما نحنُ عليه صائرون، وقلت: هذه هي النهاية حقًا، فكانت اليقظة، فاتبعت طريق الله والتزمتهْ.

قال الحق تبارك وتعالى:{ ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا لَعِبٞ وَلَهۡوٞ وَزِينَةٞ وَتَفَاخُرُۢ بَيۡنَكُمۡ وَتَكَاثُرٞ فِي ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَوۡلَٰدِۖ كَمَثَلِ غَيۡثٍ أَعۡجَبَ ٱلۡكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصۡفَرّٗا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمٗاۖ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٞ شَدِيدٞ وَمَغۡفِرَةٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٞۚ وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ ﴿٢٠﴾} [الحديد: ٢٠].

وأخرج الترمذي من حديث عبد الله بن مسعود رضى الله عنه أنه قال: نام رسول الله صلى الله عليه وسلم على حصير وقد أَثَّرَ فِي جَنْبِهِ، فقلنا يا رسول الله لو اتخذنا لك وِطَاءً، أي: فِرَاشًا تَطَؤُهُ وَتنامُ عليه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (مَالِي وَمَا لِلدُّنْيَا، مَا أَنَا فِي الدُّنْيَا إِلاَّ كَرَاكِب اسْتَظَلَّ تَحْتَ شَجرَةٍ ثُمَّ رَاحَ وَتَرَكَهَا) [1].

فَمَطْلُوبٌ من الإنسان الزهد في الدنيا وذلك بأن يجعلها في يده لا في قلبه، فإذا كانت في يدِهِ فهو مالكُ زمامها، وإذا كانت في قلبه، فقد ملكته وتحكَّمت فيه وَجَرَّتْهُ وراء أزيالها وأستارها وزخارفها الزائلة، لذا وجب على الحريصِ

([1]) حديث صحيح: أخرجه الترمذي (2377/4)، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه (3317)، والسلسلة الصحيحة برقم: (439) و(440)، وفي صحيح الترمذي (1936).

الفقيهِ اللبيب أن يعرض عنها، ولا يحرص عليها ويتبع طريق الله وَيَسْتَقِمْ عَلَيْهِ، كما جاء في قوله تعالى:{إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾} [يونس: ٢٤].

لقد ضرب الله تبارك وتعالى مثلاً لزهرةِ الحياةِ الدنيا وزينتها وسرعة انقضائها وزوالها، بالنبات الذي أخرجه الله من الأرض بماءٍ أُنْزِلَ من السماء، مِمَّا يأكلُ الناس مِنْ زروعٍ وثمارٍ على اختلافِ أنواعها وأصنافها، وما تأكل الأنعام من أَبٍّ وَقَضْبٍ وغير ذلك{حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا }، أي: زينتها الفانيةُ:{وَٱزَّيَّنَتْ }، أي: حَسُنَتْ بما خرج في رُبَاهَا من زهورٍ نضرةٍ، مختلفة الأشكال والألوان{وَظَنَّ أَهْلُهَآ }، الذين زروعوها وغرسوها{أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ} أي: على جِذَاذِهَا وَحَصَادِهَا، فبينما هم كذلك إذْ جاءتها صاعقةٌ أو ريحٌ شديدةٌ باردةٌ، فأيبستَ أوراقها وأتلفت ثمارها، ولهذا قال تعالى:{أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا } أي: يابسًا بعد الخضرةِ والنضارةِ{كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ } أي: كأنها ما كانت حِينًا قبل ذلك، قال قَتَادَةُ: كَأَنْ لَمْ تُنَعَّمْ، وهكذا الأمورُ بعد زوالها، كأنها لم تَكُنْ، وقوله تعالى:{ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ } أي: نبين الْحُجَجَ والأدلة{لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ }، فيعتبرون بهذا المثل في زوال الدنيا من أهلها سريعًا، مع اعتزازهم بها وَتَمَكُّنِهِمْ وثقتهم بمواعيدها وَتَفَلُّتَها عنهم، فَإِنَّ مِنْ طبعها الـهَرَبَ مِمَّنْ طلبها، والطَّلَبُ لمن هَرَبَ منها [1] أهـ.

([1]) صحيح تفسير ابن كثير: (359-360/2).

فالكل يفنى ولا يبقى إلا الواحد الماجد{كُلُّ شَيۡءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجۡهَهُۥ} [القصص: ٨٨].

الْمَوْتُ لاَ شَكَّ آتٍ فَاسْتَعِدَّ لَـهُ ... إِنَّ اللَّبِيبَ بِذِكْرِ الْمَوْتِ مَشْغُولُ
فَكَيْفُ يَلْهُو بِعَيْشٍ أَوْ يُلَذُّ بِـهِ ... مِنَ التُّرَابِ عَلَى عَيْنَيْهِ مَجْعُولُ

* * *

دَعْ عَنْكَ مَا قَدْ فَاتَ فِي زَمَنِ الصِّبَا ... وَاذْكُرْ ذَنُوبَكَ وَابْكِهَاَ يا مُذْنِبُ
وَاخْشَ مُنَاقَشَةَ الْحِسَابِ فَإِنَّهُ ... لاَ بُدَّ يُحْصَى مَا جَنَيْتَ وَيُكْتَبُ
لَمْ يَنْسَهُ الْمَكَانِ حِينَ نَسِيتَهُ ... بَلْ أَثْبَتَاهُ وَ أَنْتَ لاَهٍ تَلْعَبُ
وَالرُّوحُ فِيكَ وَدِيعَةٌ أَوْدَعْتَهَا ... سَتَرُدُّهَا بِالرَّغْمِ مِنْك وَتُسْلَبُ
وَغُرُورُ دُنْيَاكَ الَّتِي تَسْعَى لَهَا ... دَارٌ حَقِيقَتُهَا مَتَاعٌ يَذْهَبُ
وَاللَّيْلُ فَاعْلَمْ وَالنَّهَارُ كِلاَهُمَا ... أَنْفَاسُنَا فِيهَا تُعَدُّ وَتُحْسَبُ
وَجَمِيعُ مَا حَصَّلْتَهُ وَجَمَعْتَهُ ... حَقًّا يَقِينًا بَعْدَ مَوْتِكَ يَنْهَبُ
تَبًّا لِدَارٍ لاَ يَدُومُ نَعِيمُهَا ... وَمَشِيدُهَا عَمَّا قَلِيلٍ يُخْرَبُ

* * *

فإذا نفر منك الناس الجأ إليه، لأنه أقربُ إليك من حبل الوريد، ولا تجزع يا مُفرِّط في الذنب، فهو المجيب لكل مَنْ داعاهُ فهو القريب عند ابتعاد الخلائق، وهو الغني عند بخل الأغنياء، وهو القويُّ عند ضعف الأقوياء، وهو العزيز عند ذُلِّ السلاطين، وهو الْـحَيِيُّ السَّتِّيرُ عند جفاف الْوَجْهِ من الحياء، وهو المعطي عند افتقار الناس، قال تعالى:{ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾} [البقرة: ١٨٦].

ولأحمد عن أنس رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:(**يَقُولُ اللهُ تَعَالَى: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا دَعَانِي**) [1].

وقال صلى الله عليه وسلم :(**إِنَّ اللهَ تَعَالَى لَيَسْتَحيِي أَنْ يَبْسُطَ الْعَبْدُ إِلَيْه يَدَيْه يَسْأَلْهُ فِيهَما خَيْرًا فَيَرُدَّهُمَا خَائِبَتَيْنِ**) [2].

وللحاكم عن أنس رضى الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:(**إِنَّ اللهَ رَحِيمٌ، حَيِيٌّ، كَرِيمٌ، يَسْتَحْيِي مِنْ عَبْدِهِ أَنْ يَرَفَعَ إِلَيْهِ يَدَيْهُ ثمَّ لاَ يَضَعُ فِيهِمَا خَيْرًا**) [3].

وأخرج مسلم وغيره من حديث أبي موسى رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:(**إِنَّ الَّذِي تَدْعُونَهُ أَقْرَبُ إِلَى أَحَدِكُمْ مِنْ عِنَاقِ رَاحِلَتِه**) [4].

([1]) صحيح: أخرجه الإمام أحمد (210/3).
([2]) إسناده حسن: وقَد أخرجه الترمذي (544/9).
([3]) الترغيب للمنذري برقم: (273/2)، وصحيح الجامع برقم: (782-1768).
([4]) أخرجه مسلم (2704)، وأبو داود (1526)، والنسائي في (المجتبى) (7680)، وفي (الكبرى) (7680)، وأحمد (19102)، والبزار (2994)، واللالكاني في (اعتقاد أهل السنة) (684) من حديث أبي موسى رضى الله عنه.

وكـان رسـول الله صـلـى الله عليـه وسـلم إذا أصـابه مكروهٌ، أو شـدةٌ، أو كـربٌ لاَذَ بربه، فاستغاث به، طالبًا العونَ والتَّأْيِيدَ، كما أخرج الترمذي وغيرهُ من حديث أنس رضى الله عنه أنـه قـال: كـان رسـول الله صـلـى الله عليـه وسلم إِذَا كَرَبَـهُ أَمْرٌ قَالَ:(يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ بِرَحْمَتِكَ أَسْتَغِيثُ) [1].

وقد دعا الله جميع مَنْ عَصَاهُ وأسرفوا في المعاصي أن يرجعوا إليه ويحتموا بجنابه، ويلوذوا برحابه، ولا يقنطوا من رحمته مهما أن بلغ بهم الإسراف في المعاصي، فَيَسَجِدُونَهُ غفورًا رحيمًا، كما جاء في قوله تعالى:{قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾} [الزمر: ٥٣].

وَرُوِيَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضى الله عنه أن اللهَ دعا لمغفرة مَنْ زَعَمَ أنَ المسيحَ هُوَ اللهُ، ومن زعم أن المسيح هو ابْنُ الله، ومن زعم أن عزيرًا بْنُ الله، ومن زعم أن الله فَقيرٌ، ومن زعم أن يد اللهِ مَغْلُولَةٌ، ومن زعم أن الله ثَالِثُ ثلاثةٍ، فيقول لهؤلاء:{ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٤﴾} [المائدة: ٧٤].

ثم دعا إلى التوبة مَنْ هَوُ أعظمُ قَوْلاً من هؤلاء، مَنْ قال:{أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾} [النازعات: ٢٤]. وقال:{مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِي} [القصص: ٣٨].

قال ابْنُ عَبَّاسٍ رضي الله تعالى عنهما مَنْ آيَسَ عبادَ اللهِ من التوبة بعد هذا فقد جَحَدَ كِتَابَ اللهِ تعالى، ولكن لا يقدرُ العبدُ أن يتوبَ حتى يتُوبَ اللهُ عليهِ،

[1] أخرجه الترمذي (3524) من حديث أنس رضى الله عنه، والحديث حسن لغيره، وأخرجه الحاكم (1875)، والبيهقي في (شعب الإيمان) (10231) من حديث ابن مسعود رضى الله عنه.

وَعَنِ ابْنِ مسعودٍ قال: إِنَّ أَعْظَمَ آيَـةٍ فـي كتـاب الله: { ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ } [البقرة: ٢٥٥].

وإن أَجْمَعَ آيَةٍ في القرآن بِخيْرٍ وَشَرٍّ:{إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ } [النحل: ٩٠].

وإن أكثر آيَةٍ في القرآن فَرَجًا:{قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ} [الزمر: ٥٣].

وإن أَشَـدَّ آيَـةٍ فـي كتابـه تعـالى:{وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ} [الطلاق: ٢ - ٣].

وروى الإمام أحمد، ومسلم، والترمذي عن أَيَوُّبٍ الأَنْصَارِيِّ رضى الله عنه أنه قالَ حِينَ حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ: قَدْ كُنْتُ كَتَمْتُ مِنْكُمْ شَيْئًا سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ:(**لَوْلاَ أَنَكْمْ تُذْنِبُونَ، لَخَلَقَ اللهُ خَلْقًا يُذْنِبُونَ، فَيَغْفِرُ لَهُمْ**) [1] أهـ.

لذا كانت الصحابة تذهب إلى ربها بقلوبها وخشوعها ودموعها، مُفْتَقِرَةً مُتَذَلِّلَةً إليه، تأنس في جواره، مُحْتَمِيةً في رحابه، ترتاح عند برد الدموع في دعائه، لا يُقَلقها عطشٌ ولا جوعٌ، وَلَوْ مُزِّقَتِ الأحشاءُ والضلوع، فقد كان في وجه عمر رضى الله عنه خَطَّانِ أَسودانِ مثل الشراك من البكاء، وكان يَمُرُّ بالآية من ورده بالليل فيبكي حتى يسقط ويبقى في البيت حتى يعادُ للمرض، لقد استلذَّ رضى الله عنه بشراب الدموع، ولولا صحو السهر والجوع ما بات عند الجبل هلالُ (يا سارية) [2] أهـ.

([1]) صحيح تفسير ابن كثير: (53-54/4) والحديث رواه مسلم برقم: (2748)، والسلسلة الصحيحة برقم: (1963)، وصحيح الجامع برقم: (5329).

([2]) التبصرة: (421-423/1).

ولله در القائل:

فَمَــنْ يُجَــارِي أَبَــا حَفــصٍ :: أَوَ مَنْ يُحَاوِلُ لِلفارُوقِ تَشْبِيهًا
وَسِـــــــــــــــيرَتَهُ : [1]

وكان عثمان بن عفان رضى الله عنه يُوتِرُ بركعةٍ واحدةٍ يقرأ فيها القرآن كُلَّهُ، قال عبد الرحمن بن عثمان التيمي، قلت: لأغلبن الليلة على المقام، فسبقت إليه فبينا أنا قائم أصلي إذ وضع رَجُلٌ يدهُ على ظهري فنظرت فإذا هو عثمان بن عفان وهو خليفة، فتنحيت عنه فقام، فما بَرِحَ قائمًا حتى فرغ من القرآن في ركعة لم يزد عليها، فلما انصرف قلت: يا أمير المؤمنين إنما صليت ركعة؟ قال: أجل هي وتري [2].

وقال سليمان بن يسار: قام عثمان بن عفان رضى الله عنه بعد العشاء فقرأ القرآن في ركعة، لم يُصَلِّ قبلها ولا بعدها [3] أهـ.

عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالب وقد وصفه ضرار بن صخرة الكناني حين طلب منه ذلك أمير المؤمنين معاويةً بن أبي سفيان رضى الله عنه، فقال في وصفه: (يستوحش من الدنيا وزهرتها، ويستأنس بالليل وظلمته، وأشهد بالله لقد رأيته في بعض مواقفه، وقد أرخى الليل سدوله، وغارت نجومه، يميل في محرابه قابضًا على لحيته، يَتَمَلْمَلُ تململ السليم، ويبكي بكاء الحزين، فكأني أسمعهُ الآن وهو يقول: يا ربنا يا ربنا: يتضرع إليه، ثم يقول للدنيا - إليَّ تغررت، إليَّ تشوقت، هيات هيهات،

([1]) سادات المتهجدين، د. سيد حسين العفاني، ص: 17.
([2]) خبر صحيح: أخرجه ابن المبارك في (الزهد) (1276)، وعبد الرزاق في مصنفه (24/3)، وابن سعد في (الطبقات) (75/3)، والبيهقي في (سننه) (25/3-24)، وابن عساكر (226-225)، وأبو نعيم في (الحلية) (36/1).
([3]) المصدر السابق: ص: 20.

غُرِّي غيري، قد أَبَنْتُكِ ثلاثًا، فعمرك قصير، ومجلسك حقير، وخطرك يسير، آهٍ آهٍ من قلةِ الزَّادِ وبعد السفر ووحشة الطريق)، فوكفت دموع معاوية على لحيته ما يملكها وجعل ينشفها بِكُمِّهِ وقد اختنق القوم بالبكاء [1] أهـ.

وأما عباد بن بشر رضى الله عنه فترى الْعَجَبَ الْعُجَابَ من شَغَفِ قيامه بالليل، لا يمنعه من ذلك جراحٍ كادت تُودِي بحياته: عن جابر بن عبد الله قال: (خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة ذات الرقاع، فأصاب رجل امرأة رجل من المشركين، فحلف أن لا أنتهي حتى أهريق دَمًا في أصحاب محمد، فخرج يتبع أثر النبي صلى الله عليه وسلم فنزل النبي صلى الله عليه وسلم فقال:(**هل رجل يكلأ**)، أي: يحرسنا، فانتدب رجل من المهاجرين وهو (**عَمَّارُ بْنُ يَاسِرٍ**)، ورجل من الأنصار وهو (**عَبَّادُ بْنُ بِشْرٍ**) فقال:(**كونا بفم الشعب**)، فلما خرج الرجلان إلى فم الشعب اضطجع المهاجري، وقام الأنصاري فصلى، فأتى الرجل، فلما رأى شخصه عرف أنه ربيئة القوم، أي: عين القوم وحارسهم، فرماه بسهم فوضعه فيه، فنزعه حتى رماه بثلاثة أسهم، ثم ركع وسجد، ثم انتبه صاحبه، فلما عرف أنهم قد نذروا به هرب، فلما رأى المهاجري ما بالأنصاري، قال: سبحان الله أَلاَّ أنبهتني أول ما رمى؟ قال: كنت في سورة أقرأها فلم أحب أن أقطعها، نعم يا سيد الأنصار ما يمنعك من مناجاة ربك والوقوف بين يديه وأنت تُسْلِمُ وجهك نحو قبلته رشق السهام وتقطيع الأوصال.

[1] المصدر السابق: ص: 20.

عَذَابُــــهُ فِيــــكَ عَــــذْبٌ	**وَبُعْــــدُهُ فِيــــكَ قُــــرْبُ**
وَأَنْـــتَ عِنْـــدِي كَرُوحِـــي	**بَــلْ أَنْـــتَ مِنْهَـــا أَحَـــبُّ**
حَسْـــبِي مِـــنَ الْحُـــبِّ أَنِّـــي	**لِمَـــا تُحِـــبُّ أُحَـــبُّ [1]**

وروى البخاري من حديث عائشة رضى الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم سمع صوت عباد بن بشر، فقال:(**اللَّهُمَّ ارْحَمْ عَبَّادًا**) [2].

وعن أنس رضى الله عنه أن أُسَيْدَ بن حضير، وعبَّاد ابن بشر كانا عند النبي صلى الله عليه وسلم في ليلة مظلمة، فخرجا من عنده، فأضاءت عصا أحدهما، فكانا يمشيان بضوئها، فلما افترقا أضاءت عصا هذا وعصا هذا [3] أهـ.

وأما سعيد بن عامر الجمحي رضى الله عنه، فقد استعمله عمر بن الخطاب على حمص، فلما قَدِمَ عمر رضى الله عنه حمص قال: يا أهل حمص، كيف وجدتم عاملكم؟ فشكوا إليه، قال: نشكوا أربعًا - وذكروا من بينها أنه لا يجيب أحدًا بليل، فجمع عمر بينهم وبينه وقال: اللهم لا تقيل رأي فيه اليوم.

ما تشكون منه؟

قالوا: لا يجيب أحدًا بليل.

قال: ما تقول؟

قال: (إن كنت أكره ذكره... إني جعلت النهار لهم وجعلت الليل لله عز وجل).

([1]) أ. هـ المصدر السابق، ص: 39-40.

([2]) رواه البخاري (2655) كتاب الشهادات.

([3]) أسد الغابة، لابن الأثير: (112/3).

وأجاب عن بقية شكاياتهم، فقال عمر:

(الحمد لله الذي لم يفيل فراستي) [1] أهـ.

وَلَمَّا قدم عمر حمص أمرهم أن يكتبوا له فقراءهم، فرفع الكتاب، فإذا فيه سعيد بن عامر، قال: من سعيد بن عامر؟

قالوا: يا أمير المؤمنين! أميرنا.

قال: وأميركم فقير؟

قالوا: نعم، فعجب، فقال: كيف يكون أميركم فقيرًا؟! أين عطاؤه؟ أين رزقه؟

قالوا: يا أمير المؤمنين: لا يمسك شيئًا.

قال: فبكى عمر، ثم عَمِدَ إلى ألف دينار فَصَرَّهَا وبعث بها إليه، وقال: أقرئوه مني السلام، وقولوا له: بعث بها إليك أمير المؤمنين، فاستعن بها على حاجتك.

قال: فجاء بها الرسول، فنظر إليها، فإذا هي دنانير، فجعل يسترجع، فقالت له امرأته: ما شأنك؟

أصيب أمير المؤمنين؟ قال: أعظم؟

قالت: فظهرت آية؟ قال: أعظم من ذلك.

قالت: فأمر الساعة؟ قال: بل أعظم من ذلك.

قالت: فما شأنك؟ قال: الدنيا أتتني، الفتنة دخلت عَلَيَّ.

([1]) سادات المتهجدين، د. سيد حسين العفاني، ص: 44، مأخوذ من حلية الأولياء: (246/1).

قالت: فاصنع فيها ما شأت.

قال لها: أعندك عون؟ قالت: نعم، فَصَرَّ الدنانير فيها صرر، ثم جعلها في مخلاة، ثم بات يصلي حتى أصبح، ثم اعترض بها جيشًا من جيوش المسلمين فأمضاها كلها، فقالت له امرأته: لو كنت حبست منها شيئًا نستعين به [1] أهـ.

ولما أمره عمر بالقدوم عليه، فلم يَرَ مَعَهُ إلا عُكَّازًا وقدحًا، فقال له عمر: ليس معك إلا ما أرى؟

فقال له سعيد: وما أكثر من هذا؟

عكاز أحمل عليه زادي، وقدح آكل فيه.

فقال له عمر: أبك لمم؟ قال: لا.

قال: فما غشية بلغني أنها تصيبك؟

قال: حضرت خبيب بن عدي حين صلب، فدعا على قريش وأنا فيهم، فربما ذكرت لك، فأجد فترة حتى يغشى عَلَيَّ، فقال له عمر: ارجع إلى عملك، فأبى، وناشده إلا أعفاه [2] أهـ.

فهذا العابد الزاهد كان يؤثر رؤية وجه الله تعالى على خَيْرَيِ الدنيا وما فيها، وكان يؤثر نساء أهل الجنة على خَيْرَيِ الدنيا وما فيها، لذا وجب تحقيق قول (لا إله إلا الله) في القلب قبل الفم واللسان، فمن أدركها حقًّا وَوَعِيَهَا، وَعَمِلَ بمقتضاها كانت له عَوْنًا في الدنيا، وسعادةً ما بعدها سعادةً في الآخرة.

([1]) أسد الغابة لابن الأثير: (348/2).
([2]) المصدر السابق: (347/2).

قال ابـن القـيم رحمـه الله: ولهذا حَرَّمَ على النـار من شـهد أن لا إلـه إلا الله حقيقـة الشـهادة، كما روى البزار عن أبـي سعيد، أن رسـول اللـهِ صلـى الله عليـه وسلم قال:(**مَنْ قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ مُخْلِصًا دَخَلَ الْـجَنَّة**) [1].

ومحال أن يدخل النار من تحقق بحقيقة هذه الشهادة وقام بها، كما جاء في قولـه تعالى:{وَٱلَّذِينَ هُم بِشَهَٰدَٰتِهِمۡ قَآئِمُونَ ﴿٣٣﴾} [المعارج: ٣٣].

فيكون قائمًا بشهاداته في ظاهره وباطنه في قلبه وقالبه، فإن من النـاس من تكون شـهادته ميتـة، ومـنهم مـن تكـون نائمـة إذا نبهـت انتبهـت، ومـنهم مـن تكـون مضطجعة، ومنهم من تكون إلى القيام أقرب، وهـي فـي القلب بمنزلـة الـروح فـي البدن، فروح ميتـة، وروح مريضـة إلـى الموت أقرب، وروح إلـى الحياة أقرب، والروح الصحيحية هي التي تقوم بمصالح البدن، كما جاء في سنن النسائي، وابن ماجه، وصحيح ابن حبان من حديث طلحة رضى الله عنه أن رسول الله صلـى الله عليه وسلم قـال:(**إِنِّي لأَعْلَمُ كَلِمَةً، لاَ يَقُولُهَا عَبْدٌ عِنْدَ مَوْتِهِ، إِلاَّ كَانِتْ لَهُ نُـورًا لِصَـحِيفَتِهِ، وَإِنَّ جَسَدُه وَرُوحَهُ لَيَجِدَانِ لَهَا رَوْحًا عِنْدَ الْـمَوْتِ**) [2].

فحياة الروح بحياة هذه الكلمة فيها، كما أن حياة البدن بوجود الروح فيـه، وكمـا أن من مات على هذه الكلمة فهو في الجنة يتقلب فيها، فمن عاش على تحقيقها والقيام بها فروحه في الجنة تتقلب في جنة المأوى وعيشه أطيب عيش، كما جاء في قولـه تعـــالى:{وَأَمَّا مَنۡ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفۡسَ عَنِ ٱلۡهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلۡجَنَّةَ هِيَ ٱلۡمَأۡوَىٰ ﴿٤١﴾ يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرۡسَىٰهَا ﴿٤٢﴾} [النازعات: ٤٠ - ٤٢].

([1]) السلسلة الصحيح برقم: (2355)، وصحيح الجامع برقم: (6433).
([2]) أحكام الجنائز للألباني برقم: (34)، وصحيح الجامع برقم: (1163-2492).

فالجنة مأواه يوم اللقاء؟ وجنة المعرفة والمحبة والأنس بالله والشوق إلى لقائه والفرح به والرضى به وعنه مأوى روحه في هذه الدار، فمن كانت هذه الجنة مأواه هاهنا كانت جنة الخلد مأواه يوم المعاد، فهو لتلك الجنة أَشَدُّ حِرْمانًا [1] أهـ.

فالصادقون السائرون إلى الله والدار الآخرة قسمان: قسم صرفوا ما فضل من أوقاتهم بعد الفرائض إلى النوافل البدنية وجعلوها دأبهم من غير حرص منهم على تحقيق أعمال القلوب ومنازلها وأحكامها، وإن لم يكونوا خالين من أصلها ولكن هممهم مصروفة إلى الاستكثار من الأعمال.

* وقسم صرفوا ما فضل من الفرائض والسنن إلى الاهتمام بصلاح قلوبهم وعكوفها على الله وحده والجمعية عليه، وحفظ والخواطر والإرادات معه، وجعلوا قوة تعبدهم بأعمال القلوب من تصحيح المحبة والخوف والرجاء والتوكل والإنابة ورأوا أن أيسر نصيب من الواردات التي ترد على قلوبهم من الله أحب إليهم من كثير من التطوعات البدنية، فإذا حصل لأحدهم جمعية ووارد أنس، أو حب، أو اشتياق، أو انكسار وذل [2] أهـ.

فأشرف الناس نفسًا وأعلاهم همةً وأرفعهم قدرًا من لذته في معرفة الله ومحبته والشوق إلى لقائه والتودد إليه بما يحبه ويرضاه، فلذته في إقباله عليه وعكوف همته عليه، وأكمل الناس لذة من جمع له بين لذة القلب والروح، ولذة البدن، فهو يتناول لذاته المباحة على وجه لا ينقص حظه من الدار الآخرة، ولا يقطع عليه لذة المعرفة والأنس بربه، فهذا ممن قال تعالى فيه:

([1]) الداء والدواء لابن القيم: ص: 212-213.

([2]) الفوائد لابن القيم، ص: 196.

{قُلۡ مَنۡ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزۡقِۚ قُلۡ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا خَالِصَةٗ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ } [الأعراف: ٣٢] (1). أهـ.

فمن يملك القلوب إلا هو، ومن يملك الضُّرَّ والنفع والخلق والأمر والاستعاذة إلا علام الغيوب، لأن الاستعاذة لا تتم إلا به ومنه كما جاء في الحديث المتفق عليه من حديث البراء بن عازب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:(**لاَ مَلْجَأَ وَلاَ مَنْجَى مِنْكَ إِلاَّ إِلَيْكَ**) (2).

قال ابن القيم: فهو الذي ينجي من نفسه بنفسه، ويعيذ من نفسه بنفسه، وكذلك الفرار، يَفِرُّ عبده منه إليه، فالملك كله له، والحمد كله له، والشفاعة كلها له، والخير كله في يديه، والأمر كله له، كما جاء في قوله تعالى:{قُلۡ إِنَّ ٱلۡأَمۡرَ كُلَّهُۥ} [آل عمران: ١٥٤].

فلا إله غيره، ولا رب سواه، وهذا تحقيق تفرده بالربوبية والألوهية:{قُلۡ أَفَرَءَيۡتُم مَّا تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنۡ أَرَادَنِيَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلۡ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوۡ أَرَادَنِي بِرَحۡمَةٍ هَلۡ هُنَّ مُمۡسِكَٰتُ رَحۡمَتِهِۦۚ قُلۡ حَسۡبِيَ ٱللَّهُۖ عَلَيۡهِ يَتَوَكَّلُ ٱلۡمُتَوَكِّلُونَ } [الزمر: ٣٨].

{وَإِن يَمۡسَسۡكَ ٱللَّهُ بِضُرّٖ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَۖ وَإِن يَمۡسَسۡكَ بِخَيۡرٖ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿١٧﴾} [الأنعام: ١٧].

{ مَّا يَفۡتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحۡمَةٖ فَلَا مُمۡسِكَ لَهَاۖ وَمَا يُمۡسِكۡ فَلَا مُرۡسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٢﴾} [فاطر: ٢].

---

(1) المصدر السابق، ص: 206.

(2) أخرجه البخاري (6315/11/فتح)، ومسلم (4/ذكر ودعاء 2081-56)، وأبو داود (5046/4)، والترمذي (3574/5)، وابن ماجه (3876/2)، وأحمد في مسنده، (285/4، 292، 300، 299)، من حديث البراء بن عازب رضى الله عنه.

فاستعذ به منه، وفر منه إليه، واجعل لجوأك منه إليه، فالأمر كله له، لا يملك أحد معه منه شيئًا، فلا يأتي بالحسنات إلا هو، ولا يذهب بالسيئات إلا هو، ولا تتحرك ذرة فوقها إلا بإذنه، ولا يضر سم ولا سحر ولا شيطان ولا حيوان ولا غيره إلا بإذنه ومشيئته. يصيب بذلك من يشاء، ويصرفه عمن يشاء، فأعرف الخلق به وأقواهم بتوحيده من قال في دعائه: (وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ) فليس للخلق معاذ سواه، ولا مستعاذ منه إلا هو ربه وخالقه ومليكه وتحت قهره وسلطانه، ثم يختم الدعاء بقوله: (لاَ أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ) اعترافًا بأن شأنه وعظمته ونعوت كماله وصفاته أعظمُ وَأَجَلُّ من أن يحصيها أحدٌ من الخلق [1] أهـ.

فَاسْتَنْجِدْ به، وَلا تَلُذْ بغيره.

يَا مَنْ أَلُوذُ بِهِ فِيمَا أُؤَمِّلُهُ : وَمَنْ أَعُوذُ بِهِ فِيمَا أُحَاذِرُهُ
وَمَنْ تَوَهَّمْتُ أَنَّ الْبَحْرَ رَاحَتَهُ :: جُودًا وَأنَّ عَطَايَاهُ جَوَاهِرُهُ
لاَ يَجْبُرُ النَّاسَ عَظْمًا أَنْتَ كَاسِرُهُ : وَلاَ يَهِيضُونَ عَظْمًا أَنْتَ جَابِرُهُ

* * *

□

(1) أ. هـ شفاء العليل لابن القيم: 507.

تَعَجُّبٌ!!! وَاسْتِفْهَامٌ؟؟؟

كيف يعمل العبد عند ملك الملوك، وهذا الملك ينفق عليه من خالص ماله، فيتحمل قوته وقوت أولاده، ليعيش عيشةً كريمةً يُصَانُ فيها وجهه، ثم يأتي بتجرءٍ وتبجحٍ ليحوّلَ وَلاَءَهُ لغير هذا الملك، أيليق هذا؟

أهذا من العدل والإنصاف؟

ولله المثل الأعلى - فكيف يليق للعبد أن يعمل لغير الله، وأن يخلص لغير الله، وأن يحب لغير الله؟

فقد روى الإمام أحمد، والترمذي من حديث الحارث الأشعري أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:(**إِنَّ اللهِ أَمَرَ يَحْيَى بْنَ زَكَرِيَّا** صلى الله عليه وسلم **بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ أَنْ يَعْمَلَ بِهَا، وَيَأْمُرَ بَنِي إِسْرَائِيلَ، أَنْ يَعْمَلُوا بِهَا، وَإِنَّهُ كَادَ أَنْ يُبْطِئَ بِهَا، فَقَالَ لَهُ عِيسَى عليه السلام: إِنَّ اللهَ أَمَرَكَ بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ لِتَعْمَلَ بِهَا وَتَأْمُرَ بَنِي إِسْرَائِيلَ، أَنْ يَعْمَلُوا بِهَا، فَإِمَّا أَنْ تَأْمُرَهُمْ وَإِمَّا أَنْ آمُرَهُمْ، فَقَالَ يَحْيَى: أَخْشَى إِنْ سَبَقْتَنِي بِهَا أَنْ يُخْسَفَ بِي أَوْ أُعَذَّبَ، فَجَمَعَ النَّاسَ فِي بَيْتِ الْمَقْدِسِ فَامْتَلأَ الْمَسْجِدُ وَقَعَدُوا عَلَى الشُّرَفِ، فَقَالَ: إِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَمَرَنِي بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ أَنْ أَعْمَلَ بِهِنَّ وَآمُرَكُمْ أَنْ تَعْمَلُوا بِهِنَّ، أَوَّلُهُنَّ: أَنْ تَعْبُدُوا اللهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَإِنَّ مَثَلَ مَنْ أَشْرَكَ بِاللهِ كَمَثَلِ رَجُلٍ اشْتَرَى عَبْدًا مِنْ خَالِصِ مَالِهِ بِذَهَبٍ أَوْ وَرِقٍ، فَقَالَ: هَذِهِ دَارِي، وَهَذَا عَمَلِي فَاعْمَلْ وَأَدِّ إِلَيَّ، فَكَانَ يَعْمَلُ وَيُؤَدِّي إِلَى غَيْرِ سَيِّدِهِ!، فَأَيُّكُمْ يَرْضَى أَنْ يَكُونَ عَبْدُهُ كَذَلِكَ؟.. الحديث**) [1].

([1]) صحيح رواه الترمذي في كتاب الأمثال، باب: ما جاء في الصلاة والصيام، والصدقة، حديث (2863)، وأحمد في مسنده (344/5)، حديث (22961)، وابن حبان في صحيحه (124-125/14) حديث (6233)، وصححه الألباني في صحيح الترمذي، وصحيح الجامع (1724)، وصحيح الترغيب (1498).

هذا الحديث ذكره رسول الله صلى الله عليه وسلم وضرب فيه المثل وفرق فيه بين الموحد والمشرك، فالموحد كمن عمل لسيده في داره وأدى لسيده ما استعمله فيه، والمشرك كمن استعمله سيده في داره فكان يعمل ويؤدي خراجه وعمله إلى غير سيده، فهكذا المشرك يعمل لغير الله تعالى في دار الله تعالى ويتقرب إلى عدو الله بنعم الله تعالى، ومعلوم أن العبد من بني آدم لو كان مملوكه كذلك لكان أمقت المماليك عنده، وكان أشد شيء غضبًا عليه وطردًا له وإبعادًا، وهو مخلوق مثله كلاهما في نعمة غيرهما، فكيف برب العالمين الذي ما بالعبد من نعمة فمنه وحده لا شريك له، ولا يأتي بالحسنات إلا هو، ولا يصرف السيئات إلا هو، وهو وحده المنفرد بخلق عبده ورحمته وتدبيره ورزقه ومعافاته وقضاء حوائجه، فكيف يليق به مع هذا أن يعدل به غيره في الحب والخوف، والرجاء والحلف والنذر والمعاملة، فيحب غيره كما يحبه أو أكثر، ويخاف غيره ويرجوه كما يخافه أو أكثر [1] أهـ.

([1]) الوابل الصيب لابن القيم، ص: 18.

* * *

مُعَاتَبَةٌ، وَعِتَابٌ

ألم يحن الوقت لمثلي ومثل غيري المفرطين في ذنوبهم أن يذهبوا إلى الله بأفئدتهم وأسماعهم وأبصارهم، بل يُقبلوا إليه بالكُلِّيَةِ، وليعلموا علم اليقين أنَّ مَنْ جَاءَهُ يمشي أتاهُ هرولةً.

فقد روى مسلم والنسائي من حديث أبي موسى رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:(**إِنَّ اللهَ يَبْسُطُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ النَّهَارِ، وَيَبْسُطَ يَدَهْ بِالنَّهَارِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ اللَّيْلِ حَتَّى تَطْلَعُ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا**) [1].

وعن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:(**لَوْ أَخْطأْتُمْ حَتَّى تَبْلُغَ السَّمَاءَ، ثُمَّ تُبْتُمْ لَتَابَ اللهُ عَلَيْكُمْ**) [2].

وجاء في الحديث المتفق عليه من حديث أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:(**قَالَ اللهُ عز وجل : أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ حَيْثُ يَذْكُرُنِي، وَاللهَّ للهِ أَفْرَحُ بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ مِنْ أَحَدِكُمْ يَجِدُ ضَالَّتَهُ بِالْفَلَاةِ، وَمَنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ شِبْرًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا، وَمَنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا، وَإِذَا أَقْبَلَ إِلَيَّ يَمْشِي أَقْبَلْتُ إِلَيْهِ أُهَرْوِلُ**) [3].

([1]) رواه مسلم (2759)، والنسائي (118/5)، والترغيب للمنذري برقم: (4572).
([2]) حسن: رواه ابن ماجه (4248)، وحسنه الألباني في صحيح ابن ماجه (3424)، والترغيب للمنذري برقم: (4576).
([3]) البخاري (7405)، ومسلم (2675)، والترغيب للمنذري برقم: (4600).

وَعَنْ شُرَيْحٍ ابْنِ الحَارِثِ أَنَّهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم : قَالَ اللَّهُ عز وجل :**(يَا ابْنَ آدَمَ، قُمْ إِلَيَّ أَمْشِ إِلَيْكَ، وَامْشِ إِلَيَّ أُهَرْوِلُ إِلَيْكَ)** [1].

واعلم عبد الله أنه لو بلغت ذنوبك عنان السماء، ثم أقبلت عليه بوجهك رَافِعًا شِعَارَ التوبةِ والندمِ لَتَابَ الله عليك ولا يُبَالِي، فقد روى البخاري من حديث أبي هريرة رضى الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:**(إِنَّ عَبْدًا أَصَابَ ذَنْبًا، فَقَالَ: يَارَبِّ إِنِّي أَذْنَبْتُ ذَنْبًا، فَاغْفِرْهُ، فَقَالَ لَهُ رَبُّهُ: عَلِمَ عَبْدِي أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيَأْخُذُ بِهِ، فَغَفَرَ لَهُ، ثُمَّ مَكَثَ مَا شَاءَ اللهُ، ثُمَّ أَصَابَ ذَنْبًا آخَرَ، وَرُبَّمَا قَالَ: ثُمَّ أَذْنَبَ ذَنْبًا آخَرَ، فَقَالَ: يَا رَبِّ، إِنِّي أَذْنَبْتُ ذَنْبًا آخَرَ، فَاغْفِرْهُ لِي، قَالَ رَبُّهُ: عَلِمَ عَبْدِي أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيَأْخُذُ بِهِ، فَغَفَرَ لَهُ، ثُمَّ مَكَثَ مَا شَاءَ اللهُ، ثُمَّ أَصَابَ ذَنْبًا آخَرَ، وَرُبَّمَا قَالَ: ثُمَّ أَذْنَبَ ذَنْبًا آخَرَ، فَقَالَ: يَا رَبِّ، إِنِيِّ أَذْنَبْتُ ذَنْبًا فَاغْفِرْهُ لِي، فَقَالَ رَبُّهُ: عَلِمَ عَبْدِي أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيَأْخُذُ بِهِ، فَقَالَ رَبُّهُ: غَفَرْتُ لِعَبْدِي فَلْيَعْمَلْ مَا شَاءَ)** [2].

فَتُبْ عبد الله تَوْبَةً نَصُوحًا، واندم على ما فاتك، لأن الندم توبة، وَلاَ تُسَوِّفَ في ذلك، لأن الموت يأتي بَغْتَةً، فعن أَبِي حُمَيْدٍ الطَّوِيلِ قَالَ: قُلْتُ لأَنَسِ بنِ مَالِكٍ رضى الله عنه أَقَالَ النبي صلى الله عليه وسلم :**(النَّدَمُ تَوْبَةٌ)** قَالَ: نَعَمْ [3].

وهذا مالك بن دينار من كبار التابعين يحكي توبته فيقول: بدأت حياتي فاسقًا فاجرًا ظالمًا، وكنت أعمل شرطيًّا أضرب الناس وآخذ منهم الحقوق وأشرب الخمر حتى

([1]) صحيح: رواه أحمد (478/3)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (196/10) رجال الصحيح، غير شريح بن الحارث، وهو ثقة، والترغيب للمنذري برقم: (4602).

([2]) رواه البخاري ومسلم وجاء في الترغيب للمنذري برقم: (4582)، وصحيح الجامع برقم: (947-2103).

([3]) صحيح: رواه ابن حبان في صحيحه برقم: (613)، وجاء في الترغيب للمنذري برقم: (459).

جاءت ليلة، فقلت لنفسي ليتني أتزوج، فتزوجت فأنجبت طفلة سميتها (فاطمة) وكلما كبرت فاطمة قَلَّ الشَّرُّ في قلبي وكثر الخير في قلبي، فلما بلغت ثلاث سنوات ماتت، فانقلبت أسوأ مما كنت، ولم يكن عندي من صبر المؤمنين مَا يُصَبِّرنِي، فعدت كأسوأ ما يكون، فقلت لنفسي لأشربن اليوم شربًا أسكر منه سكرةً ما سكرت مثلها قط، فشربت وشربت وشربت حتى سقطت مغشيًّا عَلَيَّ، فرأيتني يوم القيامة وقد جمعت الخلائق وأظلمت الشمس وَسُجِّرَتِ البحارُ، وانشقتِ الأرضُ، فخرج الناس منها كالفراش المبثوث، وسارت الشمس تدنو من رؤوسنا، فرأيتني أغرق في عرقي من شدة ذنوبي، ثم سمعت المنادي ينادي: فلان ابن فلان: هَلُمَّ لِلْعَرْضِ على الجبار، فأرى فلانًا أعرفه من شِدَّةِ رُعْبِهِ، فتأتي الملائكة فتأخذه حتى جاء الدور عَلَيَّ فسمعت اسمي فوجدت الخلائق تختفي فليس في الأرض غيري، ثم رأيت ثعبانًا عظيمًا سميكًا يفتح فَاهَهُ، ويجري خلفي يريد أن يلتهمني، فجريت والثعبان خلفي، فرأيت رجلاً ضعيفًا أمامي، فقلت له: أنقذني من هذا الثعبان، فقال لي: أنا ضعيف، ولكن اجري في هذا الاتجاه، فجريت والثعبان خلفي، فرأيت النار أمامي، فقلت: أنجو من الثعبان فأسقط في النار فعدت مُسْرِعًا والثعبان خلفي يريد أن يلتهمني، فعدت إلى الرجل العجوز، وقلت: أدركني، فبكى رأفة بحالي، وقال لي: أنا ضعيف لا أستطيع أن أنقذك، ولكن اجري في اتجاه هذا الجبل، فجريت والثعبان يكاد أن يقتلني، فرأيت الأطفال يصيحون: يا فاطمة أدركي أباك، فجاءت فاطمة فعرفتها والثعبان سيأكلني، فأخذتني بيمينها ودفعت الثعبان بشمالها ومضى، ثم جلست في حجري كما كانت تجلس في الدنيا وأنا أرتعد، وقالت لي يا أبت:{أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ} [الحديد: ١٦].

فقلت يا فاطمة: ما هذا الثعبان؟

فقالت: هذا عملك السَّيِّئُ أنت سَمَّنْتَهُ حتى كاد أن يقتلك، والشيخ العجوز: هذا عملك الصالح أضعفته، فما عاد يستطيع أن ينقذك حتى بكى رَأْفَةً بحالك، يا أبت:{أَلَمۡ يَأۡنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخۡشَعَ قُلُوبُهُمۡ لِذِكۡرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلۡحَقِّ} [الحديد: ١٦].

فاستيقظت من نومي أصرخ قائلاً: قد آن يا رب، فاغتسلت وخرجت إلى المسجد أبغي صلاة الصبح، فأدركت الإمام في صلاة الصبح يقرأ نفس الآية:{أَلَمۡ يَأۡنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخۡشَعَ قُلُوبُهُمۡ لِذِكۡرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلۡحَقِّ} [الحديد: ١٦].

ثم يقول: أيها العبد العاصي عُدْ إلى مَوْلاَكْ... أيها العبد الهاربُ عُدْ إلى مَوْلاَكْ... أيها العبد الغافل عُدْ إلى مَوْلاَكْ... مَوْلاَكَ يناديك كل يوم بالليل والنهار يقول لك: من تقرب إليَّ شبرًا تقربت إليه ذراعًا، ومن تقرب إليَّ ذراعًا تقربت إليه بَاعًا، ومن أتاني يمشي أتيته مُهَرْوِلاً [1] أهـ.

وفي مدينة الإسكندرية كانت هناك سيدةٌ صالحةٌ طائعةٌ لله عز وجل، وكانت تسكن أمامها سيدة متبرجة بعيدة جدًّا عن الله، ولكن المرأة الصالحة لم تقطع علاقتها بها، وفي إحدى الـمَّرات طلبت المرأة المتبرجة من السيدة الصالحة أن تذهب معها لشراء بدلة جينز، فوافقت السيدة ولكن بشرط أن تأتي معها إلى درسٍ من دروس الدِّينِ، ثم تذهب معها لشراء ما تطلبه، فوافقت وذهبت إلى الدرس وكان المتحدث يتحدث عن التوبة، فانتهى الدرس وإذا بالفتاة المتبرجة تبكي بكاءً شديدًا، وتقول بأعلى صوتها: تبت يا رب.. ارحمني يا رب.. فهذه توبة ترقرق لها القلوب، فقالوا: كفاك بكاءً هَيَّا، فقالت لهم: كيف أنزل وأنا بهذه الملابس؟ كيف أخرج إليه؟ وكيف أقابله؟

([1]) يا باغي الجنة قف مع نفسك للمؤلف، ص: (73-72).

فأتوا إليها بعباءة وعندما خرجت من المسجد صدمتها سيارةٌ فماتت، انظر إلى رحمة الله عندما يحسن الله خاتمته، ثم انظر إلى التوبة كيف نَوَّرَتْ حُسْنُ الخاتمة أَعْمَالُهَا؟ (1) أهـ.

أَنَـا إِنْ بَكَيْـتَ فَلَـنْ أُلاَمَ عَلَـى الْبُكَـا ⁂ فَلَطَالَمَا اسْتَغرَقْتُ فِي الْعِصْيانِ

يَارَبِّ عَبْدُكَ مِنْ عَذَابِكَ مُشْفِقٌ ⁂ بِكَ مُسْتَجِيرٌ مِنْ لَظَى النِّيرَانِ

فَـارْحَمْ تَضَـرُّعَهُ إِلَيْـكَ وَحُزْنَـهُ ⁂ وَامْـنُنْ عَلَيْـهِ الْيَـوْمَ بِـالْغُفْرَانِ

* * *

أَيَـا مَـنْ لَـيْسَ لِـي مِنْـهُ مُجِيرُ ⁂ بِعَفْـوِكَ مِـنْ عَـذَابِكَ أَسْـتَجِيرُ

أَنَــا الْعَبْـدُ الْمُقِـرُّ بِكُـلِّ ذَنْـبٍ ⁂ وَأَنْـتَ السَّـيِّدُ الْمَـوْلَى الْغَفُـورُ

فَــإِنْ عَـذَّبْتَنِي فَبِسُـوءِ فِعْلِـي ⁂ وَإِنْ تَغْفِـرْ فَأَنْـتَ بِــهِ جَـدِيرُ

أَفِــرُّ إِلَيْــكَ مِنْــكَ وَأَيْــنَ إِلاَّ ⁂ إِلَيْـكَ يَفِـرُّ مِنْـكَ الْمُسْـتَجِيرُ

* * *

(1) المصدر السابق ص: (74-73).

أَنَا الْعَبْدُ الَّذِي كَسَبَ الذُّنُوبَا ... وَصَدَّتْهُ الْأَمَانِي أَنْ يَتُوبَا

أَنَا الْعَبْدُ الَّذِي أَضْحَى حَزِينًا ... عَلَى زَلَّاتِهِ قَلَقًا كَئِيبًا

أَنَا الْعَبْدُ الَّذِي سُطِرَتْ عَلَيْهِ ... صَحَائِفُ لَمْ يَخَفْ فِيهَا الرَّقِيبَا

أَنَا الْعَبْدُ الْمُسِيءُ عَصَيْتُ سِرًّا ... فَمَالِي الْآنَ لَا أُبْدِي النَّحِيبَا

أَنَا الْعَبْدُ الْمُفَرِّطُ ضَاعَ عُمْرِي ... فَلَمْ أَرْعَ الشَّبِيبَةَ وَالْمَشِيبَا

أَنَا الْعَبْدُ الْغَرِيقُ بِلُجِّ بَحْرٍ ... أَصِيحُ لَرُبَّمَا أَلْقَى مُجِيبَا

أَنَا الْعَبْدُ السَّقِيمُ مِنَ الْخَطَايَا ... وَقَدْ أَقْبَلْتُ أَلْتَمِسُ الطَّبِيبَا

أَنَا الْعَبْدُ الْمُخَلَّفُ عَنْ أُنَاسٍ ... حَوَوْا مِنْ كُلِّ مَعْرُوفٍ نَصِيبًا

أَنَا الْعَبْدُ الشَّرِيدُ ظَلَمْتُ نَفْسِي ... وَقَدْ وَافَيْتُ بَابَكُمُ مُنِيبًا

أَنَا الْعَبْدُ الْفَقِيرُ مَدَدْتُ كَفِّي ... إِلَيْكُمْ فَادْفَعُوا عَنِّي الْخُطُوبَا

أَنَا الْغَدَّارُ كَمْ عَاهَدْتُ عَهْدًا ... وَكُنْتُ عَلَى الْوَفَاءِ بِهِ كَذُوبَا

أَنَا الْمَقْطُوعُ فَارْحَمْنِي وَصِلْنِي ... وَيَسِّرْ مِنْكَ لِي فَرَجًا قَرِيبًا

أَنَا الْمُضْطَرُّ أَرْجُو مِنْكَ عَفْوًا ... وَمَنْ يَرْجُو رِضَاكَ فَلَنْ يَخِيبَا

فَيَا أَسَفِي عَلَى عُمْرٍ تَقَضَّى ... وَلَمْ أَكْسِبْ بِهِ إِلَّا الذُّنُوبَا

وَأَحْذَرُ أَنْ يُعَاجِلَنِي مَمَاتٌ ... يُحَيِّرُ هَوْلُ مَصْرَعِهِ اللَّبِيبَا

وَيَا حُزْنَاهُ مِنْ حَشْرِي وَنَشْرِي ... بِيَوْمٍ يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبَا

تَفَطَّرَتِ السَّمَاءُ بِهِ وَمَارَتْ ... وَأَصْبَحَتِ الْجِبَالُ بِهِ كَثِيبَا

وَيَا خَجَلَاهُ مِنْ قُبْحِ اكْتِسَابِي ... إِذَا مَا أَبْدَتِ الصُّحُفُ الْعُيُوبَا

::
:
* * *

اللهم اجمع المسلمين على كلمةٍ سواءْ

اللهم بَيِّضْ وجوهنا عِنْدَ اللِّقَاءْ

اللهم لاَ تَرُدَّنَا يوم العرض

عليك خائبي الأمل والرجاءْ

* * *

اللهم زلزل أقدام كُلَّ من هتك عِرْضًا

اللهم زلزل أقدام كل من فَرَّق جَمْعًا

اللهم زلزل أقدام كل من شَتَّت شَمْلاً

إنك وَلِيٌّ ذلك والقادر عليه

آمين. آمين، والحمد لله رب العالمين

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد النبيِّ الأَمِّيِّ وعلى آله وصحبه وسلم.

أَلَّفَـهُ

أبــو أحمـد

كمال أحمد عبد السلام

وكان الفراغ منه يوم الاثنين

10 رجب 1434هـ / 20 مايو 2013م

* * *

المصادر والمراجع

1- تفسير القرآن العظيم لابن كير، دار مصر للطباعة 1409هـ/1989م.

2- صحيح تفسير ابن كثير، اختصره وخَرَّج أحاديثه/مصطفى ابن العدوي، - ط دار الفؤاد - دار ابن رجب - الطبعة الأولى 1427هـ/2006م.

3- تفسير محاسن التأويل للقاسمي - ط دار الحديث القاهرة 1424هـ/2003م.

4- فتح الباري بشرح صحيح البخاري - ط دار الحديث القاهرة 1988م.

5- صحيح مسلم بشرح النووي - ط دار الفجر للتراث - الطبعة الثانية 425هـ/2004م.

6- سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني - ط مكتبة المعارف الرياض -1415هـ/1995م.

7- صحيح الجامع للألباني - ط المكتب الإسلامي - بيروت - الطبعة الثانية - 1408هـ/1988م.

8- شرح السنة للبغوي - ط دار الفكر - بيروت، لبنان 1414هـ/1994م.

9- تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي - ط دار الحديث 1421هـ/2001م.

10- البداية والنهاية لابن كثير - دار الحديث القاهرة - 1427هـ - 2006م.

11- الترغيب والترهيب للمنذري - ط دار الحديث 1428هـ/2007م.

12- أسد الغابة لابن الأثير - مكتبة الصفا 1428هـ/2007م.

13- منار السبيل على مذهب الإمام أحمد بن حنبل ط - دار الكتب العلمية - بيروت، لبنان - الطبعة الأولى 1418هـ/1997م.

14- إحياء علوم الدين للغزالي - ط دار الغد العربي، 1416هـ/1996م.

15- الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر - ط دار الغد العربي - 1419هـ/1998م.

16- إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان لابن القيم - ط دار الحديث 1991م.

17- الداء والدواء لابن القيم مكتبة الإيمان بالمنصورة بدون تاريخ.

18- الفؤاد لابن القيم دار الريان للتراث - القاهرة، الطبعة الأولى 1407هـ/1987م.

19- شفاء العليل لابن القيم - ط دار الحديث - القاهرة 1425هـ/2005م.

20- الوابل الصيب لابن القيم - دار كندة للإعلام والنشر جدة - الطبعة الأولى 1423هـ/2002م.

21- أحداث النهاية للشيخ محمد حسان - مكتبة فياض 1428هـ/2007م.

22- الرحيم المختوم للمباركفوري - المكتبة التوفيقية الطبعة الحادية والعشرون 1431هـ/2010م.

23- سادات المتهجدين د. حسين العفاني - دار العفاني، الطبعة الأولى 2005م.

24- الوصايا المنبيرة للشيخ/ عبد العظيم بدوي - دار ابن رجب - الطبعة الثانية 1421هـ/2000م.

25- المبتكرات في الخطب والمحاضرات للشيخ/ وحيد عبد السلام بالي - دار ابن رجب - 1425هـ/2004م.

26- الحياء خلق الإسلام، محمد أحمد إسماعيل المقدم - دار العقيدة للتراث - الطبعة الثانية 1414هـ/1993م.

27- يا باغي الجنة قف نفسك، كمال أحمد عبد السلام - دار البشير بطنطا 1427هـ/2006م.

28- موسوعة الأخلاق الإسلامية - سعد يوسف أبو عزيز - ط - المكتبة التوفيقية - القاهرة - بدون تاريخ.

29- المعجم الوجيز - مجموعة من الأستاذة الجامعيين - طبعة خاصة بالتربية والتعليم، 1420هـ/1999م.

30- القاموس المحيط - مجد الدين أبادي - ط دار الفكر - بيروت – 1415هـ - 1995م.

31- شبكة الإنترنت: http://svlggoo.mamg.com/t14-topic.

* * *

* * *

صدر للمؤلف

- يا باغي الجنة قف مع نفسك.
- الحب على خطى الحبيب صلى الله عليه وسلم.
- يا ليت لنا.
- **سلسلة مزايا الدين الإسلامي**:
  - الأمانة.
  - حسن الخلق.
  - العدل.
  - الصدق.
- طَوْقُ الَّنَجاهْ
- **وسيصدر قريبًا**:
  - الأَقْرَبُ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا.
  - نبذ الفرقة والاختلاف.
  - تعرف على دينك تسلم.
  - وتعرف على ربك تغنم.
  - وتعرف على نبيك ترحم.

* * *